الآداب المعنوية للحج

وآثاره التربوية

مهدي إيليا أبو زيد



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الآداب المعنوية للحج

وآثاره التربوية

انتشارات بهمن آرا

اسم الكتاب: .... الآداب المعنوية للحج وآثاره التربوية

تاليف: .... مهدي ايليا بوزيد

الناشر: .... بهمن آرا

الطبعة الأولى: .... ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م

عدد المطبوع: ١٥٠٠

شابک: ٩٦٤-٨٨٥٩-١٣-٢

الآداب المعنوية للحج

وآثاره التربوية

تأليف

مهدي ايليا بوزيد

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

إلى ربّان السفينة

وإمام الزمان

إلى المنتظر المرتجى

وقطب عالم الإمكان

إلى سيّدي ومولاي الحجّة المهدي

روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفدا.

أهدي هذا القليل

شكر وتقدير

في البداية، وقبل كلّ شيء، لابدَّ من توجيه خالص الشكر، وصادق التقدير إلىٰ كلّ من أجَّج في داخلي الشوق لأستل قلمي، وأخط به ما اختلج في ذهني من عبق الأريج الفوّاح للرسالة السمحاء.

ولن أخصص، مخافة التقصير بحق من كانوا سنداً لي في مسيرتي، سواء علىٰ صعيد التوجيه الصحيح، أو المراقبة الذووية، أو التنشئة المثلىٰ للسير علىٰ هدي رسول الله وأهل بيته ـ صلوات الله عليهم ـ، أم علىٰ صعيد الارتشاف من معين لا ينضب لشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تفهيماً وإعداداً لتبليغ الإسلام.

وبالخصوص، كل من واكبني في كتابة هذا الجهد المتواضع، ولم يبخل عليَّ بإرشاداته القيّمة، من شتىٰ النواحي العلمية والفنية وغيرها.

سائلاً المولىٰ أن يجزيهم خير الجزاء.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة:

الحمد لله الذي وهبنا مواقف الأوبة إليه، والصلاة والسلام علىٰ خير من دلّ عليه، وعلىٰ آله الهداة الميامين.

يقول الله تعالىٰ في كتابه الكريم:

﴿ولله علىٰ النّاس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾[1].

والحج هو أحد الأركان الّتي بني عليها الإسلام،

عن الباقر عليه السلام: **«بني الإسلام علىٰ خمس: علىٰ الصلاة، والزكاة والصوم والحج والولاية...»**[2].

عندما يتوجّه الإنسان لامتثال الامر الإلهي، وتأدية هذا الواجب، يـجد نفسه أمام مجموعة من الأعمال المقيّدة بالشروط، والمحفوفة بقوانين جزائية،

---

(١) آل عمران (٩٧).

(٢) محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج ٢، ص١٨، ح ٣.

تنتج آخر المطاف ونهاية العقد، عتقاً من التبعات والآثام في بعض الموارد (فيعود كما ولدته امّه). وفي موارد أخرىٰ تكون النتيجة هي الفوز بالسعادة الأبدية. وهذا ما يستوقف الإنسان، ويدفعه للتحري والتفتيش، والتأمّل والتدبّر في جنبات هذه العبادة المقدّسة، وماهي مقدماتها، والشروط الّتي يجب توفرها، وما هو السبيل للوصول إلىٰ النتيجة المرجوّة.

وقد اشارت آيات الكتاب الكريم إلىٰ فريضة الحج، وتاريخها، ونتائجها كما بيّن أهل البيت عليهم السلام كثيراً من علل هذه الفريضة وأهدافها المعنوية والتربويّة، الّتي تعتبر ضرورية للوصول إلىٰ الهدف، وعليه فلابدّ من درك المعاني الّتي تنطوي عليها أجزاء هذه العبادة، وما يرمز له كلّ عمل ومحطة من محطاتها.

فإنّ مجموعة محدودة من افراد المجتمع تتاح لها فرصة أداء هذا التكليف، ولا يتيسّر ذلك للباقي، مع كون الوجوب مرّة في العمر، يجعل المكلّف، الّذي يريد أداء مناسك الحج، أمام مسؤولية عظيمة، من جوانب متعدّدة، حدّها الأدنىٰ هو الخروج عن عهدة التكليف، وهذا وإن كان عملاً مطلوباً بذاته، الّا انّه لا يحقق أي تقدّم علىٰ صعيد الروح.

فالخوض في هذا الموضوع بالذات، يكمن في خطورة هذه العبادة علىٰ عاقبة الشخص، إذ إنّ تاركها مع الاستطاعة مخيّر بين أن يموت نصرانياً أو يهودياً، وهو بمعنىٰ الارتداد عن الدين، مع ما لهذه الفريضة من الأثر علىٰ شخصية الفرد والمجتمع. فقد نجح المغرضون في حرف الأذهان عن حقيقة هذه العبادة، حيث البسوا وجهها الناصع قناعاً زائفاً، يحجب نورها، ويطمس أسرارها، حتّىٰ تربت أجيال متعاقبة اعتبرت هذا الواجب خاصاً بالعُجّز

والمسنين، ومافي ذلك من نسخ للفورية عند الاستطاعة متكئين علىٰ جهل مطبق بمعانيها وآثارها، وما تحويه من دروس تربوية كفيلة بزعزعة العروش المصطنعة، وفضح ألاعيب الشياطين وأذنابها، لتصير القلوب عروش الحق.

من هنا كان لابد علىٰ الإنسان الواعي، أن يحاول الاطلاع علىٰ ماهية سفره هذا، وعلّته وأهدافه، والمعاني والأسرار الّتي يكتنزها، حتىٰ لاتكون حركته خجولة متردّدة، لاتحمل سوىٰ التسليم والطاعة، فيُبتلىٰ كالشبلي ـ الذي التقىٰ الإمام زين العابدين عليه السلام، بعد فراغه من الحج ـ الّذي صدم بواقع مر، وحقيقة مأساوية عند ما صارحه الإمام عليه السلام ـ بعد أن طرح عليه مجموعة من الأسئلة الّتي اجاب عليها الشبلي بالنفي ـ «... ارجع فإنّك لم تحج»(١). وهذا هو حال الكثير من الناس، والمستفيد من هذا العلم الإلٰهي، ثلّة قليلة من الناس، أما الباقي فاعمالهم خاوية.

وسأحاول من خلال البحث أن اخرج بهذه الفريضة من الأداء الصوري البحت إلىٰ أداء مفعم بالروح والمعنوية، والترقي بهذا المنسك إلىٰ حيث يريده أهل بيت العصمة (صلوات الله عليهم)، ليأخذ مكانه كمدرسة تربوية متكاملة، يستفيد منها وفد الحج، ليكون نواة تغيير لكل المجتمع المسلم خارج نطاق هذه العبادة.

ولا أنكر صعوبة ذلك، خصوصاً مع قلة الوقت المتاح، وضيق الفترة الزمنية، وعدم توفر المصادر المطلوبة، خاصة العربية منها. مع ما للخوض في غمار هذا الموضوع من التهيُّب، خصوصاً وأنّ المرء لابد أن يتعامل مع التراث الوارد عن المعصومين عليهم السلام.

---

(١) حسين النوري، مستدرك الوسائل، ج ١٠، ص ١٧٢.

ولأجل ادراك بعض ما يمكن، سوف نحاول أن نتأمّل في آفاق هذا السفر الإلهي، وما يحويه من معان تربويّة، فنقف عند كلّ فقرة أو محطّة لنستفيد منها الدروس. سائلين من المولىٰ التوفيق والسداد.

التمهيد

استكمالاً لما مرّ في المقدّمة حول هذه العبادة، كان لابدّ من التعرض لعدّة نقاط تعتبر الأساس الّذي قام عليه البحث.

١ ـ تبيين الموضوع:

وهو إحدىٰ العبادات الأساسية، الّتي تعتبر من أركان الدين، كما عبّرت بذلك الروايات، وهي فريضة الحج، الّتي تكتنز في داخلها مجموعة من الاحكام والعبادات، بحيث تشمل مثل الصلاة، والابتعاد عن الأوطان، والانفاق المادي كنفقات السفر والهدي وغير ذلك، ففيها بالإضافة للأعمال البدنية المباشرة، اموراً مالية أيضاً.

ومن جهة ثانية، فإنّ هذه العبادة، تشكل تغييراً مفصليّاً في حياة المكلف وآخرته علىٰ السواء، حيث تنطوي الروايات علىٰ كثير من الوعود المادية كنفي الفقر وغير ذلك، بالإضافة إلىٰ وعود لها تأثير علىٰ روح المكلّف مباشرة، بحيث يعود كيوم ولدته امّه، بمعنى تجاوز ما كان قد حصّله من التبعات، وفي أحيان

أخرىٰ تخوله الحصول علىٰ صك نجاة، وفوز ابدي.

وبالمقابل، فإن تارك هذه العبادة، سوف يخرج عن ربقة الإسلام، (فليمت يهودياً أو نصرانياً)، وهذه خاتمة سوء لا يتمنّاها أحد أبداً.

ومن الواضح، أنّ مثل هذه الآثار ليست متوقّفة علىٰ مجموعة الطقوس الظاهرية البحتة، بشهادة الوجدان علىٰ ذلك إذ إنّ كثيراً ممّن يحج ينقلب اكثر يهودية من اليهود في مسلكيته وافكاره وعقيدته، ولأجل ذلك كانت الاستفادة الصحيحة، والاطلاع الدقيق علىٰ أسرار هذه العبادة، ومعانيها الروحية هي الّتي تحدّد نسبة الاستفادة، وحجم التوفيق.

٢ ـ فرضية التحقيق:

(أ) ـ الخروج بعبادة الحج من البعد المادي البحت نحو الآفاق المعنوية.

(ب) ـ الارتقاء بهذه العبادة إلىٰ المستوىٰ الّذي اراده أهل البيت عليهم السلام، من خلال التعرف علىٰ محطاته التربويّة علىٰ الصعيدين الفردي والاجتماعي.

(ج) ـ اعتبار مناسك الحج، دورة الهيّة شاملة، لابدّ من الاستفادة منها، وتطبيق مبادئها خارج موسم الحج، في سبيل رقي الإنسان والمجتمع.

(د) ـ محو النظرة السائدة الّتي تعتبر الحج، مجموعة طقوس، الهدف منها الخروج عن عهدة التكليف، دون أن يكون لها أي أثر في حياة الإنسان.

٣ ـ أهداف البحث:

سوف نحاول من خلال هذا البحث، أن نهدم كلّ الشوائب الّتي احيطت بها فريضة الحج، من اجل الوصول إلىٰ اعتبار شعائر الحج ومحطاته، مجموعة

دروس تربوية ومعنوية تهدف إلىٰ تخليص الإنسان من كلّ العلائق الفاسدة، اعتقادية وفكرية وعبادية واجتماعية، وصياغة إنسان مؤمن واع معتقد لايخضع إلّا للإرادة الإلٰهيّة، ولا يقوم إلّا بما تمليه المدرسة الربّانية، وذلك من خلال كشف الأستار عن المخبوء من أسرار هذه العبادة ومعانيها، وما تريد أن تؤثّره في حياة الفرد والمجتمع، وهذا الكشف يعتبر مقدمة ضرورية لمعرفة مايراد من خلال أداء المنسك، بغية الوصول إلىٰ الإنسان المؤمن الصلب القادر علىٰ مواجهة التحديات.

٤ـأسئلة البحث:

وهي جملة اسئلة محورية، تشكل نواة البحث وهي:

١ـماهو معنى كلّ من التربية والسفر والحج؟

٢ـماهي الأبعاد التربويّة الّتي تشتمل عليها عبادة الحج بشكل عام؟

٣ـهل تقتصر فائدة الحج علىٰ البعد الروحي فقط؟

٤ـماهي الآثار التربويّة لأجزاء عبادة الحجّ؟

٥ـماهي الآثار الّتي تتركها الاجواء المكانية، علىٰ الصعيدين الروحي والمادي؟ وماذا يستحضر عندها من افكار؟

ويعتبر كلّ من هذه الأسئلة مفتاحاً لاسئلة أُخرىٰ تركنا الحديث عنها، لما سيتّضح في طيات البحث من تفاصيل عنها.

٥ـسابقة التحقيق:

عندما يخوض الإنسان غمار المجامع الحديثية، يجد أنّ كمّاً هائلاً من

تراث ائمّة الهدىٰ عليهم السلام قد تعرّض لهذا الموضوع، إلاّ انّه عندما يتوجّه لأداء هذا المنسك يجد فراغاً هائلاً لايمكنه دفعه بما هو متوفّر في المناسك الّتي تبيّن الحكم الظاهري الشرعي دون أن يقف علىٰ حقيقة وروح ماهو مقدم عليه، ولا الآثار التربويّة الّتي يذخر بها، ثمّ إنّ هنالك بعض الكتب الّتى تعرضت لأبعاد هذه العبادة كانت مجتزءة في بعضها، وغافلة عن امور مهمّة في بعضها الآخر، مع كون هذا المنسك من أهم المدارس التربويّة الشاملة لكلّ ابعاد الحياة، من خلال ما تعج به من آداب، وما يذخر فيه من رياح التغيير في المسلكية الحياتية للإنسان مع ذاته وخالقه والمجتمع.

وقد تعرّض لهذا الموضوع مجموعة من العلماء، نذكر من استفدنا من مؤلّفه، مع تأليفه ومنهجه في البحث باختصار.

١ ـ آية الله جوادي آملي، في كتابه (صهباي حج)، تعرّض في أقسام ثلاثة إلىٰ أبعاد الحج اوّلاً، ثمّ تحدث عن خصائص مكانية، وختم بالحديث عن المناسك، بأسلوب عرفاني فلسفي، وهو باللغة الفارسيّة.

٢ ـ آيةالله ناصر مكارم الشيرازي، في (تفسير الأمثل)، تعرض في مختصر موجز عن الأبعاد المختلفة للحج.

٣ ـ السيد محمد الحسيني البهارنجي، في كتابه (الحج والزيارة وآداب الحرمين الشريفين)، وهو يتعرض للأحكام الشرعية بشكل أساسي، ويعرّج علىٰ بعض الروايات الّتي يستفاد منها بعض المضامين التربويّة والآداب.

٤ ـ السيد حسين الفالي، في كتابه (بيان القرآن والعترة، في أسرار الحج والعمرة)، تعرّض في قسمين إلىٰ كلّ من اهمية الحج وفوائده في القسم الأوّل، وإلىٰ ثواب وبعض ابعاد المناسك في القسم الثاني.

٥ ـ الشيخ علي الافتخاري الگلپايگاني، في كتابه (الحج والعمرة ومعرفة الحرمين الشريفين)، وقد تعرّض في القسم الأوّل من كتابه إلىٰ موضوع الحج في ثمانية أبواب إلىٰ احكام وثواب وفضل الأماكن والأعمال.

٦ ـ وقدمت ممثلية الولي الفقيه، في كتاب (الحج في القرآن)، ابحاثاً عن الآيات الّتي تتحدّث عن الحج، بتسلسل السور، وبعض المواضيع المتعلّقة بها.

٧ ـ كما قدمت ممثلية الولي الفقيه، في كتاب (حج الأنبياء والائمّة)، ابحاثاً في حج الأنبياء منذ آدم وصولاً إلىٰ النبي ﷺ وتعرض التفصيل إلىٰ حجة النبي كما اشار إلىٰ حج الأئمة بالتفصيل.

٨ ـ العلامة الشيخ حسن طراد، في كتابه (فلسفة الحج في الإسلام) تعرض لبعض المضامين الأخلاقية في فريضة الحج، وبعض الأبعاد التربويّة، ثمّ تحدّث عن الحكمة المستوحاة في بعض أجزاء هذه العبادة.

٩ ـ محمّد رضا النعمتي، في كتابه (قاموس الحرمين الشريفين)، استعرض العبارات والالفاظ، من الأماكن والأعمال مشيراً إلىٰ معانيها.

وقد سدّت كلّ من هذه الكتب جهة من جهات البحث، أو تعرضت لبعض من مضامينه.

٦ ـ هيكليّة البحث:

من هنا وبعد مطالعة هذه المصادر وما حوته من مطالب مهمة علىٰ صعيد إغناء البحث، والاستناد إلىٰ المصادر الأساسية من تراثنا، حاولت أن أعيد بلورة هذا الموضوع بصياغة شاملة تسلك جميع جزئيات هذه العبادة، محاولاً

الكشف عن الحكم المكتنزة في كلّ فقرة من الفقرات، وخطوة من الخطوات. بالإضافة للدروس التربويّة الّتي يمكن أن تستفاد من كلّ مفصل من مفاصل هذه العبادة، وكلّ محطة من محطاتها.

وقد جعلنا البحث مبتن على تمهيد وثلاثة فصول وتذييل بعد الافتتاح بمقدّمة، والانتهاء بخاتمة.

بعد التمهيد، فقد تعرض لكليات البحث من حيث المفهوم والضرورة والأهداف، في كلّ من مصطلحي التربيّة والسفر، ثمّ الانتهاء بمفهوم الحج مقدّمة للدخول في صلب الموضوع.

وقد استعرض الفصل الأوّل الأبعاد التربويّة للحج بشكل عام، السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

امّا الفصل الثاني، فقد خصصناه للحديث عن أعمال العمرة بالتفصيل، بدءً من الإحرام في الميقات وانتهاء بالتقصير، مع المرور على الأبعاد المكانية لكلّ من الميقات ومكّة والمسجد.

اما الفصل الثالث، فقد تحدّثنا فيه عن القسم الثاني من أعمال الحج، وهي أعمال الحج بدءً من الإحرام في الحرم وانتهاء بطواف النساء، وقد تخلّل ذلك الحديث عن المقايسة بين إحرامي العمرة والحج، وكذا بين طوافيهما، بالإضافة إلى وقفة مع دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة.

وبانتهاء الفصل الثالث نكون قد أنهينا الحديث عن الأعمال.

وحيث إنّ هنالك بعض الأماكن لابدّ من التعريج عليها، جعلنا الحديث عنها تحت عنوان تذييل، فشمل الحديث عن ماء زمزم، وبعض مساجد مكّة،

بالإضافة إلىٰ غار حراء وغار ثور.

وبعد هذا، وقفنا عند خاتمة استخلصنا فيها مامرّ من معان وعبر.

بقي أن نشير إلىٰ القصد من هذا البحث، وأنّ الهدف من وراءه هو تصحيح صورة هذه العبادة في أذهان المسلمين، وأنّها ليست من الواجبات المختصّة بالعجز والمسنين، كما أنّها ليست مجموعة أعمال ميكانيكيّة خاوية.

وإنّما هي الوجه الناصع لهذا الدين الحنيف، ومؤتمر أممي شامل تتجلىٰ فيه قوة الإيمان وصلابة الاعتقاد والإصرار علىٰ مواجهة كلّ التحدّيات، والتصريح بكلّ ما يختلج في النفوس من معاني التحدّي لكلّ الطواغيت والجبابرة وأدعيائهم، وانعكاس لوحدة هذه الأمة، حول محور وجودها ودينها ونبيها وقيمها، ومقبرة تدفن فيها أحلام دعاة التفرقة والمشعوذين.

و باختصار، الهدف هو ابراز هذه العبادة علىٰ أنّها مدرسة تربويّة شاملة لكلّ ابعاد الحياة البشريّة.

ومن الله التوفيق

الفصل الأوّل:

الأبعاد التربوية لسفر الحج

وفيه:

المبحث الأوّل: كليات البحث

المبحث الثاني: تشريع الحج وأهدافه

المبحث الثالث: الآداب التربويّة للسفر

المبحث الرابع: التربية الأخلاقية للحج

المبحث الخامس: التربية الاجتماعية للحج

المبحث السادس: التربية السياسية

المبحث السابع: التربية الاقتصادية

المبحث الخامس: التربية الروحية

تمهيد:

من المعلوم أنّ الحج من الأمور العبادية الّتي كلّف بها الإنسان، وقد جعل الشارع المقدّس العبادات لأجل بناء الإنسان، قال الله تعالىٰ: ﴿وما خلقت الجن والانس الاّ ليعبدون﴾[1].

«والمراد بها كما في الحديث: المعرفة»[2] فالعبادة هي الغاية القصوىٰ لكلّ من التكوين والتشريع، حيث انّه خلقهم وارسل إليهم رسله بعد ذلك ليعبدوه، والعبادة موجبة لاستكمال النفوس، عن طريق بنائها بناءً سليماً، ينسجم مع طبيعة الخلقة، للوصول إلىٰ الهدف الأسمىٰ من معرفة الخالق المصور، لكي يحصل بذلك الفوز بحظيرة القدس.

من هنا، كان لابدّ أن تتوفّر في عبادة الحج هذه الخصوصية، وهي بناء شخصية العبد، من خلال تفاعله مع العبادة الّتي يقوم بها، بحيث توصله إلىٰ معرفة نفسه وامامه ونبيّه وخالقه، ليكون بذلك واصلاً إلىٰ الغاية والهدف من الخلقة، وهذا ما سنشاهده من خلال الأبعاد الّتي سنتعرّض لها لهذه العبادة، بعد ان نتعرض لكليات البحث من قبيل مفهوم التربية ومفهوم السفر ومفهوم الحج.

---

(١) الذاريات، (٥٦).

(٢) محمد حسن النجفي، جواهر الكلام، ج ٢٩، ص ٣١.

المبحث الأوّل:

حول كليات البحث

وفيه نقف عند مفهومي التربية والسفر وبعض ما يتعلق بهما في مجموعة من النقاط.

النقطة الأولىٰ: مفهوم التربية:

التربية لغة:

أمّا لغة: فيعود أصل التربية في اللغة إلىٰ الفعل (ربا) أي زاد ونـما، وهـو مايدلّ عليه قوله تـعالىٰ: **﴿وترىٰ الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت، وانبتت من كلّ زوج بهيج﴾**(١).

كما إنّ كلمة تربية مصدر للفعل (ربىّ) أي نشأ ونمّى. كما في قوله تعالىٰ: **﴿وقل ربّ ارحمهما كما ربّياني صغيراً﴾**(٢).

وهذا يعني أن كلمة التربية لا تخرج في معناها اللغوي عن دائرة النـمو والزيادة والتنشئة.

---

(١) الحج (٥).

(٢) الإسراء (٢٤).

ولأنّ المعاجم اللغوية، ترجع الكلمة إلىٰ حروفها الأصلية لألقاء الضـوء علىٰ مفهومها، فإنّ كلمة «تربية» الّتي تتكون من خمسة حروف، تعود في اصلها إلىٰ حرفين اصليين هما الراء والباء (رب)، ولهذين الحرفين عند اجـتماعهما، العديد من المعاني: فهما يجتمعان علىٰ معنىٰ السمو والإصلاح، وتقوية الجوهر، مع فروق طفيفة في تدرج هذا المعنىٰ، حيث يستعمل للامور المادية (ربا، يربو) تعبيراً عن زيادة مادية في جسم الأشياء، بينما يسـتعمل للإنسـان والحـيوان (ربي، يربي) بمعنىٰ الترعرع في بيئة معيّنة، ويسـتعمل للامـور المـعنوية (ربأ، يرُبُّ)، حتىٰ نصل إلىٰ الرب، وهو خالق كلّ شيء وراعيه ومصلحه، فهو التربية الكاملة[١].

كما ورد انّه مأخوذ من ربّ ولده، والصبي يربه (ربّاه)، أحسن القيام عليه حتّىٰ ادرك[٢] وفي الحديث: «لك نعمة تربها» أي تحفظها وتراعيها، كما يربي الرجل ولده»[٣].

فنخلص من كلّ هذا، أنّ المعنىٰ اللغوي لايـعدو مـعنىٰ النـمو والزيـادة والتكامل، ومن خلال التحليل لأصل الكلمة، نصل إلىٰ اعتبار أنّ التربية بمعناها الكامل لغة، هو ماذهب إليه العرقسوسي، وهو بمعنىٰ رعاية الشيء واصـلاحه ومتابعة اموره، وهو المفهوم من الربوبية، فلا يبقىٰ مقتصراً علىٰ التنمية المادية للمخلوق.

---

(١) راجع محمد خير عرقسوسي، محاضرات في الأصول الإسلامية للتربية، ص١٨ ـ ١٩.

(٢) راجع محمد مرتضىٰ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القلوس، ج١، ص٢٦١.

(٣) راجع محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٤٠١.

اصطلاحاً:

أمّا اصطلاحاً: فقد تعدّدت الآراء ووجهات النظر في تعريف مفهوم التربية، ويمكن إجمال أغلب المفاهيم إلىٰ أُمور:

(أ) ـ مناهج المواد الدراسية.

(ب) ـ تاريخ اعلام الفكر التربوي.

(ج) ـ تعليم العلوم الإسلامية.

(د) ـ نظام تربوي مستقل[1].

وعلىٰ الرغم من شيوع مصطلح (التربية) في عصرنا الحاضر، فإنّه لم يكن مشهوراً في التراث القديم، فقد استخدموا مفردات أخر للدلالة علىٰ هذا المصطلح منها:

(أ) ـ التنشئة: يقصد بها تربية ورعاية الإنسان منذ الصغر، ولذلك يقال نشأ فلان وترعرع، وهذا يعنى بجزء من مفهوم التربية.

(ب) ـ الإصلاح: ومعناه التغيير إلىٰ الافضل، وهو ضد الافساد، ويقصد به العناية بالشيء والقيام عليه وإصلاح اعوجاجه، ولكن لا يلزم أن يحصل منه النماء والزيادة، فهو إذاً يؤدّي جزءً من مفهوم التربية[2].

(ج) ـ التأديب أو الأدب: ويقصد به التحلي بالمحامد من الصفات والطباع

---

(١) راجع مقداد بالجن، جوانب التربية الإسلامية الاساسيّة، ص ٢٣.

(٢) راجع خالد حامد الحازمي، اصول التربية الإسلامية، ص ٢٣.

والأخلاق، والابتعاد عن القبائح، وهذا يعنىٰ بالأمور المعنوية فيكون جزءً من مفهوم التربية.

(د) ـ **التهذيب**: ويقصد به تنقية النفس البشرية وتسويتها، بالتربية علىٰ فضائل الأعمال ومحاسن الأقوال، رجل مهذّب، مطهّر الأخلاق، وهو قريب من معنىٰ الأدب، فهو جزء من مفهوم التربية[(١)].

(هـ) ـ **التطهير**: وهو تنزيه النفس عن الأدناس والدنايا، وهي كلّ قول أو فعل قبيح، ونقصد به المعنىٰ المعنوي، الّذي يرتبط بسلوك الإنسان القولي والفعلي وهذا بعض من مفهوم التربية.

(و) ـ **التزكية**: ويفيد معنىٰ التطهير أيضاً، قال تعالىٰ: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكّيكم...﴾[(٢)].

وهذا يعد اكثر المصطلحات قرباً في معناه لمصطلح التربية الإسلامية، لما فيه من دلالة علىٰ محاسبة النفس والعناية بها، والعمل علىٰ الارتقاء بجميع جوانبها (الروحية والجسمية والعقلية) إلىٰ أعلىٰ المراتب وأرفع الدرجات[(٣)].

(ز) ـ مصطلح التعليم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿... ويعلّمكم الكتاب والحكمة﴾[(٤)] وهذا أخص من مفهوم التربية.

(ح) ـ **النصح والإرشاد**: كما في قوله تعالىٰ: ﴿أبلّغكم رسالات ربّي

---

(١) راجع محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص١٣٢.

(٢) البقرة (١٥١).

(٣) راجع محمد الغزالي، نظرية التربية الإسلامية للفرد والمجتمع، ص١.

(٤) الجمعة (٢).

وأنصح لكم...﴾[١] وهو جزء من مفهوم التربية، بل ربما اعتبرناه من اساليب التربية.

(ط) ـ الأخلاق: ويقصد به إصلاح ما انحرف من السلوك، وهذا وإن كان يهتم بجانب من جوانب التربية، إلّا انّه يستخدم للدلالة علىٰ مفهوم التربية أيضاً.

ومن هنا نفهم من خلال هذه المعاني، أن التربية تدور حول الإصلاح، والقيام بأمر المتربي، وتعهده، ورعايته بما ينميه، وأنّ مفهوم التربية مرتبط بجميع تلك المعاني. فالمفردات الّتي استخدمها القدماء للدلالة علىٰ معنىٰ التربية تدور حول تنمية وتنشئة ورعاية النفس البشرية، والعمل علىٰ اصلاحها وتهذيبها وتأديبها وتزكيتها والحرص علىٰ تعليمها ونصحها وإرشادها، حتّىٰ يحصل الرقي الإيجابي من جوانب النفس المختلفة مع ما حولها ومن حولها.

وهذه المفردات في الواقع، أقرب إلىٰ المفهوم الاصطلاحي، وإن حاول البعض اعتبارها تعاريفاً لغوية.

وقد نسب إلىٰ أفلاطون أنّ التربية هي إعطاء الجسم والروح كلّ ما يمكن من الجمال، وكلّ ما يمكن من الكمال[٢]. فيكون مفهوم التربية شاملاً لتكامل البدن والروح معاً.

ومن تعاريف مفهوم التربية، أنّها نقل تجارب الأجيال الماضية إلىٰ الاجيال التالية، وتعلم الإنسان أسلوب الحياة، فتكون برنامجاً لانسجام الفرد مع المجتمع، لانّها تؤدّي إلىٰ التحكّم بالعواطف والاحاسيس، وتهدي غرائز

---

(١) الأعراف (٦٢).

(٢) راجع باقر شريف القرشي، النظام التربوي للاسلام، ص٣٦.

الإنسان إلىٰ الطريق الصحيح[١].

وربّما اعتبرنا هذا التعريف، اشبه ما يكون بالاهداف والغايات، اكثر من أن يكون تعريفاً.

ومن تعاريف مفهوم التربية أيضاً: «الجد والعمل الواعي من قبل الإنسان لإيجاد التغييرات المنشودة».

ولكن الأمور الّتي تكون مرغوبة في مجتمع، تواجه بالرفض في مجتمع آخر، لذا فالمقصود من التربية لنا، تعليم الطفل أسلوب الاستمتاع بالحياة، وتنمية قواه الجسمية، كما تهتم بتنمية القوىٰ الذهنية، بالإضافة إلىٰ الاهتمام بالابعاد الروحية والعاطفية[٢].

وعليه، فانّ مفهوم التربية بالمعنىٰ العام، يشمل جميع انواع النشاطات الّتي تؤثّر في تنمية الفرد واستعداداته وسلوكه، ولا يختص ذلك بما يقوم به الفرد من إعداد لنفسه، أو بما يقوم به الغير لتنمية قدرته، بل يشمل مفهوم التربية ماهو أكثر من ذلك، إذ يحوي كلّ تعديل وتهذيب للأخلاق والسلوك، ويحوي كلّ ما يتم بطريق غير مباشر كالقوانين السائدة ونظام الحكم، وأنماط المعيشة، والتقاليد والعادات الاجتماعية، والأنظمة المتبعة في العرف وغيرها[٣].

فمن كلّ ما تقدّم نخلص إلىٰ اختيار المعنىٰ الواسع للتربية الّذي يشمل كلّ تنمية وتهذيب ينصب علىٰ قوىٰ الفرد، واستعداداته ونواحي سلوكه، بقصد توجيهه من ناحية الجسم والروح والعقل والخلفيات.

---

(١) راجع محمد تقي فلسفي، الأفكار والرغبات بين الشيوخ والشباب، ج١، ص٩٨.

(٢) راجع د. علي القائمي، الأسرة والطفل المشاكس، ص٨ ـ ٩.

(٣) راجع باقر شريف القرشي، النظام التربوي في الإسلام، ص٣٩.

النقطة الثانية: ضرورة التربية وأهدافها:

تعتبر التربية من ضروريات الحياة، وشأن أصيل من شؤون الإنسان، بها يكسب مقوماته النفسية والاجتماعية، فمن لم يتلق التربية، لايخسر نفسه فحسب، بل يمثل من الوجهة الاجتماعية ضرراً جسيماً علىٰ الناس أيضاً، فالطواغيت والمتغطرسون والمجرمون من الشذاذ هم نتاج تربية مغلوطة، كما انّ الصالحين والأخيار يصلون إلىٰ المراتب الرفيعة عن طريق التربية الصحيحة.

وبناء عليه فانّ للتربية أهمية وتأثيرات فردية واجتماعية لايستهان بها، فعلىٰ صعيد الفرد، تؤثّر في نمو الجانبين المادي والمعنوي، وعلىٰ صعيد المجتمع تساعد في رقيه وتطوره واستقراره(١).

ومن هنا نجد فوائد التربية علىٰ جميع الصعد والمجالات كما سنبين فيما يلي.

(أ) علىٰ الصعيد السياسي: تؤدّي إلىٰ إيجاد النضج والتحول، وتخلق عند الاشخاص محفزات الرقي والتطور، وبذلك تصبح الحكومات شعبية، ويصار إلىٰ تنمية المجتمع، وإيجاد التنظيمات البنّاءة، فتساهم في تطوير المجتمع وصيانة استقلاله، فالتربية هي المعيار المعوّل عليه في التأخر أو التقدّم في عالم اليوم.

(ب) علىٰ الصعيد الاجتماعي: تخلق التربية فرداً صالحاً ينفع بلده، ويعمل في سبيل خدمة مجتمعه، لانّه يكون بعيداً عن الأنانية، فيكون ملتفتاً إلىٰ مصالح

(١) راجع د. علي القائمي، الأسرة والطفل المشاكس، ص ١٠.

الآخرين ومراعاة حقوقهم ومساعدة المحتاجين.

(ج) **علىٰ الصعيد الاقتصادي**: تنشئ التربية فرداً منتجاً، كفوًّ قادراً علىٰ دفع بلده إلىٰ مرحلة الاكتفاء.

(د) **علىٰ الصعيد الثقافي**: الذي يعتبر مجموعة المعارف والقيم والآداب وغير ذلك. فيكون تأثير الفرد فيها إما نقداً بناءً، أو نقلاً واعياً أو اثراء ثقافياً عن طريق الخلق والابداع[١].

قوام البناء التربوي:

وينبغي الالتفات إلىٰ وجود مجموعة من الأمور الّتي تعتبر من المؤثرات في البناء التربوي ومنها:

١ ـ الوراثة:

وهي ميل طبيعي في الفرع لمشابهة أصله، وقد أكّد الإسلام علىٰ هذا العامل تأكيداً بليغاً، وقد اشارت بعض آيات القرآن الكريم إلىٰ ذلك.

قال تعالىٰ: **﴿وقال نوح رب لا تذر علىٰ الأرض من الكافرين ديّاراً انّك إن تذرهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا إلّا فاجراً كفّاراً﴾**[٢].

فإنّ الآية الكريمة تشير إلىٰ ما خلص إليه نوح عليه السلام من أن مواليد الكفّار يرثون منهم، من جملة ما يرثون، الميل إلىٰ الالحاد والكفر.

---

(١) راجع م. س. ص ١١ ـ ١٤.

(٢) نوح (٢٦ ـ ٢٧).

وقد أثر عن الرسول ﷺ أنّ رجلاً من الأنصار أقبل إليه فقال له: «يا رسول الله، هذه ابنة عمي وأنا فلان، حتىٰ عدّ عشرة من آبائه، وهي ابنة فلان حتّىٰ عدّ عشرة من آبائها، وليس في حسبي، ولا في حسبها حبشي، وأنّها وضعت هذا الحبشي، فأطرق ﷺ ثمّ رفع رأسه، وقال له، إنّ لك تسعة وتسعين عرقاً، ولها تسعة وتسعون عرقاً، فإذا اشتملت اضطربت العروق، وسأل الله، عزّ وجلّ، كلّ عرق منها أن يذهب الشبه إليه، قم، فانّه ولدك، ولم يأتِ إلا من عرق منك أو عرق منها، فانصرف الرجل آخذاً بيد امرأته وولده»(١).

وتأكيداً علىٰ هذه الحقيقة، فقد حدّد الشارع مجموعة من مواصفات لابدّ من توفّرها في كلّ من الزوجين.

فمن الأحاديث الواردة في اختيار الزوجة، ماروي عن الرسول ﷺ **«ايّاكم وخضراء الدمن...»**(٢)، أو **«اختاروا لنطفكم فإن الخال أحد الضجيعين»**(٣) أو **«أنكحوا الأكفاء، وانكحوا فيهم، واختاروا لنطفكم»**(٤)، أو **«تخيّروا لنطفكم، فإنّ العرق دساس»**(٥).

وهذا ما نجده في النسب الطاهر لأئمة الهدىٰ عليهم السلام حيث تقلبوا بين الاصلاب الشامخة والارحام المطهّرة.

---

(١) باقر شريف القرشي، النظام التربوي في الإسلام، ص ٤٠.

(٢) الحسن بن فضل الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص٢٠٣، محمد بن علي الاحساني، عوالي اللآلي، ج ١، ص ٢٥٨.

(٣) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦٤، ص ٧٨. محمّد بن علي الإحسائي، عوالي اللآلي، ج ١، ص ٢٥٩.

(٤) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٣٧٥.

(٥) الحسن بن فضل الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ١٩٧.

وعندما استشار إبراهيم الكوفي، الإمام الصادق عليه السلام في الزواج، قال له: **«انظر اين تضع نفسك، ومن تشركه في مالك، وتطلعه علىٰ دينك وسرّك، فإن كنت لابدّ فاعلاً، فبكر تنسب إلىٰ الخير، وإلىٰ حسن الخلق...»**[١].

امّا ما يرویٰ في اختيار الزوج: فإنّ الأمر لابدّ أن يكون بنفس الدقة، فقد روي عن الرضا عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله انّه قال: **«النكاح رق، فإذا انكح أحدكم وليدة، فقد ارقها، فلينظر أحدكم لمن يرق كريمته»**[٢]، أو كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«شارب الخمر لا يزوج إذا خطب»**[٣].

أو كما عن الصادق عليه السلام: **«من زوّج كريمته من شارب خمر، فقد قطع رحمه»**[٤].

وقد أثبت العلم الحديث هذه الحقيقة، وأنّ وراثة المولود، لايحددها أبواه المباشران فقط، بل هو يرث من جدوده وآباء جدوده، وجدود جدوده، وهكذا...»[٥].

فبالوراثة تحدد أغلب خصائص وصفات الشخصية، حيث تخلق الاستعداد في النفس، فإذا وجدت البيئة المناسبة نمت وترعرعت بالاتجاه المناسب لها، والصفات الّتي تنتقل بالوراثة هي الصفات الجسمية والعقلية، والطباع والسجايا، والميل في أعضاء الجسد نحو القوة ونحو الضعف، والمزاج،

---

(١) الحسن بن فضل الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص١٩٩، محمد باقر المجلسي، بحار الانوار، ج١٠٠، ص٢٣٢.

(٢) محمد بن علي الإحساني، عوالي اللآلي، ج٣، ص٣١٠.

(٣) م. س. ص٣٤١.

(٤) الحسن بن فضل الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص٢٣٨.

(٥) راجع د. فاخر عقل، علم النفس التربوي، ص٣٩.

وغرابة الطبع[١].

٢ ـ المحيط:

هو المكان المناسب لنمو الاستعداد والقابلية الّتي تخلق بالوراثة، وهـذا المحيط يمكن أن نلخصه بمجموعة الأمور التالية وهي:

الاسرة، والاصدقاء، والمجالس الثقافية، والمساجد، والعلماء، والدولة.

وهي مجموعة أُمور يمكن أن تنتج عنها مسألتان:

الأولىٰ: القيم المعنوية الّتي تشمل: ـ الإيمان بـالله ـ الإيـمان بـالثواب والعقاب. ـ ذكر الله ـ ذكر الموت ـ الاعتراف بالذنب ـ الاستغفار ـ التوبة ـ الرضا بالقضاء.

الثّانية: تفعيل الرقابة الذاتية للفرد والمجتمع ومنها:

أ ـ تنمية الحياء: وهو الشعور بالانفعال نتيجة الخوف من اللوم والتوبيخ من الآخرين، وهو شعور تراعىٰ فيه المـثل والقـيم والضـوابـط الاجـتماعية، ويـحصّن الإنسـان مـن انـواع الانـحراف والرذيـلة، وقـد ورد عـن أمـير المؤمنين عليه السلام: «الحياء لباس سابغ، وحجاب مانع، وستر من المسـاوئ واقٍ، وحليف للدين، وموجب للمحبّة، وعين كالئة تذود عن الفسـاد، وتـنهىٰ عـن الفحشاء»[٢]. وعنه عليه السلام «غاية الأدب أن يستحي الإنسان من نفسه»[٣].

---

(١) راجع د. عبد الفتاح دويدار، سيكولوجية النمو والارتقاء، ص ٨١.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢٠، ص ٢٧٢.

(٣) م. س. ص ٢٦٥.

(ب) ـ **تحكيم الضمير:** وهو الرادع الداخلي الذي يقدر ماهو حسن وما هو قبيح.

(ج) ـ **اثارة الوجدان:** وهو ادراك الفرد لحقائق السنن الّتي تتحكّم في العلاقات، والمسيرة الاجتماعية، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «من زنىٰ زني به»[١]. وهو تعبير عن مقولة (كما تدين تدان).

(د) ـ **محاسبة النفس:** فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر»[٢].

(هـ) ـ **الرقابة الاجتماعية:** وهو ما عبّر عنه أمير المؤمنين عليه السلام: «من استقبل وجوه الآراء، عرف مواقع الخطأ»[٣].

بقي أن نشير إلىٰ أنّ معظم الكتابات في التربية الإسلامية مرتبط بمرحلة الطفولة، بينما يعنى لفظ التربية في الحقل التربوي بجميع مراحل العمر الّتي يمرّ بها الإنسان بالإضافة إلىٰ ما يلاحظ من عناية تلك الكتابات بالجانب الاخلاقي عند الإنسان[٤].

ومن كلّ ما تقدّم، نصل إلىٰ أنّ معنىٰ التربية يدور ويتركّز في العناية التامّة والرعاية الكاملة للإنسان في مختلف مراحل حياته، وفي كلّ شأن من

---

(١) م. س. ص ٣٢٣.

(٢) الإمام علي، نهج البلاغة، ج ٤، ص٥٠٦.

(٣) محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٨، ص ٢٢.

(٤) راجع فتحي علي يونس وآخرون، التربية الدينيّة الإسلامية بين الاصالة والمعاصرة، ص ٤٢.

شؤونها[١].

أهداف التربية:

تعدّدت وجهات النظر في تحديد الأهداف التربويّة، تبعاً للاختلاف في تفسير مجال التربية، فقد قصر البعض نظره علىٰ الأهداف الروحية، ونظر بعض آخر إلىٰ الأهداف المادية، والبعض الثالث نظر إلىٰ الأهداف الاجتماعية، والنظر الرابع كان إلىٰ النمو الفردي والتكوين الشخصي، ولا بأس أن نتعرض لكلّ منها علىٰ نحو الإجمال:

(أ) ـ **الأهداف الروحية**: فإنّ أرباب التربية الإسلامية ذهبوا إلىٰ أنّ الغرض هو تطهير النفس، وصفات الذات، والاتصال بالله تعالىٰ، وهو من اسمىٰ الغايات وانبل المقاصد، وهو ما اكّده فرويد قائلاً: «انّ الغرض من التربية، حياة طاهرة مقدّسة، ملؤها الإخلاص والطهارة»[٢].

(ب) ـ **الأهداف المادية**: وأنّ الغرض من التربية هو إعداد الناشئين لاكتساب العيش، لأنّ الإنسان ملزم بالسعي لاكتساب رزقه ووسائله، وليس هنالك وسيلة أهم من الحصول علىٰ الطعام.

(ج) ـ **الأهداف الاجتماعية**: وكما يقول جان بياجه: «انّ أهم أهداف التربية، تحقيق الازدهار التام لشخصية الإنسان، ودعم حسن الاحترام لحقوق الغير، وللحريات الأساسية، كما يجب علىٰ التربية أن تعزّز روح التفاهم

---

(١) راجع خالد حامد الحازمي، اصول التربية الإسلامية، ص١٨.

(٢) باقر شريف القرشي، النظام التربوي في الإسلام، ص٣٩.

والصداقة بين كافة الشعوب، وكافة الجامعات العنصرية»[١].

(د) ـ **الأهداف المتعلّقة بالنمو الفردي والتكوين الشخصي:** ويقصد منه عملية متابعة الطفل، وتوجيهه ليكون واعياً صالحاً، من جميع نواحي السلوك الجسمية والعقلية وربّما اعتبرنا هذا الأخير شاملاً للأهداف الثلاثة السابقة.

ولأجل هذا وجمعاً بين هذه الأهداف كما هو الحق من شمولية مفهوم التربية، نعتبر أنّ المراد هو التوصّل إلىٰ إنسان يحمل روح المسؤولية، بحيث يرىٰ نفسه مسؤولاً أمام ذاته وأمام خالقه وأمام النّاس والطبيعة، لكي يبلغ بروحه أرفع درجات الكمال والجمال الممكنين.

فالمقصود هو إيجاد إنسان حر، طليق من قيود العبودية والذل للآخرين، ومتحرر من أغلال الذنوب والانحرافات، فمن خلال التربية نرتفع بالانسان إلىٰ كائن يجسّد الدين وتعاليمه، وتتجلّىٰ فيه القدوة والمثل والقيم، ويحمل شخصية تمتاز بالسمو والتكامل[٢].

---

(١) باقر شريف القرشي، النظام التربوي في الإسلام، ص ٣٩.

(٢) د. علي القائمي، الأسرة والطفل المشاكس، ص ١٥.

النقطة الثالثة: السفر، أبعاده، تأثيره علىٰ الإنسان:

ففي اللغة[١]، سَفَرَ البيت، وغيره سَفَرَه سَفْراً: كنَسَه.

والسفرة: المكنسة، وأصله الكشف.

والسُفارة: الكُناسة، وقد سفره: كشطه.

وسفرت الريح الغيم عن وجه السماء سفراً فاسفَر: فرَّقته فتفرَّق.

والسفير: ما سَقط من ورق الشجر وتحات.

وسفرت الريح التراب والورق سفره سفراً: كنسته، وقيل ذهبت به كل مذهب.

ويقال: أسفر مقدّم رأسه من الشعر، إذا صار أجلح.

والأسفار: الانحسار.

وفي حديث النخعي: انّه سفر شعره، أي استأصله، وكشفه عن رأسه، وأسفرت الإبل إذا ذهبت في الأرض.

والسَّفر: خلاف الحضر، وهو مشتق من ذلك لما فيه من الذهاب والمجيء، كما تذهب الريح بالسفير من الورق وتجيء، والجمع اسفار.

ورجل مسافر: ذو سفر، وليس علىٰ الفعل. لأنّه لم يرَ له فعل.

والسفر: بياض النهار، وأسفرت اصبحت، وأسفر الصبح، تقول: رح بنا إلىٰ

(١) راجع محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٢٦٧، الخليل بن احمد، العين. ج ٧، ص٢٤٦، إسماعيل بن حداد الجوهري، الصحاح، ج ٢، ص٦٨٦.

المنزل بسفر، أي قبل الليل.

ووجه مسفر: منير مشرق سروراً وحسناً.

قال الأزهري: وسمي المسافر مسافراً، لكشفه قناع الكِن عن وجهه، ومنازل الحضر عن مكانه، ومنزل الخفض عن نفسه، وبروزه إلىٰ الأرض الفضاء.

وسمي السفر سفراً، لأنّه يسفر عن وجوه المسافرين وأخلاقهم، فيظهر ما كان خافياً منها.

نستفيد ممّا تقدّم في كتب اللغة، أنّ اللفظ استعمل مجازاً للدلالة علىٰ هذه الحالة الخارجية الّتي تعبّر عن انتقال الإنسان من مكان إلىٰ آخر، قاطعاً للمسافات، مع ما تتضمّنه هذه الحالة من الكشف عن المخبوء من ظاهر الإنسان وباطنه.

فبعد أن كان في حال الحضر مستتراً بحملة من الأمور منها المكان والمقام واللباس، يخرجه السفر، فيبرز إنساناً كما الآخرين تنتابه حالات الحاجة والخوف والاهوال، فينكشف مكنون كنهه، فيظهر إلىٰ العلن ما كان يبطنه من عادات واخلاق وآداب، ربّما لم تكن لتظهر في الحضر عند الرخاء.

فالسفر يعكس في النفوس انطباعاً مهمّاً، هو أنّ الإنسان مهما سما، وعلت منزلته الاجتماعية أو غيرها، ليس مخلوقاً ليخلد إلىٰ بقعة واحدة تختزل كلّ حياته وأسراره، وإنّما هو، ومن اللحظة الأولىٰ الّتي غادر فيها رحم امّه، منتقلاً إلىٰ هذا العالم وسم بقلادة لاتفارقه، وتذكره بانّه مخلوق للتحوّل من بقعة إلىٰ أخرىٰ، ومن عالم إلىٰ آخر، بدليل انّه لم يكن في هذا العالم، بل هو طارئ عليه، وكلّ طارئ لابدّ أن يفارق. وهذا ما ترجمته أجيال وأجيال سبقتنا إلىٰ هذه

الدار، ثمّ غادرتها لتكمل المسار، وهذا ما يدفعه للسعي إلىٰ الاستفادة من الفرص المتاحة في كلّ بقعة من الأرض يتواجد فيها، دون أن يؤثّر في حقيقة الامر شيء، وهو انّه مهما طال به الأمد فسوف يتقلّب بين يدي الأيّام، لذا فمن الحري به أن لا يطمئنّ إلىٰ حاله، ويستعد لما هو آت من الأمور.

وإذا حاولنا، أن نقوم باستقراء ناقص، نجد في شعاع حياتنا، نتيجة تؤكّد ما اسلفناه، ذلك انّه قلّ ما نجد إنساناً لم يسافر في حياته، سفراً ترك بعض الأثر في حياته، وبالحد الأدنىٰ، ما عاشه من هاجس الإعداد والتهيّؤ له، وذلك لكي لا يقع فريسة حاجة يهمّه الحصول عليها، تحول العوامل الزمانية والمكانية دونها، فيعيش بالتالي تبعات نقصها، وهو يحمل مسؤولية نسبية من جرّاء التقصير في تحصيلها.

هذا مضافاً لبصمات الإرهاق والجهد والتعب، الّتي تخلفها حاجة الوصول إلىٰ مكان آخر هو مقصده من حركته، وفي هذه الحال نجد مجموعة من الأمور تطفو علىٰ ظاهره بشكل تلقائي، كاشفة عن امور مستورة لم تُعهد فيه من قبل. من أنانية لم يحسن تأديبها، تحاول اقتناص شربة ماء لنفسها وإن كان ذلك علىٰ حساب طفل رضيع أو امرأة قد اجهدها التعب، أو هرولة مشبوهة لكي يحظى ويتفرّد بفراش وثير لسويعات قليلة سوف يحرمه الطريق منه بعد آن قليل، أو تشبّث بقرص افرزه الحرص، أو ضنّاً بدرهم لمحتاج نتيجة بخل، كلّ ذلك مع فظاظة طبع، وسوء أخلاق يعكّر صفو الطريق، ويزيده صعوبة إلىٰ صعوبته.

وهذه امور، لم يكن ليرتكبها في حضره، وهو ملجوم بمجموعة من الأمور الاجتماعية الّتي لو خالفها، لسجنته في زنزانة طبعه، جزاء، فيأتي بها

خوفاً أو رياء وسمعة فيقف عند كلّ ذلك نادماً علىٰ امور كان باستطاعته اصلاحها فأهمل وتركها، فاوقعته في مشاكل جمّة، وكشفت القناع عن حقيقة مرّة، تلك الحقيقة الّتي يخفيها عن الآخرين.

ومن هنا يقف علىٰ حقيقة في غاية الأهمية، هي ملتقىٰ بني البشر، ولا مفر لهم منها، ذلك سفر الآخرة.

لذلك يحاول أن يستفيد من تأملاته ومعاناته في طريق سفر من اسفاره في الدنيا، وما قاساه من مشاكل ومتاعب، وما احتاجه من امور كان يمكنه إعدادها، ولكن بسبب تقصيره وتفريطه تلكّأ في ذلك، فاعقبه ندماً وخسارة في الطريق. وكم افنىٰ من اوقاته العزيزة الّتي لا تعوّض، للوصول إلىٰ غاية جزئية يحتاجها في بقائه. ومع هذا، فما دام في الدنيا، يمكنه أن يكرّر ويعيد، ويعوّض مافات. ولكن كيف السبيل إذا ما اعلنت لحظة السفر الطويل، وما يرافقه من اهوال وعقبات، ألا يجدر بكلّ منّا أن يراجع حساباته، ويهيء ماهو مفيد لسفره، خصوصاً وأن الطريق طويل طويل، ولا مجال للعود والتدارك، ولحظة الانطلاق محجوبة، تأتينا فجأة، لايمكننا أن نصطحب معنا إلّا ما سبق واعددناه.

فهل نحن مستعدّون لهذه اللحظة، بحيث يغدو سفرنا هانئاً وادعاً، خالياً من الأخطاء والأخطار، وطريقنا يوصل إلىٰ غاية المنىٰ والهدف الاسمىٰ، فنفوز فوزاً عظيماً؟

النقطة الرابعة: أهمية السفر في حياة الإنسان:

إنّ ادنىٰ تأمّل في ما مرّ من الحديث عن السفر من الأُمور الّتي جعلها الشارع المقدّس في متناولنا، اضافة إلىٰ اضعافه ممّا غاب عنّا واغفلنا من ذكره في مايخصّ هذا الموضوع، يدفع الإنسان إلىٰ الإذعان والاعتراف بما لهذه الحالة من التأثير علىٰ حياة البشر.

ولأجل ذلك، وضعت رسوم وآداب وقوانين، تحفّ به من كلّ جانب، لكي تجعل منه محراباً يعجّ بالروحانية، ويحوّل وعثاءه وعناءه إلىٰ حالة معنوية رفيعة، تجعل من المتلبّسين به، فيما لو ساروا علىٰ هدي الرسالة وأنوارها، نماذج يقتدىٰ بها، لأنّها سوف تتحوّل إلىٰ مصاديق متحرّكة للمروءة والقيم.

هذا علىٰ صعيد الحياة الدنيا، وهو مقدّمة وتجربة عمليّة يخوضها المكلّف ليكون اكثر استعداداً للسفر الأطول، إذ إنّ أسفار الدنيا مهما طالت، فإن مآلها إلىٰ الانتهاء، وغاية المسافر إلىٰ الاستقرار، لأنّها محدودة بحدود زمانية ومكانية. ومهما اشتدّ العناء وقسا، فهو لا يعدو ساعات ينقضي بانقضائها، ومع ذلك نجد كيف أنّ الشريعة السمحاء وقفت إلىٰ جانب هذا المسافر لترشده إلىٰ كيفية الاستعداد والتأهّب، ماذا يهيء؟ وكيف يتحضّر؟ وبأي شيء يدفع غوائل الطريق وآفاته وقطاعه؟ وكيف يسكن نفسه أمام الوحوش وضراوة السباع وسم العقارب ولدغ الأفاعي؟ مع ضعف بدنه ورقّة جلده ودقّة عظمه.

فيتهيّأ بكلّ ما يقدر عليه، ويستعدّ بكلّ ما يملك، ولا ينسىٰ أن يسأل أهل الخبرة والمران، ويهيء الأسباب، ويوفّر المال والراحلة، ولا يكتفي بنصيحة واحدة، بل يسعىٰ إلىٰ طلب النصيحة من كثيرين، ويستشير المجربين اضافة إلىٰ

ما خبره من تجربة، وعندما يسأل عن سبب ذلك، فإنّ جوابه البديهي هو حسن الاحتياط.

كلّ هذا يجعلنا نقف عند حقيقة حتميّة، هي أن للسفر رهبة في القلوب، وخشية في النفوس، وإن قصرت مدّته وتأكّدت عدّته.

ومن خلال ما مرّ سيأتي من الأدعية والأذكار، يتأكّد بالتلميح والتصريح انّ خاتمة هذه الأسفار هو السفر الأخروي، الّذي يحتاج إلىٰ كلّ طاعة موجودة، وآداب مرّ ذكرها، ولكن بمعان مختلفة.

فإن في السفر الدنيوي يمتلك تعيين الوقت الّذي ينطلق عنده، ومع ذلك، نجد هذا الإنسان مربكاً متحيّراً، يتخبّط هنا وهناك، فكيف العمل عند ذلك السفر الّذي بقي تعيين زمنه من الأسرار الإلٰهيّة الّتي لم يطلع عليها أحد، بل يأتي علىٰ حين غرّة ودون سابق انذار، ألا ينبغي للإنسان أن يهيّىء أسباب سفره؟ هذا مع علمه بانّه لا امكانية للتدارك، فلا يبقىٰ من صدقة لسفره ذاك إلّا العمل الصالح، والطاعة الخالصة، وتقوىٰ الله، والتورّع عن محارمه، وهذا رفيق سفره الّذي ينير ظلمة قبره، ويؤنس وحشته ووحدته، فالزاد هو ما أعدّ من العمل الصالح وما اتىٰ به من الطاعات وتركه من المحرّمات.

فكيف يكون حاله؟ لو كان ما أعدّه من زاد لا يكفيه ولا يوصله حتّىٰ إلىٰ حافّة القبر حيث يستنفذ ما عنده من الحسنات الّتي أعدّها.

ماذا يفعل عندما يستقبله الملك علىٰ اقبح صورة عقاباً له علىٰ ما كان ارتكبه من التعرّض لأعراض الناس واموالهم؟ بل من خيانة نفسه، وعدم رعايتها كامانة اودعها الله فيه. وقد ورد أنّ إبراهيم عليه السلام سأل ملك الموت يوماً أن يريه الصورة الّتي يأتي بها لقبض روح الكافر بنعم الله وتوحيده، فأجابه ملك

الموت بأنّه لايقدر علىٰ تحمّله، وبعد أن الحّ عليه إبراهيم عليه السلام، ادار الملك بوجهه ثمّ التفت إلىٰ إبراهيم عليه السلام، وإذا به يغمىٰ عليه، ثمّ بعد أن استفاق خاطب ملك الموت قائلاً: لو لم يلاقِ الجاحد من العذاب والعقوبة إلّا تلك الصورة لكفاه ذلك عذاباً.

وبالمقابل فإنّ هذا السفر علىٰ المؤمن الّذي وعىٰ خطورة الأمر وصعوبة الطريق فأعدّ واستعد، كأطيب ريح يشمّه فينعس لطيبه وينام.

فإنّ الغفلة الّتي تؤدّي به إلىٰ نسيان تلك اللحظات، حيث يتلهّىٰ بالمال والبنين، تصدمه في أوّل تلك اللحظات، إذ إنّ ماله لن يعطيه إلّا بمقدار كفن يستر به عورته أمّا حقّه علىٰ ولده، فإنّهم يوصلوه إلىٰ حفرته، لكن يبقىٰ شيء لابد أن يرافقه في هذا السفر، وهو عمله، فإنّه يخاطبه معك معك ولن اتخلّىٰ عنك، فإن كنت بي حفيّاً، ولحقي مراعياً، حوّلت قبرك إلىٰ روضة من رياض الجنّة، وإلّا فالويل لك إذ انّك ستلقىٰ في حفرة من حفر النيران.

ففي سفر الدنيا، قد يتمكّن الإنسان أن يعوّض نقصاً يصادفه ويكمل سيره، إذ هو في دار فيها عمل ولا حساب، ولكن كيف السبيل في ذلك السفر إلىٰ تحصيل حسنة ربّما تكون مندوحة يتنفّس من خلالها الصعداء سوىٰ ما يصله من صدقة كان قد اجراها، أو ولد أحسن تربيته وتأديبه فكان صالحاً يتذكّره ويهديه الصالحات، أو علم علّمه تصله أنواره في ذلك الطريق.

امّا المال الّذي طالما تجاوز وتعدّىٰ حرصاً علىٰ جمعه، حتّىٰ بخل علىٰ نفسه في سبيل جمعه، مانعاً ما وجب فيه من الزكاة والخمس، مقتراً علىٰ عياله، بخيلاً علىٰ الفقراء، محجماً عن إعمار دور العبادة، وتعليم المساكين، مع علمه ان الدراهم ثلاث، واحد لأمر الدنيا والمعاش، والثاني للآخرة، والثالث فضل لا

خير فيه.

فلنعد إلىٰ انفسنا، ونراجع حساباتنا، ونحاول أن نصلح ما مضىٰ، ونـجبر ذلك التقصير بتوبة نصوح، فنتزوّد في ما بقي من أيّام حياتنا لأخرانا.

فالصلاة، الّتي غفلنا عنها، نحاول تصحيحها ونستشير أهل الخبرة لكـي نتزين بها فإنّها عمود الدين، أن قبلت قبل ما سواها، وإن ردّت ردّ ما سواهـا، وكذا الصيام، والحج، وكيف نخرج من ديون الله وديون الخلق الّتي علينا وكيف نصلح سريرتنا بالإيمان والتقوىٰ، وعلانيتنا بالعمل الصالح الخالص المقبول من رب العالمين عزّوجل.

ويتصوّر بغسله لسفر الدنيا، وهو ممدود علىٰ المغتسل يغسله الآخرون، ولتكن صلاته صلاة مودّع، إذ لعلّها آخر ما يأتي به في هذه الدنيا الفانية، وأن كلّ ما كان بعهدته في هذه الدنيا، إنّما يرعاه الله في الحقيقة، ويتذكّر عند قيامه علىٰ باب داره، قارئاً لسور القرآن، خروجه من داره علىٰ الأكف، فيحدّد ما عليه من الحقوق. وعند وداعه لأهله، يتذكّر وداعهم له عند شفير القبر.

وما يفيده في سفره، حسن الصحبة لمن صحبه، وهو مـا يـتجلّىٰ له فـي حقيقة القبر. وهنا تتّضح اهمية الزاد، كما عن أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخاطب أهل القبور، ثمّ يتوجّه إلىٰ اصحابه قائلاً: «اما لو أذن لهم بالكلام لقالوا: إنّ خير الزاد التقوىٰ»[١].

(١) الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، ج ٤، ص٣١ ـ محمد باقر المجلسي ـ بحار الانوار، ج١٠٢، ص٢٩٦.

النقطة الخامسة: مفهوم الحجّ:

الحج لغة هو القصد، فيكون المراد من (حجّ الينا فلان) قدم إلينا.

وحجّه يحجه، أي قصده.

والحج كثرة القصد إلىٰ من يعظم[١].

ثمّ صار المتعارف استعماله في القصد إلىٰ مكة للنسك.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿الحج أشهر معلومات﴾[٢] وهي شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة، ومعناه أنّ وقت الحج هذه الأشهر[٣].

والمتعة في الحج هو ما يعرف بحج التمتع، وهو كناية عن ضم العمرة إلىٰ الحجّ، بحيث يصيران عملاً واحداً[٤]. وبالتالي يجب علىٰ المتمتّع الأضحية عند ذلك.

---

(١) الخليل بن احمد، العين، ج ٣، ص٦.

(٢) سورة البقرة (١٩٧).

(٣) راجع محمد بن مكارم ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص٢٢٦.

(٤) راجع الخليل بن احمد، العين، ج ٢، ص ٨٣.

المبحث الثاني:

تشريع الحج وأهدافه

لكي يقف الإنسان علىٰ حقيقة التشريع، والهدف الّذي من أجله قامت هذه الشعيرة الإلٰهية، والممارسة العملية والكلامية الّتي تصبغ شخصية المكلّف المطبّق، وكيف تمتاز عمّن سواها بطابع خاص، كان لابدّ من الوقوف علىٰ هذا المعلم من معالم الطاعة لله تعالىٰ، والّذي يتضمّن ممارسة الأعمال فيه أهدافاً حقيقية، هي أهداف الشريعة الغرّاء، كان لابدّ لنا أن نعود إلىٰ رحاب الثقلين، وهما القرآن الكريم والعترة الطاهرة. وذلك بالالتفات علىٰ حجم الآيات المباركة من القرآن الكريم الّتي عالجت وتحدّثت عن هذه العبادة، والدعوة إلىٰ اقامة هذه الفريضة وفلسفتها، والتعرُّض لتفاصيلها وجذورها التاريخيّة بأسلوب تعميمي، يوجّه خطابه إلىٰ النّاس كافّة، فضلاً عن المؤمنين مع التأكيد والتشديد، وربّما مع التهديد في أحيان أخرىٰ.

الآيات القرآنية:

قال الله تعالىٰ: ﴿إنّ أوّل بيت وضع للنّاس للّذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين * فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ولله علىٰ النّاس

حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فانّ الله غنيّ عن العالمين﴾[١].

فالمراد من وضع البيت للناس، وضعه لعبادتهم، بأن يكون وسيلة لعبادة الله تعالىٰ، (ببكة) هي أرض البيت سميت بذلك لازدحام النّاس فيها، (مباركاً) مفاعلة من البركة وهي الخير الكثير، وهي وإن كانت تشمل البركات الدنيوبة والاخروية، إلّا أنّ ظاهر مقابلتها مع قوله (هدىٰ للعالمين) يكون المراد هو إفاضة البركات الدنيوية، كوفور الأرزاق وتوفر الهمم والدواعي إلىٰ عمرانه بالحجّ إليه والحضور عنده، وكونه هدىً، هو اراءته للنّاس سعادة آخرتهم، ودنياهم أيضاً، فهو يتضمّن جميع انواع الهداية (للعالمين) لا لعالم خاص وجماعة مخصوصة[٢]. (فيه آيات بيّنات) وإن كانت مبهمة، مع ما في المقام من بيان البيت ومزاياه ومفاخره، أوضح بما يليه (مقام إبراهيم)، عطف بيان علىٰ أنّ المراد بالآيات أثر القدم في الصخرة الصماء، وغوصها فيها إلىٰ الكعبين[٣].

عن الصادق عليه السلام حيث سئل عن الآيات البيّنات قال: «**مقام إبراهيم حيث قام علىٰ الحجر فأثرت فيه قدماه، والحجر الأسود ومنزل إسماعيل عليه السلام**»[٤].

(ومن دخله كان آمناً) معطوف علىٰ مقام إبراهيم، فيكون الأمن من الآيات[٥].

عن الصادق عليه السلام قال: «**من دخل الحرم من الناس، مستجيراً به، فهو آمن**

---

(١) آل عمران (٩٦ ـ ٩٧).

(٢) محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ٤، ص ٤٠٠.

(٣) محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، كنز الدقائق، ج ٣، ص ١٦٧.

(٤) محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج ٤، ص ٢٢٣.

(٥) محمد بن محمدرضا القمي المشهدي، كنز الدقائق، ج ٣، ص ١٦٩.

من سخط الله، ومن دخله من الوحش والطير كان آمناً من أن يهاج أو يـؤذى حتّىٰ يخرج من الحرم»[١].

(ولله علىٰ النّاس حجّ البيت) تتضمّن تشريع الحج (ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) والكفر بمعنىٰ الترك، فلن يضر الله شيئاً[٢].

فـ(من كفر) تأكيد لوجوبه، وتغليظ علىٰ تاركه، فهو علىٰ نـحو الصـيغة الاسمية، علىٰ وجه يفيد انّه بحق واجب لله في رقاب النّاس[٣].

فالمقصود للآية هم الناس، والهدف هداية العالمين، فعلىٰ النّاس أن يلبّوا النداء، ويهبّوا لاقامة الحج، بحيث تحصل للإنسان البركة والهداية لما فيه صلاح الدنيا والآخرة، حيث تتّضح الرؤيا مـن مشـاهدة الآيـات، ويـتحقّق الأمـن والأمان، ومن أنكر ذلك وكفر به، فإنّه لن يضر سوىٰ نفسه، لأنّه سـوف يـضيع فرصة الوصول إلىٰ تلك المضامين الّتي مكنه الله من الوصول إليها.

وفي استعراض لآيات اُخرىٰ، نجد أنّ النـداء مـوجّه للـنّاس عـامّة. إذ الرحمة الإلٰهية وسعت كلّ شيء، فكانت الهداية لكلّ شيء، ولكن النّاس انفسهم يظلمون.

قال تعالىٰ ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للنّاس وأمناً واتّخذوا من مقام إبراهيم مصلّىٰ﴾[٤].

---

(١) محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج ٤، ص٢٢٦.

(٢) محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ٤، ص٤٠٧.

(٣) محمد بن محمدرضا القمي المشهدي، كنز الدقائق، ج ٣، ص١٧٨.

(٤) البقره (١٢٥).

وأيضاً قوله ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للنّاس﴾[١]. وكذلك ﴿وأذن في النّاس بالحجّ يأتوك رجالاً وعلىٰ كلّ ضامر يأتين من كلّ فجّ عميق * ليشهدوا منافع لهم﴾[٢].

فإذا لاحظنا الآيات، نجد أنّ الموضوع الّذي من أجله جعل البيت هو الناس، وأنّ البيت مقصدهم للأمن والأمان، وبه تقوم امورهم وتستقيم، وكلّ ذلك لأجل منافع لهم سوف يتبيّن المقصود منها بعد ذلك.

ثمّ إنّ الآيات المباركة، تحمل في طياتها اشارة إلىٰ بعض الدروس التربوية والعبر، والأهداف الّتي من أجلها كانت العبادة.

١ ـ قوله تعالىٰ: ﴿ولكلّ امّة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله علىٰ ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها واطعموا...﴾[٣].

فالمراد هو ذكر الله تعالىٰ، بالشكر والطاعة والتسليم، وأنّ الرزق إذا اعطاه الله

فإنّ للآخرين فيه حقاً، وهذا ما يُفهم من الآيات التالية أيضاً.

٢ ـ ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف... كذلك سخّرناها لكم لعلّكم تشكرون * لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوىٰ منكم...﴾[٤].

---

(١) المائدة (٧٩).
(٢) الحج (٢٧ ـ ٢٨).
(٣) الحج (٣٤).
(٤) الحجّ (٣٦ ـ ٣٧).

٣ ـ ﴿ذلك ومن يعظّم حرمات الله فهو خير له عند ربّه﴾[(١)].

٤ ـ ﴿ذلك ومن يعظّم شعائر الله، فإنّها من تقوىٰ القلوب﴾[(٢)].

فالجامع الّذي يسعىٰ الإسلام إلىٰ تحقيقه من خلال الضوابط والاحكام، الّتي فرض احترامها وتعظيمها علىٰ المسلم، علىٰ انّها حرمات الله وشعائره، هدفه صبغ شخصية المسلم بكيفية خاصّة، بحيث يحمل في طيّاته روح التسليم لله، واستحضار التقوىٰ في كلّ حركته، وهذا من أهم الأصول والفلسفات التربويّة الحاكمة في مسيرة حياة الإنسان، حيث يضاف إلىٰ روح التعبّد، حالة التعقّل، فيحصل علىٰ سمة التقوىٰ الرافعة لروح الإنسان وعلىٰ هذا فيمكن تلخيص هذه الأهداف الّتي نصّ عليها الكتاب الكريم بما يلي:

١ ـ ذكر الله وحده في كلّ حال ومجال، واجتناب رجس الشرك على كلّ المستويات تصوّراً واعتقاداً وتعلّقاً وسلوكاً.

٢ ـ تنمية روح التقوىٰ، الّتي بها فلاح الإنسان، والفوز بالسعادة الأبدية.

٣ ـ الاستفادة من المنافع المشهودة من خلال موسم الحج، الاقتصاديّة والسياسية والثقافية والاجتماعية والمعنوية، عن طريق التسامي الروحي والمعنوي في جميع لحظات هذا الموسم، فالخالق تعالىٰ جعل أداء هذا الواجب حقّاً له، والاعراض عنه كفران للنعم. وكفر بالمنعم، وهو بالتالي خسارة للمنافع المرجوّة.

دون اغفال الجذور التاريخية العريقة لهذه الشعائر، من تثبيت قواعد

(١) الحجّ (٣٠).
(٢) الحجّ (٣٢).

البيت، وما استلزم من إرساء قواعد هذه الفريضة في المجتمع الإسلامي، الّتي قام إبراهيم عليه السلام وامتثالاً للأمر الإلهي بالنداء لاحياء هذه الفريضة المقدّسة.

من سيرة أهل البيت عليهم السلام:

دأب أهل البيت عليهم السلام علىٰ تطبيق الأمر الإلهي عمليّاً، إلىٰ جنب ما أثر عنهم من النصوص الهامّة الّتي سوف نتعرّض لها بقدر حاجة البحث، وللتدليل علىٰ اهمية الفريضة نجد أنّ الإمام المجتبىٰ عليه السلام قد حجَّ عشرين حجة ماشياً علىٰ قدميه، والنجائب تقاد بين يديه[١]. وفي روايات أخرىٰ (خمساً وعشرين حجة)، وهذا ما روي عن الإمام الحسين عليه السلام ايضاً[٢].

وقد نقل عن سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام، انّه توجّه للحجّ صغيراً، ولا بأس بسرد هذه القصة لما فيها من العبر والموعظة.

فعن إبراهيم بن الأدهم وفتح الموصلي، قال كلّ واحد منهما: «كنت اسيح في البادية مع القافلة، فعرضت لي حاجة، فتنحّيت عن القافلة، فإذا أنا بصبي يمشي، فقلت سبحان الله، بادية بيداء، وصبي يمشي! فدنوت منه، وسلّمت عليه، فردّ عليّ السلام، فقلت له: إلىٰ اين؟. قال: «اريد بيت ربّي». فقلت: حبيبي! انّك صبي، وليس عليك فرض ولا سنّة، فقال: «يا شيخ، ما رأيت من هو اصغر سنّاً منّي مات؟. فقلت: ايـن الزاد والراحلة؟. فقال: «زادي تقواي، وراحلتي رجلاي، وقصدي مولاي... (إلىٰ أن ذكر انّه كان علي بن الحسين عليه السلام)[٣].

---

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١١، ص ٨٣، ب ٣٣، وجوبه وشرائطه، ح ٦.

(٢) ميرزا حسين النوري، المستدرك، ج ٨، ص ٤٩.

(٣) ميرزا حسين النوري، المستدرك، ج ٨، ص ٣١.

فقلت: «ما ارىٰ شيئاً من الطعام معك! فقال: «يا شيخ، هل يستحسن أن يدعوك إنسان إلىٰ دعوة، فتحمل من بيتك الطعام؟ قلت: لا. قال: «الّذي دعاني إلىٰ بيته هو يطعمني ويسقيني، فقلت: أرفع رجلك حتّىٰ تدرك (اركب الراحلة حتّىٰ تدرك الحج).

فقال: «علي الجهاد، وعليه الإبلاغ». أما سمعت قوله تعالىٰ ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وأنّ الله لمع المحسنين﴾[1]. قال: فبينا نحن كذلك، إذ اقبل شاب. حسن الوجه، عليه ثياب بيض حسنة، فعانق الصبي وسلّم عليه، فأقبلت علىٰ الشاب وقلت له: «اسألك بالّذي حسن خلقك من هذا الصبي؟ فقال: أما تعرفه! هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فتركت الشاب، واقبلت علىٰ الصبي، وقلت: «اسألك بآبائك، من هذا الشاب؟ فقال: أما تعرفه!. هذا اخي الخضر، يأتينا كلّ يوم فيسلّم علينا. فقلت: اسألك بحقّ آبائك لما اخبرتني بما تجوز المفاوز بلا زاد؟ فقال: «بل اجوز بزاد، وزادي فيها اربعة اشياء» قلت: وماهي؟ قال: «ارىٰ الدنيا كلّها بحذافيرها مملكة الله، وأرىٰ الخلق كلّهم عبيد الله وإماءه وعياله، وأرىٰ الأسباب والارزاق بيد الله، وأرىٰ قضاء الله نافذاً في كلّ أرض الله». فقلت: نعم الزاد زادك يازين العابدين، وانت تجوز بها مفاوز الآخرة، فكيف بمفاوز الدنيا!»[2].

وعن عبدالله بن المبارك قال: حججت بعض السنين إلىٰ مكّة، فبينما أنا سائر في عرض الحاج، وإذا بصبي سباعي أو ثماني، وهو يسير في ناحية من الحاج، بلا زاد ولا راحلة. فتقدّمت إليه وسلّمت عليه، وقلت له: «مع من قطعت

---

(١) العنكبوت (٦٩).

البر؟» قال: «مع البار» فكبر في عيني. فقلت: «يا ولدي، واين زادك وراحلتك؟ فقال: «زادي تقواي، وراحلتي رجلاي، وقصدي مولاي» فعظم في نفسي... ثمّ غاب عن عيني إلىٰ أن اتيت مكّة، فقضيت حجّتي ورجعت، فأتيت الأبطح، فإذا بحلقة مستديرة، فاطّلعت لانظر من بها، فإذا هو صاحبي، فسألت عنه، فقيل: هذا زين العابدين[1].

هذا وسنقف علىٰ مواقفهم عليهم السلام في كلّ تفصيل من تفاصيل هذه العبادة، كما روي عن حالة السجّاد عليه السلام كيف كان يصفر لونه عندما يهم بالتلبية.

ونستفيد ممّا مضىٰ، بالإضافة لما سيأتي، أمرين من سيرة أهل البيت عليهم السلام:

الأوّل: المعرفة الواقعية لابعاد هذه الفريضة، والانتقال من الظاهر الملموس إلىٰ الباطن المفعم بالمعاني والدروس، الّتي جسّدها أهل البيت من خلال تركيزهم، علىٰ عظمة البيت، والمضيف، والضيافة، وما تحملوه من المشاق والمتاعب قاصدين البيت بنية خالصة، وتوكل منقطع النظير، واستحضار مطلب مهم هو الحضور الدائم لله في ذواتهم، دون الاغفال عن مظاهر هذه العبادة وما تحمله من أهداف ومقاصد.

الثاني: الإقبال بكلّهم علىٰ الله تعالىٰ، من خلال الأدعية الكثيرة الّتي وردت عنهم في كلّ مفاصل هذه الفريضة بدءً من أوّل حركة باتّجاه البيت، وانتهاء بآخر جزئية من جزئيات هذه العبادة، وما تحتويه تلك الكنوز من مبانٍ تربويّة تشكل بحد ذاتها المدرسة الحقيقية للسلوك، كما في دعاء الإمام

---

(١) الميرزا حسين النوري، المستدرك، ج٨، ص٣١.

الحسين عليه السلام يوم عرفة.

ومن الأُمور الّتي ينبغي أن نطلع عليها، والّتي تركز أركان هذه الفريضة في الاذهان، فتدفع المكلّف اكثر نحو امتثالها، ما أتحفنا به أهل البيت عليهم السلام.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له: «**وفرض عليكم حجّ بيته الحرام، الّذي جعله قبلة للأنام، يردونه ورود الأنعام، ويألهون إليه ولوه الحمام، جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته. وإذعانهم لعزّته، واختار من خلقه سمّاعاً أجابوا إليه دعوته. وصدّقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبّهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يحرزون الأرباح في متجر عبادته، ويتبادرون عند موعد مغفرته، جعله سبحانه وتعالىٰ للإسلام علماً، وللعائذين حرماً. فرض حجّهُ، وأوجب حقّه، وكتب عليكم وفادته، فقال سبحانه ﴿ولله علىٰ النّاس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً * ومن كفر فإنّ الله غني عن العالمين﴾**»[1].

ففي هذا النص، كنز من الأهداف والدروس التربوية لهذا الغرض الالٰهي، فهو علامة لتواضعهم لعظمته، حيث أنّهم يؤدون المناسك ومافيها من كسر لجنبة الكبر في نفوسهم.

وهو محك يتّضح من خلاله عجز الإنسان، وذلته، أمام عظمة الله (جلّ جلاله)، فتتأكّد فيه الطاعة لله تعالىٰ، فيقدمون علىٰ الفريضة مصدقين لكتبه ورسله.

وفوق كلّ ذلك، فهذه العبادة لها قدسية خاصة كانت قبل هذه الأمة من

---

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١١، ص ١٥، ب ١، وجوب الحج، ص ٢١، علي ابن أبي طالب، نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٧، شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٢٣. راجع، جوادي آملي ـ صهباي حج ـ ص ٦٢.

مختصات أصحاب المقامات من الأنبياء، وإكراماً لرسول الله صلى الله عليه وآله جعلت فرضاً علىٰ امّته الّتي هي أشرف الأمم، وهي ميّزة تستوجب الشكر علىٰ هذه المنّة الإلٰهيّة الّتي تفضّل بها علىٰ هذه الأمّة.

فهٰذا الطواف صورة لطواف الملائكة عند العرش، وتشبّهاً بتلك المخلوقات المجبولة علىٰ الطاعة لله وعدم معصيته.

والدرس الآخر الّذي نستفيده هو الالتفات إلىٰ التجارة ذات الربح الواقعي، حيث النجاة من براثن الذنوب، والفوز بمقامات القرب والنجاة والخلود.

كما أنّ هنالك أهداف أخرىٰ تعرّض لها أهل البيت عليهم السلام.

فعن الصادق عليه السلام: «... واعلم أنّ الله لم يفرض الحج، ولم يخصّه من جميع الطاعات بالإضافة إلىٰ نفسه بقوله تعالىٰ: ﴿ولله علىٰ النّاس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾(١).

ولاشرع نبيه صلى الله عليه وآله سنّة في خلال المناسك علىٰ ترتيب ما شرعه، إلّا للاستعداد والاشارة إلىٰ الموت والقبر والبعث والقيامة، وفضل السبق من دخول الجنّة أهلها، ودخول النّار أهلها، بمشاهدة مناسك الحجّ من اوّلها إلىٰ آخرها. لأولي الألباب واولي النهىٰ»(٢).

فهذا درس تربوي آخر، يرشح من معين بحر أهل البيت عليهم السلام، وهي أنّ معالم سفر الحج رموز لمعالم السفر الأخروي، فسفر الحج بعد عن الاهل

---

(١) آل عمران (٩٧).

(٢) الميرزا حسين النوري، المستدرك، ج ١٠، ص ١٧٣.

والأقارب والولد، كما هو سفر الآخرة، ولكلّ منهما متاع يحتاجه المرء في الطريق.

ثمّ عند الميقات، تلبية للنداء، تماماً كتلبية الإنسان لنداء الموت، وغسله فيه بملء الاختيار والارادة شبيه بغسل الموت، مع فارق انّه بوسيلة الآخرين وهو مسجى بينهم، ثمّ يرتدي ثوبي إحرامه، تماماً كالكفن الّذي تتساوىٰ فيه الخلائق، وهكذا تبدأ مرحلة الموت الاختياري، حيث يصبح عاجزاً عن كثير من الأمور الّتي كانت مباحة له قبل الإحرام، إذ يمتنع عنها طاعة لربّه، وكذلك هو بعد تلبية نداء الحق، ثمّ يأتي اجتياز المفاوز والعقبات، وما ترمز إليه من اهوال القبر وعقباته، ثمّ عرفات ومافيها من الاعتراف بالذنوب اشارة إلىٰ المسائلة، والمزدلفة عند هيام الإنسان من قبره تعتليه الغبرة، وعند دخول الحرم دخول الرحمة الإلٰهيّة، وهكذا بقيّة أعمال الحجّ.

والمهم من هذا كلّه، أن يعتاد علىٰ مراقبة اعماله الّتي يقدّمها لزاده الّذي يحمله علىٰ طريق آخرته. كما يراقب نفسه وهو يؤدّي مناسك الحج، خشية من خطأ أو غيره.

من الأهداف الأُخرىٰ، ماورد عن الإمام الرضا عليه السلام.

«وعلّة الحج، الوفادة إلىٰ الله تعالىٰ، وطلب الزيادة وليكون تائباً ممّا مضىٰ، مستأنفاً لمّا يستقبل، ومافيه من استخراج الأموال وتعب الأبدان، وحظرها عن الشهوات واللذات، والتقرّب في العبادة إلىٰ الله عزّ وجلّ، والخضوع والاستكانة والذل، شاخصاً في الحر والبرد، والامن والخوف، دائباً في ذلك دائماً، ومافي ذلك لجميع الخلق من المنافع، والرهبة إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، ومنه ترك قساوة القلب وخساسة الأنفس، ونسيان الذكر، وانقطاع

الرجاء والأمل، وتجديد الحقوق، وحظر الأنفس عن الفساد، ومنفعة من في المشرق والمغرب، ومن في البر والبحر، ممّن يحج وممن لايحج، من تاجر وجالب وبايع ومشتري، وكاسب ومسكين، ومكار وفقير، وقضاء حوائج أهل الاطراف، في المواضع الممكن لهم الاجتماع فيه، مع مافيه من النفقة، ونقل أخبار الأئمّة عليهم السلام إلىٰ كلّ صقع وناحية، كما قال الله (عزّ وجلّ): ﴿فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون﴾[(١)] و ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾[(٢)(٣)].

ويحمل هذا النص، مجموعة من الأهداف المختلفة، فبعضها أُخروي، والآخر دنيوي، يشمل ابعاد الحياة المختلفة، الاقتصادية والاجتماعية، والأخلاقية، والتربوية، ومنها:

اوّلاً: اعلان التوبة وما يستتبعه من المغفرة الّتي وعدها الله المذنبين، بحيث يعود كما ولدته امّه.

ثانياً: بذل الجهد المادي والجسدي، تقرباً إلىٰ الله تعالىٰ، سعياً للحصول علىٰ ذلك الهدف.

ثالثاً: اشعار المكلّف حقارة نفسه، وتسليمه المطلق لخالقه في كلّ ما يطلبه منه، وما فيه من اذلال النفس وتحقيرها.

وهذه الأمور، تعتبر جزءً من المنافع المرجوّة التحقق، لأنّ فيها الخلاص

---

(١) التوبة (١٢٢).

(٢) الحج (٢٨).

(٣) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١١، ص ١٣، ب ١، وجوب الحج وشرائطه، ح ١٧، عبد علي العروسي الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ٣٧١.

من تبعات الذنوب، وهو أثر من آثار الضيافة الإلٰهيّة، إذ يتخلّص العبد من الموبقات الّتي اجترحها، إذ إنّ كرمه يجلّ عن معاقبة المذنبين، كيف وقد اتىٰ العبد معتذراً نادماً منكسراً مستقيلاً منيباً مقرّاً معترفاً، وتكون النتيجة سجلاً جديداً، أبيض ناصعاً، لا غلّ فيه ولا غش، وذلك لما تكبده من بعد الشقّة، ومافيها من العقبات والمفاوز وما قطعه من الفيافي، فاراً إلىٰ الله غير مبال بالمال، لأنّه مال انعم الله تعالىٰ به عليه، فصرفه في طاعته، ورجاء رضاه، والصحة والعافية عطية إلهية، لايؤدي شكرها الاّ باستخدامها للوصول إليه، وما قيمة الشهوات واللذات إذا قيست بلذّة القرب منه، وحصول الأمن من ساحته ﴿وعجلت إليك ربّي لترضىٰ﴾[1].

رابعاً: الاعتقاد بعز الله وجبروته وقدرته، وما يستلزمه من الرهبة، إذ الوجود كلّه لله تعالىٰ.

خامساً: أنّ هذه الأمور يجب أن تصبح ملكة راسخة في ذاته، وحالة مستقرّة في كيانه، بحيث يدرج عليه طالما تردّدت انفاسه في جثمانه.

سادساً: الخضوع للآداب الإلٰهيّة، الّتي من ثمارها رقّة القلب، وكرم النفس، والتقلُّب في ذكر الله، وانقطاع الرجاء والامل إلاّ من الله تعالىٰ.

وبهذه الأُمور، يحقّق العبد المنفعة الاخروية والفوز الأبدي، وجوار الأنبياء والأولياء، وهذه المنافع الأخلاقية، الدائرة بين الرغبة والرهبة، تجعل العبد يذعن بضعفه، وما يلازمه من انكسار القلب، فيعلم انّه لا خلاص له من حبائل الهوىٰ، إلاّ بترك الرذائل، من الخسة والأنانية، إذ هو كغيره يتقلّب في

---

(١) طه، (٨٤).

أرض الله، وبعينه الّتي لا تنام، وزاده من رزقه تعالىٰ، فلم كـلّ هـذا الحـرص والبخل والتشبّث بمتاع لو شاء الله لسلبه. فمن الأجدر والأجدىٰ أن تبقىٰ نفسه سابحة في بحر ذكر الله تعالىٰ، إذ كلّ رجاء لما سواه مقطوع، وكلّ امل في غيره خائب ممنوع.

فعند ذلك يعرف حقّه فيقف عنده، ولا يتعدّىٰ إلىٰ حقوق الآخرين، فتتنزّه ساحة نفسه عن المفاسد.

سابعاً: التأكيد علىٰ المنافع المادية، وحجم الدائرة الاقتصادية الّتي تنشأ بسبب الحج، بحيث تطال العالم الإسلامي بأجمعه، من حجّ ومن لم يحج، ويعود علىٰ بيت المال من جراء ذلك من الحقوق الّتي تمنع حالة الفقر والحرمان.

ثامناً: الغاية العلميّة، والأهداف التربوية الّتي تخطىء بفرصها في هذا الموسم، وما يستتبعه من نشرها في الآفاق، فيتعرَّف الناس علىٰ ائمة الحق، وورثة النّبي صلى الله عليه وآله ويتلمّسوا تعاليمهم وآدابهم.

وهنالك منافع دنيوية، تعتبر من آثار الحجّ.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: «حجّوا واعتمروا تصحّ اجسامكم، وتتّسع ارزاقكم، ويصلح ايمانكم، وتكفوا مؤونة الناس، ومؤنة عيالاتكم»[(١)].

وعنه عليه السلام في بيان علل أُخرىٰ، عن هشام بن الحكم قال: سألت ابا عبدالله عليه السلام فقلت له: ما العلّة الّتي من أجلها كلّف الله العباد، الحجّ والطواف بالبيت؟ فقال: «انّ الله خلق الخلق ـ إلىٰ أن قال ـ: ... وأمرهم بما يكون من أمر

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١١، ص ١٥، ب ١، وجوب الحج، ح ٢٠.

الطاعة في الدين، ومصلحتهم في أمر دنياهم، فجعل فيه الاجتماع من الشـرق والغرب ليتعارفوا، ولينزع كلّ قوم من التجارات من بلد إلىٰ بلد، ولينتفع بذلك المكاري والجمّال، ولتعرف آثار رسول الله صلى الله عليه وآله، وتعرف اخباره، ويذكر ولا ينسىٰ، ولو كان كلّ قوم إنّما يتكلون علىٰ بلادهم وما فيها، هلكوا وخربت البلاد، وسقطت الجُلب والأرباح، وعميت الأخبار، ولم تقفوا علىٰ ذلك، فـذلك عـلة الحج»[١].

فبالاضافة لما مرّ من الأهداف والعلل، يتعرّض الإمام عليه السلام لهدف مـهم علىٰ الصعيدين السياسي والإجتماعي، لانّ عملية التعارف الّتي تتمّ في الحجّ، ليست تعارفاً شخصياً بحتاً، وإنّما هي عملية التعارف علىٰ التراكـيب البشـرية الأُخرىٰ، وما تمارسه من طرق عيش، وادارة امور، وانتقال حضارة. وحيث إنّ الإنسان بطبعه ميّال إلىٰ الكمال، فإنّه يحاول أن يطوّر أسلوب عـيشه بـالنحو الافضل من خلال الاكتساب من الآخرين.

فهٰذا المؤتمر العالمي السنوي، يجب أن يكون شاملاً للأهداف الإقتصادية والاجتماعية والسياسيّة والثقافية.

وعلىٰ هذا فالحجّ كغيره من العـبادات المـفروضة الّـتي حـدّد القـرآن غاياتها، ومافيها من عمليّة إصلاح وتهذيب وتربية وتقويم.

فالصلاة مثلاً ﴿انّ الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر﴾[٢]. فالابتعاد عن الفحشاء والمنكر من الأهداف التربوية للصلاة.

---

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١١، ص ١٤، ب ١، وجوب الحج وشرائطه، ح ١٨.
(٢) العنكبوت (٤٥).

أمّا الزكاة، فيقول الله تعالىٰ ﴿خذ من اموالهم صدقة تطهّرهم وتـزكّيهم بها...﴾[١].

فهدفها التربوي، تطهير النفوس وتزكيتها تبعاً لتطهير المال، وتخليصها من آفات البخل والشح، وسد حاجات المستضعفين ورفع الحاجة والضـعف مـن المجتمع.

امّا الصوم، فيقول الله تعالىٰ ﴿يا ايّها الّذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب علىٰ الّذين من قبلكم لعلّكم تتّقون﴾[٢] حيث يتّضح الهدف التربوي من الصوم، وهو إعداد النفس لتكون تقية، من خلال تقويم النفس وتـربيتها، مـن خلال الورع عن المحارم الإلٰهيّة، والالتزام بالاوامر الربانية.

فكذلك الحجّ، فهو دورة تربويّة، نـظرية وعـمليّة عـلىٰ آداب الإسـلام وأخلاقه، وتجرّد خالص في طاعة الحق تعالىٰ، والابتعاد عن كلّ زخارف الدنيا وزينتها، وسياحة فكرية لادراك القيم النورانيّة وتـقديسها، وتـحقيق للـمنافع الدنيوية والاخروية، كما يقول الله (تبارك وتعالىٰ) ﴿وأذن في النّـاس بـالحجّ يأتوك رجالاً وعلىٰ كلّ ضامر يأتين من كلّ فجّ عميق * ليشهدوا منافع لهـم ويذكروا اسم الله في ايّام معلومات علىٰ مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير﴾[٣].

فالأمر بالنداء بالنّاس بقصد البيت أو أداء الحجّ، وجوابـه، انّـهم يـلبّون

---

(١) التوبة (١٠٣).

(٢) البقرة (١٨٣).

(٣) الحج (٢٧ ـ ٢٨).

راجلين، وعلىٰ كلّ بعير مهزول، والهدف شهادة المنافع[١].

والمنافع مطلقة لم تتقيّد بالدنيويّة أو الأُخرويّة، فتكون شاملة لكليهما.

المنافع الدنيوية:

تتطوّر بها حياة الإنسان الاجتماعيّة، فيصفو معها عيشه، ويرفع بها الحوائج المتنوعة، وتكمل بها النواقص من خلال انواع التجارة؛ والتدبير، والسياسة والولاية، وأقسام الرسوم والآداب والسنن والعادات، ومختلف اشكال التعاون والتعاضد.

المنافع الأخروية:

هي وجوه التقرب إلىٰ الله تعالىٰ، بما تحتويه عبودية الإنسان، بالقول والفعل[٢].

فالمنافع عامة تشمل مايرضي الله تعالىٰ من أمر الدنيا والآخرة، فيصبح الحج مدرسة تربويّة، ودورة شاملة تكون سبباً لتقدّم الحياة الأخلاقيّة والاقتصاديّة والإجتماعيّة والسياسيّة والروحيّة، كما سيتّضح ذلك من خلال التعرض لكلّ بعد من هذه الأبعاد علىٰ حدة، وإن كان ذلك متداخلاً إلىٰ حدّ بعيد، وذلك لارتباط الأُمور الأخلاقيّة بالروح وتأثيرها عليها، وكون الحياة الإجتماعيّة للأمّة، فيما بينها، مجموعة قيم وآداب وسنن، وكون القوانين الاقتصادية والتجارية، والمسالك السياسية من أبواب الآداب الإسلاميّة،

(١) راجع محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ١٤، ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠.

(٢) م. س.

وليست فروعاً مستقلّة.

ومع هذا سوف نحاول جهد الإمكان، الاشارة إلىٰ أنّ هذه العبادة لم تترك باباً من أبواب التعاطي في الحياة إلّا وطرقته، وعلىٰ الله نتوكّل، ومنه السداد.

المبحث الثالث:

الآداب التربويّة للسفر

من مفاخر الإنسان المسلم، أن الدين الحنيف الّذي ينتمي إليه، لم يترك جنبة من جنبات الحياة إلّا وقد تعرّض لها، موضحاً معانيها واساليبها وغاياتها وكيف يمكن للإنسان أن يتعامل معها، فاذا استطاع كلّ منّا أن ينهل من معين هذا الدستور الالٰهي، فإنّه سوف يحقق ما يبتغيه بأيسر السبل وأسلمها.

قال الله تعالىٰ ﴿فلمّا جاوزا قال لفتاه آتنا غدآءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾[(١)].

والآية المباركة تتحدّث عن سفر موسىٰ عليه السلام ووصيّه في طريق لقاء العبد الصالح، وفي الآية اشارة إلىٰ وجود العناء والتعب في رحلتهما[(٢)].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «السفر قطعة من العذاب، فإذا قضىٰ أحدكم سفره، فليسرع الإياب إلىٰ أهله»[(٣)].

والآية المباركة تشير إلىٰ جملة من الآداب الّتي تصرح بها بعض

---

(١) الكهف (٦٢).

(٢) محمد حسين طباطباني، تفسير الميزان، ج١٦، ص٢٣٦.

(٣) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٦، ص٢٢٢، ح٧، احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ج٢، ص٢٧٧.

الروايات، منها:

أولاً: اتّخاذ الصحبة في الطريق (جاوزا)، وأنّ موسىٰ لم يكن وحدَه.

ثانياً: اصطحاب الزاد، وما يحتاجه المرء في طريقه (غداءنا).

وعلىٰ هذا، فالسفر ليس من الأُمور السهلة، كما نفهم من صريح الآية المباركة، وما تشير إليه الرواية، لذلك كان التأكيد علىٰ مجموعة آداب يحسن بالمسافر أن يستعين بها في طريق اسفاره، فيأمن بها من غوائل الطريق وشر الاعداء، وتساعده عندما تتقلّب الأحوال.

ومن هنا نجد أنّ شريعتنا الغرّاء، قررت مجموعة من القوانين تختص بالمسافر، فقسمت الأحكام الشرعية علىٰ اساسها إلىٰ احكام السفر، واحكام غير السفر.

فللتخفيف عن المسافر مثلاً، تقصر الصلوات الرباعية إلىٰ ركعتين، ويرفع عنه الصوم، ويصرف جزء من ميزانية بيت المال في شؤون تخص المسافرين، كجعل قسم من الزكاة مختص بابن السبيل (المسافر الذي انقطع به)، وانشاء الاماكن المعدّة لراحة المسافرين في الطريق وغير ذلك.

وقد ذكرت آداب كثيرة للسفر، بعضها يعتبر من مقدّماته، وثانية في بدايته، وأُخرىٰ تساعد المسافر في اثناء الطريق.

القسم الأوّل: مقدمات السفر:

وهناك مجموعة من الأمور، إن دلّت علىٰ شيء، فهي تشير إلىٰ رعاية النظم في كلّ الأُمور، فلا تكون حركة الإنسان ارتجالية غير مدروسة، وإلّا كان مصيرها الفشل، أو الإرباك في حدّه الأدنىٰ، فمن الأُمور الّتي تذكر في هذا القسم:

أولا: انتخاب اليوم:

لضمان الحد الأدنىٰ من السلامة في السفر.

فعن الصادق عليه السلام: «من اراد سفراً، فليسافر يوم السبت، فلو أنّ حجراً زال عن جبل في يوم السبت، لردّه الله عزّ وجلّ إلىٰ مكانه»[١].

وعنه عليه السلام: «من كانت له حاجة فليطلبها يوم الثلاثاء، فإنّ الله تبارك وتعالىٰ، ألان فيه الحديد لداوود»[٢].

وعنه عليه السلام: «لا تسافر يوم الاثنين، ولا تطلب فيه حاجة»[٣].

هذا وأنّ الإنسان قد يضطر في بعض الاحيان إلىٰ السفر في ايّام مكروهه، فكيف يصنع؟ وجواب ذلك يتضح في الأمر التالي.

ثانيا: افتتاح السفر بالصدقة:

وهو ضامن لتخفيف المنغصات ورفعها.

سأل حمّاد بن عثمان الإمام الصادق عليه السلام: ايكره السفر في شيء من الايّام المكروهة، الأربعاء وغيره؟. فقال عليه السلام: افتتح سفرك بالصدقة، واقرأ آية الكرسي إذا بدا لك»[٤].

---

(١) احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ج ٢، ص ٣٤٥.

(٢) م. س.

(٣) م. س. ص٣٤٦.

(٤) احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ج ٢، ص٣٤٨.

ثالثاً: إعلام الإخوان:

وهو مستحب، لما فيه من خروج الإنسان من مجتمعه، وهو لا يعلم ما يصحبه من الأمور، وما تطرأ عليه من الاحداث، وانّه يعود أم لا.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «حقّ علىٰ المسلم إذا اراد سفراً أن يعلم اخوانه، وحق علىٰ اخوانه إذا قدم أن يأتوه»(١).

رابعاً: الدقة في اختيار الرفيق:

وهو من الأمور الّتي تخفف من وطئة المسافة، إلىٰ حد قد لا يشعر بها الإنسان اصلاً، فيكون الرفيق من نفس طبقته وعلىٰ شاكلته.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «الرفيق ثمّ الطريق»(٢).

وعن الباقر عليه السلام: «إذا صحبت، فاصحب نحوك، ولا تصحبنّ من يكفيك، فإنّ ذلك مذلّة للمؤمن»(٣).

قال شهاب بن عبد ربّه للامام الصادق عليه السلام: قد عرفت حالي، وسعة يدي، وتوسيعي علىٰ اخواني، فاصحب النفر منهم في طريق مكّة، فأتوسّع عليهم، قال: لا تفعل يا شهاب، إن بسطت وبسطوا اجحفت بهم، وإن هم أمسكوا أذللتهم، فاصحب نظراءك، فاصحب نظراءك»(٤).

---

(١) هادي الساعدي، تحفة الحاجّ، ص ٣٣.

(٢) احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ج ٢، ص ٣٥٧.

(٣) م. س.

(٤) م. س.

خامساً: طيب الزاد:

علىٰ المكلّف أن يعتني بزاده في طريق السفر، لأنّ المسافر يبذل طاقة غير اعتياديّة، وهو في معرض الآخرين، ممّا يجدر به أن يعكس الصورة الطيّبة لكرم المؤمن.

عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من شرف الرجل أن يطيب زاده إذا خرج في سفر»[١].

سادساً: إخراج النفقة:

بأن يخرج كلّ من الرفقة مقداراً متساوياً من المال يصرف علىٰ مجموعهم، ممّا يدفع الحرج عنهم.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من السنّة إذا خرج قوم في سفر، أن يخرجوا نفقتهم، فإنّ ذلك اطيب لأنفسهم، وأحسن لأخلاقهم»[٢].

القسم الثاني: مستحبات بداية السفر:

أولاً: في داره:

هنالك مجموعة آداب، يأتي بها المكلف وهو يهم بالسفر، منها:

---

(١) احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ج ٢، ص ٣٦٠.

(٢) م. س. ص ٣٥٩.

(أ) ـ استحباب الغسل، لمن اراد السفر، مع الدعاء «بسم الله وبالله، ولاحول ولا قوّة إلّا بالله...»[١]. وكأن الإنسان يغادر هذه الدنيا الّتي اعتادها إلىٰ مجهول.

(ب) ـ الصلاة، وهي وإن كانت تستحبّ في كلّ الأوقات، الّا أن الهدف منها في حالة السفر، أن يجدد عهداً بالاعتقاد الحق، وأن كلّ الأمور وحفظها بيد الله تعالىٰ.

عن رسول الله ﷺ: «**ما استخلف رجل علىٰ أهله بخلافة، افضل من ركعتين يركعهما إذا اراد الخروج إلىٰ سفر، يقول: «اللهمّ انّي استودعك نفسي، وأهلي، ومالي وذريتي، ودنياي، وآخرتي، وامانتي، وخاتمة عملي» إلّا اعطاه الله ما سأل**»[٢].

وكان أبو جعفر (الباقر) عليه السلام إذا اراد سفراً، جمع عياله في بيت ثمّ قال: «اللهمّ انّي استودعك الغداة، نفسي ومالي وأهلي وولدي، والشاهد منّا والغائب، اللهمّ اجعلنا في جوارك، اللهمّ لاتسلبنا نعمتك، ولا تغيّر مابنا من عافيتك وفضلك»[٣].

(ج) ـ أن يقوم علىٰ باب داره داعياً الله عزّ وجلّ أن يوصله إلىٰ مقصده في خير وعافية.

عن أبي الحسن عليه السلام: «لو كان الرجل منكم، إذا اراد سفراً، قام علىٰ باب داره تلقاء وجهه الّذي يتوجّه له، فقرأ «الحمد» امامه وعن يمينه وعن شماله،

---

(١) علي بن موسىٰ ابن طاووس، الأمان من أخطار الأسفار، ص ٣٣.

(٢) احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ج ٢، ص ٣٤٩.

(٣) احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ج ٢، ص ٣٥٠.

و«المعوذتين» امامه وعن يمينه وعن شماله، و«آية الكرسي» امـامه وعـن يمينه وعن شماله، ثمّ قال: «اللهمّ احفظني واحفظ مـامعي، وسـلّمني وسـلّم مامعي، وبلّغني وبلّغ مامعي ببلاغك الحسن الجميل» لحفظه الله وحفظ مامعه، وبلّغه وبلّغ مامعه، وسلّمه وسلّم ما معه، أما رأيت الرجـل يـحفظ ولا يُـحفظ مامعه، ويسلم ولا يسلم مامعه، ويبلغ لا يبلغ مامعه...»[١].

ثانيا: حين يخرج من داره:

يستحسن للإنسان أن تقترن حركته مع الذكر لله تعالىٰ.

عن الباقر عليه السلام: «من قال حين يخرج من باب داره: «اعـوذ بـالله مـمّا عاذت منه ملائكة الله، من شرّ هذا اليوم. ومن شرّ الشياطين، ومن شرّ من نصب لاولياء الله، ومن شرّ الجن والانس، ومن شرّ السباع والهوام، ومن شرّ ركوب المحارم كلّها، اجير نفسي بالله من كلّ شر» غفر الله له، وتاب عليه، وكفاه الهم، وحجزه عن السوء، وعصمه من الشر»[٢].

ثالثا: تشييع المسافر وتوديعه:

وهذا العمل ربما كان إشارة إلىٰ أن هـذا المسـير ربـما كـان مـن دون عودة.

عن الصادق عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ودّع المؤمن قال: رحمكم الله، وزوّدكم التقوىٰ، ووجّهكم إلىٰ كلّ خير، وقضىٰ لكم كلّ حاجة، وسلّم لكم

---

(١) محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٥٤٣، ح ١١.

(٢) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١١، ص ٣٨٥، ب ١٩، السفر، ح ٧.

دينكم ودنياكم وردّكم سالمين إلىٰ سالمين»[١].

عن الباقر عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ودّع مسافراً اخذ بيده ثمّ قال: «أحسن الله لك الصحابة، وأكمل لك المعونة، وسهّل لك الحزونة، وقرّب لك البعيد، وكفاك المهم، وحفظ لك دينك وأمانتك وخواتيم عملك، ووجهك لكل خير، عليك بتقوىٰ الله، استودعك الله سر علىٰ بركة الله»[٢].

ويُقرأ في أذنه ﴿إنّ الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلىٰ معاد﴾[٣] إن شاء الله، ثمّ يقول: سر علىٰ بركة الله»[٤].

رابعا: الذكر عند الركوب:

وهي المرحلة الأخيرة من الاستعداد.

عن الصادق عليه السلام ـ في حديث ـ قال: «فإذا جعلت رجلك في الركاب فقل: «بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله، والله أكبر». فإذا استويت علىٰ راحلتك، واستوىٰ بك محملك فقل: «الحمد لله الّذي هدانا للإسلام، وعلّمنا القرآن، ومنّ علينا بمحمّد صلى الله عليه وآله، سبحان الله، سبحان الّذي سخّر لنا هذا، وما كنّا له مقرنين، وانّا إلىٰ ربّنا لمنقلبون، والحمد لله ربّ العالمين، اللهمّ انت الحامل علىٰ الظهر، والمستعان علىٰ الأمر، اللهمّ بلغنا بلاغاً يبلغ إلىٰ خير، بلاغاً يبلغ إلىٰ رضوانك ومغفرتك، اللهم لا طير إلاّ طيرك، ولا خير إلّا خيرك، ولا حافظ غيرك»[٥].

---

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١١، ص ٣٦٩، ب ١٣، السفر، ح ١.

(٢) احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ج ٢، ص ٣٥٤.

(٣) القصص (٨٥).

(٤) محسن الأمين، مفتاح الجنات، ج ١، ص ٢٤٧.

(٥) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١١، ص ٣٨٧، ب ٢٠، السفر، ح ١.

خامسا: استحباب الوصية:

حيث إنّ جملة من الأمور تتعلّق بالانسان حيث محل اقامته، فإذا اراد السفر، لابدّ له أن يبيّن كيف تحل تلك الأُمور في غيابه، وربّما كانت الوصية واجبة في بعض الأحيان، عندما لا تتعلّق بذمّته بعض الواجبات البدنية أو المالية.

عن الصادق عليه السلام: «من ركب راحلة فليوصِ»[١].

القسم الثالث: ما يساعد الإنسان في طريق سفره:

اولا: مداومة الذكر اثناء المسير مما يقطع وحشة الطريق:

عن الصادق عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله في سفره إذا هبط سبّح، وإذا صعد كبّر»[٢].

وهل هناك، افضل من أن يكون الإنسان مشغولاً بذكر الله، وهو من افضل ما يقضي به علىٰ وساوس الشيطان.

عن الباقر أو الصادق عليهما السلام: «إذا كنت في سفر فقل: «اللهمّ اجعل سيري عبراً، وصمتي تفكّراً، وكلامي ذكراً»[٣].

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١١، ص ٣٦٩، ب ١٣، السفر، ح ١.

(٢) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١١، ص ٣٩٢، ب ٢١، السفر، ح ١.

(٣) م. س. ح ٢.

وعن الصادق عليه السلام قال: «قل: اللهمّ انّي اسألك لنفسي اليقين والعفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهمّ انت ثقتي، وانت رجائي، وانت عضدي، وانت ناصري، بك احل وبك اسير»(١).

وعنه عليه السلام لمّا صلّىٰ قال: «اللهمّ خلّ سبيلنا، وأحسن تسييرنا، وأحسن عافيتنا، وكلّما صعد قال: «اللهمّ لك الشرف علىٰ كلّ شرف»(٢).

ثانيا: حسن الصحبة:

وهو من أهم الآداب في الحضر والسفر علىٰ السواء.

عن الباقر عليه السلام قال: «من خالطت، إذا استطعت أن تكون يدك العليا عليه، فافعل»(٣).

عن الصادق عليه السلام: «ليس منّا من لم يحسن صحبة من صحبه، ومرافقة من رافقه، وممالحة من مالحه ومحالفة من حالفه»(٤).

وعنه عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما اصطحب اثنان إلّا كان اعظمهما اجراً، واحبّهما إلىٰ الله ارفقهما بصاحبه»(٥).

---

(١) م. س. ب ٢٢، ح ١.

(٢) م. س. ح ٢.

(٣) احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ج ٢، ص ٣٥٨.

(٤) احمد بن محمد البرقي، ج ٢، ص ٣٥٨.

(٥) م. س.

ثالثا: معونة المسافر:

حيث انّه في الطريق لا معين له.

عن الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من اعان مؤمناً مسافراً، نفّس الله عنه ثلاثاً وسبعين كربة، واجاره في الدنيا من الهم والغم، ونفّس عنه كربه العظيم، قيل: يا رسول الله: وما كربهُ العظيم؟ قال: حيث يغش بانفاسهم»[١].

رابعا: عند دخول بلدة:

قد يصطدم الإنسان مع سكانها، بما بين المجتمعات من اختلاف الاعراف، والاعراق، والاتجاهات.

في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «يا علي!، إذا اردت مدينة أو قرية، فقل حين تعاينها: «اللهمّ انّي اسألك خيرها، واعوذ بك من شرّها. اللهمّ اطعمنا من جناها، واعذنا من وبائها، وحبّبنا إلىٰ أهلها، وحبّب صالحي أهلها الينا»[٢].

خامسا: المروءة في السفر:

عن الصادق عليه السلام: المروّة في السفر، كثرة الزاد، وطيبه، وبذله لمن كان معك، وكتمانك علىٰ القوم سرّهم بعد مغادرتهم، وكثرة المزاح في غير ما

(١) احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ج ٢، ص ٣٦٢.

(٢) م. س. ص ٣٧٤.

يسخط الله عزّ وجلّ»[١].

نصائح لقمان:

ثمّ إنّ هنالك مستنداً جامعاً لما ينبغي في السفر، لا بأس أن نتعرّض له، دون أن نعلق عليه، لأنّه موسوعة يمكن أن تكون كتاباً في المقام.

عن الصادق عليه السلام قال: «قال لقمان لابنه: إذا سافرت مع قوم، فأكثر استشارتك ايّاهم في أمرك وامورهم، وأكثر التبسّم في وجوههم، وكن كريماً على زادك، وإذا دعوك فاجبهم، وإذا استعانوا بك فاعنهم، واغلبهم بثلاث: بطول الصمت، وكثرة الصلاة، وسخاء النفس بما معك من دابة، أو مال، أو زاد. وإذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم. واجهد رأيك لهم إذا استشاروك، ثمّ لا تعزم حتّى تثبت وتنظر. ولا تجب في مشورة حتى تقوم فيها، وتقعد وتنام، وتأكل وتصلّي، وانت مستعمل فكرك وحكمتك في مشورته، فإنّ من لم يمحض النصيحة لمن استشاره، سلبه الله تبارك وتعالىٰ رأيه، ونزع عنه الأمانة. وإذا رأيت اصحابك يمشون فامش معهم، وإذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم، وإذا تصدّقوا وأعطوا قرضاً فاعط معهم. واسمع لمن هو أكبر منك سنّاً. وإذا أمروك بأمر، وسألوك، فقل: نعم، ولا تقل: لا، فإن «لا» عيٌّ ولؤم. وإذا تحيّرتم في طريقكم فانزلوا، وإذا شككتم في القصد فقفوا وتآمروا، وإذا رأيتم شخصاً واحداً، فلا تسألوه عن طريقكم، ولا تسترشدوه، فإنّ الشخص الواحد في الفلاة مريب، لعلّه أن يكون عيناً للصوص، أو يكون هو الشيطان الّذي حيّركم، واحذروا الشخصين أيضاً، إلّا أن تروا ما لا أرىٰ، فإن العاقل إذا ابصر بعينه شيئاً

(١) محمد باقر المجلسي، البحار، ج٧٦، ص ٢٧٠.

عرف الحق منه، والشاهد يرىٰ ما لا يرىٰ الغائب.

يابني! وإذا جاء وقت صلاة، فلا تؤخّرها لشيء، وصلّها، واسترح منها فإنّها دين. وصلّ في جماعة، ولو علىٰ رأس زج (الحديدة في اسفل الرمح، ونصل السهم). ولا تنامنّ علىٰ دابّتك، فإنّ ذلك سريع في دبرها (قرحة الدابة في ظهرها)، وليس ذلك من فعل الحكماء إلّا أن تكون في محمل يمكنك التمدّد لاسترخاء المفاصل. وإذا قربت من المنزل، فانزل عن دابّتك، وابدأ بعلفها قبل نفسك. وإذا اردت النزول، فعليك من بقاع الأرض بأحسنها لوناً والينها تربة، واكثرها عشباً. وإذا نزلت فصلّ ركعتين قبل أن تجلس، وإذا اردت قضاء حاجة، فابعد المذهب في الأرض، وإذا ارتحلت فصلّ ركعتين، وودّع الأرض الّتي حللت بها، وسلّم عليها وعلىٰ أهلها، فإنّ لكلّ بقعة أهلاً من الملائكة. وإن استطعت أن لا تأكل طعاماً حتّىٰ تبدأ فتتصدّق منه فافعل. وعليك بقراءة كتاب الله (عزّ وجلّ) ما دمت راكباً. وعليك بالتسبيح مادمت عاملاً. وعليك بالدعاء مادمت خالياً. وايّاك والسير من أوّل الليل، وعليك بالتعريس (النزول أوّل الليل). والدّلجة (السير آخر الليل) من لدن نصف الليل إلىٰ آخره. وايّاك ورفع الصوت في مسيرك»[(١)].

يابني، سافر بسيفك وخفّك، وعمامتك وخباءك، وسقائك وابرتك، وخيوطك ومخرزك، وتزوّد معك الأدوية، تنتفع بها انت ومن معك، وكن لاصحابك موافقاً مرافقاً إلّا في معصية الله»[(٢)].

---

(١) محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج٨، ص ٣٨٤.

(٢) احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ج ٢، ص ٣٥٩.

المبحث الرابع:

أثر التربية الأخلاقيّة للحجّ

لاشكّ في أنّ العبادات تحمل في طيّاتها انعكاسات تربويّة تخصّ الفرد، ممّا ينعكس ذلك بشكل تلقائي علىٰ المجتمع والأُمّة بشكل عامّ.

وهذا الكلام ينطبق علىٰ فريضة الحجّ كذلك، وهو فيها أوضح وأجلىٰ، ذلك لأنّ فريضة الحجّ بطبعها تطبق بشكل جماعي وفي عيّنات من الأمّة، ولأجل ذلك كانت دروسه موجّهة إلىٰ الفرد والمجتمع في نفس الوقت، ولهذا سوف نتعرّض لما يتناول اخلاق الفرد بشكل مستقل، وهو ما ينسحب علىٰ المجتمع بما هو مجموع افراد، ومن هنا سوف نقف عند مجموعة دروس.

أولاً: فإذا لاحظنا خطاب التكليف بالحج، نجده موجّهاً إلىٰ من استطاع إلىٰ ذلك سبيلاً. وهذه الطائفة من النّاس ربّما تبتلي بحب الدنيا وما يستتبعه من البخل والحرص، لذلك كان لابدّ لهؤلاء أن يدوسوا علىٰ بخلهم وحرصهم ويتوجّهوا لأداء هذا المنسك الإلٰهي (وما فيه من استخراج الأموال)، فإذا استطاع المكلف أن يتجاوز هذه العقبة، فسوف تكون مقدّمة لكرم النفس، بحيث يتوفّق للاقدام علىٰ هذه العبادة، ويستوقفه أمر آخر، هو عملية استخراج ما عليه من الحقوق لبيت المال، وهذا درس يجب أن يطبقه كلّ افراد المجتمع، في عملية مقاومة للأخلاق الرذيلة، فيستبدل الحرص بالكرم والعطاء، والبخل، بالبذل والسخاء، فيتنعّم أصحاب الحقوق بما كان محبوساً عنهم، وهو رفع لمشاكل

المجتمع، ومنشأ للتكافل الإجتماعي.

ثانياً: بذل الجهد للوصول إلىٰ الهدف (وتعب الأبدان)، فإنّه لا يمكن للإنسان ان يحقّق هدفاً مهما كان حقيراً، من دون أن يسعىٰ إلىٰ تحقيقه بجهد يناسبه، والاّ سوف يكون المراد اشبه بالأحلام، ومن هنا قيل (من طلب العلىٰ سهر الليالي). فإذا ما تربّىٰ الإنسان علىٰ عمليّة السعي والجد، فسوف نحصل علىٰ مجتمع يستحيل عليه الفقر، ولا تعصىٰ عليه رغبة، ولا يمكن للآخرين أن يتسلّطوا عليه، ولن يكون محتاجاً إلاّ للتسديد الإلٰهي.

ثالثاً: (حظرها عن الشهوات واللذات) وكما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في تأديب النفس (ان استصعبت عليه نفسه فيما تكره، لم يعطها سؤلها فيما تحب)،[١] فإنّ من يلبّي نداء الحجّ، يعلم بأنّ جملة من الأُمور المباحة سوف تصبح محظورة عليه، بل إنّ ارتكابها من المحرّمات الّتي تستوجب الكفّارة، وهذا يكشف عن أنّ الأُمور المباحة، والشهوات المتاحة، تحتاج إلىٰ دقّة في ممارستها، لكي لا يؤدّي الإفراط فيها إلىٰ ما لا تحمد عقباه، وهذا الإعتدال في السيطرة علىٰ ما هو مباح، يجعله اكثر دقّة في ما هو مكروه أو حرام، ولا يخفىٰ ما لهٰذا الأمر من المنافع علىٰ صعيد المجتمع، إذ به نحصل علىٰ مجتمع تقي معتدل، قد تقيَّد حتّىٰ في الأُمور المباحة، قاطعاً الطريق عن أي اصطدام، لأنّ افراده أُناس يحكمون العقل في كلّ تصرفاتهم.

رابعاً: (والتقرّب في العبادة إلىٰ الله)، بل يسعىٰ لكي تكون كلّ اعماله عبادة، إذا ما تأدّب علىٰ جعل الله رقيباً علىٰ كلّ تصرفّاته، ويبتغي من كلّ حركته رضى الله تعالىٰ، وهذا من الروادع المهمّة عن الوقوع في براثن الذنب

---

(١) الحسن بن الفضل الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ٤٧٧.

والمعصية.

وإذا تمكنّا من تطبيق هذه المفردة في المجتمع، فسوف نعيش حالة من العصمة التشريعيّة، الّتي تقطع الطريق علىٰ ايّ ذنب أو خطأ يمكن أن يبتعد بهما عن الحقّ تعالىٰ.

خامساً: (والخضوع والاستكانة والذلّ) لأنّ طبيعة المناسك، ومافي بعضها من التعبّد المحض، حيث تقصر الأذهان عن ادراك كنهها، فانّ العبد عندما يمتثل ـ مرغماً ـ طاعة للحقّ تعالىٰ، مع مافي ذلك من خضوع للإرادة الإلهيّة، وركون إلىٰ رضاه تعالىٰ، في لباس الذلّة والفقر، فإنّه سيحطّم مايعتريه من كبر كاذب، وطيش نابع من أنانية ذاتية. وهذا ما يحرّره من عبودية الذات، لينطلق في رحاب العبوديّة للباري تعالىٰ.

فانّ هذا الدرس لوصار حالة عامّة بين افراد المجتمع، فسيشكل انتصاراً عامّاً للفطرة السليمة.

(دائباً في ذلك كلّه) فهذه الأُمور ليست وسائط مرحليّة، اضطر في آن ما إلىٰ تطبيقها، وإنّما هي امور لابدّ من المواظبة عليها، لكي يحقّق العبد، ومن وراءه المجتمع، حالة مستمرّة، واستقرار في السلوك، للوصول إلىٰ ما هو هدف العبادة، بما فيها الحجّ.

سادساً: (ومنه ترك قساوة القلب). فلين القلب، من الأُمور الهامّة الدخيلة في ايناع ثمرة العبادة، لأنّه يؤدّي إلىٰ خشوعه وانكساره، فتفيض منه أسباب الرحمة والتسامح، والشعور بآلام الآخرين ومعاناتهم، وهذه من المسائل الّتي يلتمسها العبد حين يمثل للحساب، ويقف بين يدي خالقه. لأنّه لو عاملنا بعدله لهلكنا. فإذا استطاع العبد أن يجعل من هذه الحالة، وسيلة للتعايش والتعاطي،

فستدفن حفنة من الرذائل الأخلاقيّة في المجتمع.

سابعاً: (وخساسة الأنفس). وترك هذه الرذيلة، وما يرافقها من الدناءة واللؤم، وعدم التورّع عن أي شيء، خدمة للنفس الأمّارة، يؤدّي إلىٰ الرفعة والمروءة، والعزّة المستمدّة من طاعة الله تعالىٰ.

ثامناً: خروج الإنسان من عبء الامتيازات المادية، والدرجات الموهومة وغير ذلك[1].

وعلىٰ هذا، فإنّ الحجّ منارة اخلاقيّة متكاملة، تتخرّج منها تلك الوفود من جميع النواحي، فتكون نواة تغييرية يجب أن تطبّق في المجتمع الأكبر، فإنّ ما خبره وفد الله، وما انطبع في ارواح افراده من أنوار الهيّة تعجّ بتلك المكارم، وهي اكتساب تلك المبادئ الأخلاقيّة الّتي إذا ما طبّقوها في مجتمعاتهم، فسوف تحصن المجتمع من الوقوع في الرذيلة، وبالتالي تمكنه من الوصول إلىٰ الأهداف الإلهيّة.

(١) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل، ج ١٠، ص ٢٢٧.

المبحث الخامس:

أثر التربية الإجتماعيّة للحجّ

لاشكّ في أنّ الإنسان كائن اجتماعي، لايمكنه أن يعيش منفرداً، لذلك نجد أن جلّ نشاطاته الحياتية يمارسها بشكل مشترك مع بني جنسه، وهذه السلوكية مع مراعاة حدودها حظيت بتأكيد الإسلام العزيز. وذلك من خلال باقة كبيرة من الروايات تؤكّد على هذا المضمون وتنظّمه، منها:

(كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته)[١].

(الجار ثمّ الدار)[٢].

(ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعاناً وجاره جائع)[٣].

(زيارة المؤمن خيرٌ من عتق عشر رقاب مؤمنات)[٤].

(وإذا مرض أن يعوده)[٥]. وهو من حق المسلم على المسلم.

---

(١) محمد بن علي الإحسائي، عوالي اللئالي، ج ١، ص ١٢٩، ص ٣٦٤، محمد باقر المجلسي، البحار، ج ٧٢، ص ٣٨.

(٢) محمد باقر المجلسي، البحار، ج ١٣، ص ٤٢٨، ج ٤٣، ص ٨٢.

(٣) محمّد باقر المجلسي، البحار، ج ٧٥، ص ٢٧٣.

(٤) محمد باقر المجلسي، البحار، ج ١١٠، ص ١٠٤.

(٥) الحسن بن الفضل الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ٣٥٩.

(يد الله مع الجماعة)[١].

هذا في ما يعنى بالمعاملات، والكلام ينساق علىٰ العبادات أيضاً، حيث التأكيد علىٰ صلاة الجماعة، والدعاء بشكل جماعي....

فإنّ هذه الأُمور حاجة في الإنسان، تنبع من صميم خلقته، ولأجل هذا نجد أنّ من يترك الإجتماع، والعلاقات الإجتماعيّة يصاب بأمراض نفسيّة، ولأجل هذا نجد أنّ من العقوبات الّتي تطبّقها الحكومات، بل من اشدّها، هي عملية عزل الشخص عن بني جنسه، كما في حالات السجون، الّتي تشكّل السجون الانفراديّة منها اشقّ العقوبات.

ويعتبر الحجّ من ابرز العبادات الّتي تهذب العلاقة الاجتماعيّة بين الأفراد وتربيها، من خلال جملة من الأُمور تبدأ من حين الاستعداد للحجّ، حيث إنّ الروايات تحثّ علىٰ توديع المسافر وتشييعه (حقّ علىٰ المسلم إذا اراد سفراً أن يعلم اخوانه...)[٢].

وكذلك عند المسير نحو بيت الله، فقد روي أنّ «الرفيق ثمّ الطريق»[٣] ولأجل هذا نجد أنّ الحجّاج يتوجّهون إلىٰ زيارة البيت بشكل قوافل تساهم في بناء أواصر الأخوة والتلاحم، وقد حضّ أهل البيت عليهم السلام المسافرين علىٰ كمال المروءة والمشورة والتعاون، وبذل الزاد، وبشاشة الوجه، وغير ذلك من الآداب الّتي تؤكّد علىٰ كيفيّة التعاطي الاجتماعي البنّاء، الّذي يجعل من ابناء المجتمع بنياناً مرصوصاً لاتزعزعه رياح التفرقة.

---

(١) محمد مرتضىٰ الزبيدي، تاج العروس، ج ١٠، ص ٤٢٠.
(٢) محمد باقر المجلسي، البحار، ج ٧١، ص ٢٥٧.
(٣) محمد باقر المجلسي، البحار، ج ١٣، ص ٤٢٨.

وقد جعل الشارع المقدّس قواعد موحّدة ثابتة، لتربية اجتماعيّة مثالية، وذلك من خلال هدم مجموعة من ركائز التفرقة والطبقيّة، من خلال حصر الهدف، وتحديد الزمان والمكان، وتدخّل في كيفيّة التطبيق، قاطعاً الطريق عن أي فوارق طبقيّة تشكل خللاً، أو حاجزاً يمنع عن التأثير المقصود.

تماماً كاستواء الخلق كلّهم علىٰ اعتاب الموت، فنجد أنّ اللباس (كفن) واحد، والمكان (قبر) واحد، والهدف (سفر الآخرة) واحد.

ولا يخفىٰ علىٰ البصير، أنّ لكلّ سلطان أو عظيم طريقة خاصّة في استقبال زوّاره، وآداب ورسوم لابدّ من مراعاتها، من كيفيّة اللباس ونوعه، والقوانين والآداب المرعيّة الاجراء، كما أنّ الزمان محصور بوقت معيّن لا يسمح بتخطيه، وللمكان شروط لا يمكن تجاوزها، كلّ ذلك خدمة للمحافظة علىٰ الفوارق الطبقيّة والاجتماعيّة بين الحضور.

فللوزراء لباسهم، وللحراس لباس آخر، كما أنّ لرجال البلاط ثوب ثالث، ورابع لعامّة الشعب، بحيث إنّ المتأمّل يمكنه أن يميّز انتماء كلّ فرد من خلال ذلك.

ثمّ تأتي مسألة المكان، فالمقدّمة لأصحاب المقامات، ولايجوز للعوام أن يقتربوا منها، فضلاً من أن يتواجدوا فيها.

امّا عن الزمان، فعلىٰ العامّة أن يحتشدوا في اماكن معينة، وقبل مدّة مديدة، ليتسنّىٰ لهم أن يشاركوا بالكيفيّة الّتي ترضيٰ هؤلاء، فتتلف الساعات لأجل ذلك، أمّا أصحاب الطبقات المميّزة، فإنّهم لن يتجشّموا عناء الانتظار، لأنّ اماكنهم مهيّأة، والوصول إليها متيسّر.

وهكذا تغدو المناسبة سيفاً مسلّطاً يمزّق اوصال المجتمع، وجرثومة

خبيثة تتغلغل في صدور ابنائه حقداً وحنقاً، بل يأساً خانقاً، وتهوّراً قاتلاً، يخلخل أركان المجتمع.

ومن الطبيعي أنّ هذا ليس قصداً للعقلاء، وإنّما هو من الأهداف السرطانيّة لعوامل الاستعمار، الّتي تحرّك رموزها بخيوط الدسيسة.

وهذا الغزو، لابدّ أن تتصدّىٰ له قوىٰ الخير، لتعيد الأُمور إلىٰ الفطرة السليمة، وتحكم بناء التركيب الاجتماعي، وتغرس في نفوس الأفراد نواة التكافل والتضامن، وتعيد إلىٰ الحياة الاجتماعيّة رونقها، وذلك بالرجوع إلىٰ الدين الحنيف، وآدابه وأخلاقه، والّتي من ضمنها الحجّ الّذي يعطي لهذه المسألة اهميّة نتلمّسها من خلال بعض التدابير.

ما يجب مراعاته من حيث الأعراض:

فمن حيث الاعراض والكيفيّات: كان لابدّ أن يعرف المكلّف ـ وهو من طبقة متوسّطة فما فوق في أغلب الأحيان (من استطاع) ـ أنّ القشور الّتي يتلهّىٰ بها ليست سوىٰ موانع تبعده عن الهدف، وتضيّع ثروته، وتجعله لاهثاً وراءها، في حين انّه لو اراد واقعاً أن يهتم بسفره الأُخروي، فإنّ هذه الأُمور سوف تكون عوائق تمنعه من الدخول في حرم الله، وتشكل مانعاً من تلبية النداء الإلٰهي، طالما هو من أسباب التفرقة الإجتماعيّة وتكريس للطبقيّة.

فما ينبغي أن يعرفه أنّ الوان الملابس الّتي يصرف عليها اموالاً طائلة، قد تصل في بعض الأحيان لتضاهي ميزانيّة العيش لعدّة عوائل مجتمعة، هدفها بحسب التشريع السماوي ستر العورة عن الناظر المحترم لا اكثر، لذا لكي يكون ممّن لبّىٰ نداء الحق، فإنّه لابدّ أن يكتفي بقطعتين من القماش، تستران عورته،

وتذكرانه بلباس آخرته، حتّىٰ أنّ القانون يقتضي عدم الخياطة فيها.

ولأجل ذلك كانت القاعدة علىٰ هذا الصعيد، تقتضي وحدة اللباس، بل ادنىٰ ما يكون من اللباس، وبشكل تتساوىٰ فيه كلّ الخلائق، حتّىٰ يعلم أنّ هؤلاء كلّهم عباد الله فقط، وهم علىٰ مستوىٰ واحد من حيث الظاهر، ولا تمايز بينهم إلّا من حيث الباطن ﴿انّ اكرمكم عند الله اتقاكم﴾[1] وتعتبر ميّزة الوحدة من هذه الجهة درساً للمجتمع البشري اجمع، وعبرة للتخلّي عن كلّ الفوارق.

التدابير المكانية:

إنَّ التشرّف إلىٰ بيت الله تعالىٰ، له أبواب محدّدة، وهي عامّة لاتختصّ بطبقة دون طبقة، وإنّما يتوجّب علىٰ جميع من قصده أن يقف عند اعتاب ذلك الباب، طالباً الإذن بالدخول، وهذا التوقّف عند الباب لابدّ ان ترافقه مجموعة من المواقف الصريحة والواضحة، قوامها سمة الدخول، وهي واحدة أيضاً لا تعددية فيها، ولا اختلاف في الفاظها بين فرد وفرد: «لبّيك اللهمّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، أنّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبّيك».

فعند تلك الأعتاب، لايكتفي بالاتّحاد الخارجي في المظهر، بل لابدّ أن يتوافق مع اتّحاد القلوب والضمائر، وتكون النتيجة اتّحاداً في الموقف العملي.

لأجل هذا، لابدّ أن يعترف، ثمّ يُؤكد اعترافه، حتّىٰ يترسّخ ذلك في القلب والذهن، وتألفه الأسماع أيضاً، فيعيش الإنسان هذه الحقيقة الخالدة، وأنّ النعم كلّها لله، والمحامد كلّها لله، وانّه محور كلّ شيء، بل هو كلّ شيء، وما سواه مصطنع زائف، إذا لم ينتسب إليه كان خيالاً واوهاماً.

---

(١) الحجرات، (١٣).

وعلىٰ هذا يصير المكان، من ركائز الاتّحاد، بنفس العناية، ودونما تمييز، ولكلّ النّاس في آن معاً، امعاناً في هدم الطبقيّة، وشد أواصر التلاقي الصافي، الخالي من أي شائبة.

التدابير الزمانية:

أمّا من الحيثيّة الزمانيّة: ﴿فالحجّ اشهر معلومات﴾[1] و﴿ويذكروا الله في ايّام معلومات...﴾[2] فعلىٰ جميع الحجّاج، أن يحافظوا علىٰ حيثيّة الزمان، ومن أخلّ بهذه الحيثيّة فلن يكون عضواً في هذا الوفد.

ولا شكّ في أنّ وحدة الزمان من العوامل المؤثّرة في تطبيق الثقافة الاجتماعية المناسبة، لأنّها سوف تجعل الجميع في خندق واحد ولهدف واحد في نفس الوقت، وهو الاعتراف بالعبوديّة والنقص، والإذعان بالعجز، وطلب المغفرة والفوز والنجاة.

ومن الطبيعي أنّ أداء المناسك لايستغرق الوقت كلّه، مع ملاحظة بعض الأحكام التعبّدية الّتي تلزم الحاج علىٰ البقاء في رقعة واحدة، ولفترات مختلفة، ممّا يفسح المجال أمام الوفود أن تختلط فيما بينها، فتتفاعل وتتعارف بشكل اوسع، كما هو الحال في الأيّام الّتي يجب قضاؤها، أو بقاء قسم منها في منىٰ مثلاً، فيتعرَّف كلّ علىٰ عادات غيره واساليب التعاطي، وطرق العيش، وهذا سينقش في ذهنه اموراً قد يفتقدها مجتمعه، فيحاول تطبيقه بعد عودته ـ وهو الّذي يقوم بمهام السفارة ـ إلىٰ مجتمعه الأم، فينتقي مايفيده، ويتعرّف علىٰ نقاط

---

(١) البقرة، (١٩٧).

(٢) الحج، (٢٨).

الضعف في المجتمعات الإسلاميّة المختلفة، كما علىٰ نقاط القوّة، وكيف يمكن للطاقات أن تستغل، فتصبح وحدة الزمان نافذة للتزوّد بكلّ ما فيه خير هذه الأُمّة ووحدتها، وتمزيقاً لكلّ الحدود المصطنعة الّتي زرعتها أيادي الاستعمار، بحيث نمت الغرائز القبليّة، ومزّقت التآلف والتحالف والتآخي الّتي تدعو إليها رابطة الدين، واستبدلتها برذائل الفرقة والنزاع والشقاق، خدمة لمشاريع الاستغلال والاستعمار.

مع الإمام الخميني ﴿قدس سره﴾:

ولمزيد من التأكيد علىٰ التربية الاجتماعية نقف عند مقتطفات من كلام الإمام الخميني ﴿قدس سره﴾، والّتي يؤكّد فيها علىٰ هذا الموضوع:

١ ـ ورد في إحدىٰ رسائله: «نظراً لاقتراب ايّام اقامة واحدة من الفرائض الإسلاميّة الكبرىٰ، ذات المحتوىٰ الإنساني، الروحي، السياسي، الإجتماعي، العظيم، اعني فريضة حجّ بيت الله الحرام يلزم... تطهير هذه الفريضة المقدّسة من آثار الطاغوت لتعود إلىٰ الإسلام الحقيقي...»[(١)].

فالحجّ شكل من اشكال السلوك الجمعي، ووجه من اوجه التفاعل الروحي والإجتماعي بين المسلمين، فبالاضافة للجنبة العباديّة وما تمثّله من إطار روحي، مرفق بسمو اخلاقي عظيم، يؤهّل الفرد للرقي إلىٰ أعلىٰ درجات الكمال النفسي والروحي مع خالقه، هنالك جنبة أُخرىٰ لاتقل خطورة عن الاشعاعات الروحية، تتمثّل بالجانب الاجتماعي، الّذي يترجمه سلوك جمعي

---

(١) مجموعة خطابات الإمام «الحجّ مؤتمر عبادي سياسي» ص٤١. نقلاً عن مجلّة الميقات، العدد ١٢ ـ ١٤٢٠هـ، ص١٨٦.

عالمي يؤدّي إلىٰ تغيير اجتماعي له ابعاد خطيرة.

فإنّ مناسك الحج ينتج عنها لونان من الوان النشاط الإنساني:

(أ) ـ النشاط التعبّدي الفردي، وما يصاحبه من خشوع وتواضع وتذلّل للباري (عزّ وجلّ).

(ب) ـ النشاط الإجتماعي الّذي يتمثّل بالسلوك المشترك بين المتعبّدين، وما ينتج عنه من تفاعل بين الأفراد من مختلف الأجناس، ويؤدّي بالنهاية إلىٰ التغيير الاجتماعي الّذي هو الأصل في نشاطات السلوك الجمعي.

هذا بالإضافة للشعور المتولّد لدىٰ الأفراد ـ المندمجين بمناسكه وافعاله ـ بالوحدة الكونيّة الّتي تجمع الخلق والمخلوقات، إذ إنّ النظام الكوني في الحركة والدوران، والبداية والنهاية، ينعكس بشكل من الأشكال علىٰ هذه الأفعال التعبّديّة المنتظمة كالطواف بالبيت، والسعي، وهذا الانسجام في طبيعة المناسك، يبرز شكلاً من اشكال التنظيم الاجتماعي الديني.

٢ ـ يقول الإمام ﷺ: «المهم ـ في هذه التجمّعات ـ أن تبادلوا المعلومات بشأن مامرّ في بلاد المسلمين»[(١)].

ومن المعلوم أنّ المجتمعات تختلف فيما بينها من حيث التقدّم الحضاري والثقافي، لذلك كان لاجتماع الحجيج أكبر الأثر في تبادل المعلومات المفيدة لبناء مجتمع عالمي متكافئ، وذلك من خلال تعدّد المواقف في الحجّ، والفترة الزمنية الّتي يقضيها الحجّاج قبل مناسك الحجّ وبعدها، ممّا يؤدّي إلىٰ الإطّلاع

---

(١) كتاب الحجّ، ص٩٧، لقاء مع السفراء، نقلاً عن مجلّة الميقات، العدد (١٢) ـ ١٤٢٠هـ، ص١٦٢.

الواسع علىٰ اوضاع المجتمعات المختلفة، ويعطي مجالاً اوسع للتغيير.

٣ ـ يقول الإمام ﷺ: «... وأن يفكروا في حلّ مشاكل المسلمين»[١].

لابدّ أن تتمّ عمليّة التأثير والتأثر بين المسلمين انفسهم خلال مناسك الحجّ.

ولأجل هذا كان من غير المسموح لغيرهم من المشركين والملحدين أن يدخلوا الحرم المكّي وغيره من المساجد، لكي لا تمتدّ افكارهم الآثمة وتأثيراتهم المضلّلة إلىٰ الشعائر الإلٰهيّة والّتي من جملتها الحجّ.

ولأجل ذلك، فانّ هذا المؤتمر حصن لأعظم تجمع أممي، يتدارس فيه المسلمون مشاكلهم ويسعوا إلىٰ حلّها، وهو درس عظيم من دروس التربية الإجتماعيّة.

٤ ـ يقول الإمام ﷺ: «تبادلوا وجهات النظر، وتفاهموا لحلّ مسائل المسلمين المستعصية، واعلموا أنّ هذا الاجتماع الكبير الّذي يعقد سنوياً، بأمر الله تعالىٰ في هٰذه الأرض المقدّسة، يفرض عليكم انتم المسلمين أن تبذلوا الجهود علىٰ طريق الأهداف الأسلاميّة المقدّسة، ومقاصد الشريعة المطهّرة السامية، وعلىٰ طريق تقدّم المسلمين وتعاليمهم، واتّحاد المجتمع الإسلامي وتلاحمه، تشترك افكاركم وعزائمكم علىٰ طريق الاستقلال واقتلاع جذور سرطان الاستعمار»[٢].

---

(١) م. س.

(٢) كتاب الحجّ، ص ٢١ ـ ٢٢، نداء الحجّاج، ١٣٩٠هـ، نقلاً عن مجلة الميقات، العدد ١٢ ـ (١٤٢٠هـ).

ان تبادل الخبرات الإجتماعيّة من افراد يختلفون تماماً في المنشأ واللون واللغة والمكان، يساهم مساهمة عظيمة في بناء الدولة العالمية الموحّدة، وما السلوك الجمعي في احكام الحجّ إلّا ركيزة تصهر تلك الخبرات الإجتماعيّة فيتعلّم المسلمون الوافدون من قارات العالم المختلفة بعضهم من بعض، التقاليد والعادات الإجتماعيّة والعلوم النظرية والثقافات، والقضايا الفكرية ممّا يؤدّي إلىٰ تقارب في وجهات النظر الفردية والجماعية، بخصوص المشاكل الّتي تعاني منها تلك المجتمعات، خصوصاً مع الأخذ بعين الاعتبار، اختلاف نوعية الأفراد المكلّفين بالحجّ في كلّ سنة، فإنّه يساهم في نقل الخبرات الإجتماعيّة فيما بينهم، وهذا ما يساهم في ازدهار تلك المجتمعات البشرية المتباينة في العادات والتقاليد والثقافات.

ثمّ إنّ المناسك التعبّديّة الجماعية تولّد احساساً عظيماً بالشعور الموحّد تجاه المشاكل المشتركة، بل حتّىٰ فيما يتعلّق بطبيعة الإنسان ووحدة الخالق، ولاشكّ أنّ التأثير الاجتماعي في الحجّ ينبع عن وعي ابعاد تلك الفريضة من قبل بعض المكلّفين. فهذا الوعي يهذب نظرة الأفراد ويوحّدها تجاه الحياة الإجتماعية والسياسيّة والاعتقاد.

مع الإمام الخامنئي (دام ظلّه):

وبالأخير نذكر ما قاله الإمام الخامنئي (دام ظلّه): «من الجهة الإجتماعيّة، لا نظير للحجّ بين الفرائض الإسلاميّة، ذلك انّه مظهر لقدرة الامّة الإسلاميّة وعزّتها واتّحادها، ولا فريضة كالحجّ تعلم افراد المسلمين ـ بهذا النحو ـ الدرس والعبرة بقضايا الأُمّة الإسلاميّة والعالم الإسلاميّ، وتعطيهم القوّة

والعزّة والوحدة، وأن تعطيل هذه الجهة من الحجّ هو سدّ لينابيع الخير عن المسلمين، لا يمكنهم الحصول عليها من أي طريق آخر»[١].

---

(١) البيان الثاني للإمام الخامنئي (دام ظلّه)، ذي الحجّة، ١٤١٧هـ.

المبحث السادس:

أثر التربية السياسيّة للحجّ

بعد أن تعرّضنا في الحديث للبعدين الأخلاقي والإجتماعي للحجّ، كان لابدّ من الوقوف علىٰ البعد السياسي الّذي ينسجم مع هٰذين البعدين شدّة الإنسجام.

فإذا حاول الإنسان منّا أن يقوم بجولة في رحاب المناسك، وجولة أُخرىٰ آفاقيّة، فستتأكّد له المقولة المشهورة «سياستنا عين ديانتنا».

فمنذ اللحظة الأُولىٰ الّتي يتأهّب فيها المكلّف للوقوف علىٰ اعتاب هذه العبادة المقدّسة، فإنّ بنداً مهمّاً يستوقفه ولابدّ من تطبيقه، ليكون الإنسان قد بدأ ـ ولو نظريّاً ـ مرحلة الإعداد الإلٰهي، ذلك البند كناية عن التلبية الّتي تشكل بفقراتها جملة من المباني السياسيّة الّتي يجب أن تبنىٰ عليها ايديولوجية الفرد في علاقته مع نفسه ومع خالقه ومع الآخرين.

«لبّيك اللهمّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، أنّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبّيك». وهي تختزن في داخلها جملة من المطالب، الّتي توضح استقلالية الفرد ومن ورائه المجتمعات، عن أي تبعية وتسلّط واستعباد، فالله تعالىٰ هو المالك، وعليه الاتكال، فله فقط يقال «لبّيك». ولأوامره ونواهيه فقط دون سواه يلتزم الخلق كلّهم، إذ انّه لابدّ علىٰ من يجيب النداء الإلٰهي أن يعترف بانّه لاشريك للخالق تعالىٰ في ادارة الأُمور وتدبيرها، وقضاء الحوائج وتيسير

شؤون العباد. فمنه النعم كلّها، وله المحامد، لأنّه صاحب الملك لاغير. ثمّ بعد الاعتراف بكلّ هذا، يعود الإنسان إلىٰ تأكيد هذا الأمر، فالأوامر والنواهي الّتي لابدّ للمكلّف من المعاهدة عليها، هي من صميم دين الإسلام وتفاصيله وقواعده ومعتقداته، ولايحيد عن ذلك قيد أنملة.

وهذه التلبية الّتي لابدّ منها، حتّىٰ تكون اصداؤها مدوّية، لابدّ من تطابق الجنان مع اللسان، والّا فكما عن الإمام السجّاد عليه السلام، يخشىٰ أن يكون جواب التلبية: «لا لبّيك ولا سعديك»[1]. وهي اشارة صريحة إلىٰ انّه لولم يكن القلب معتقداً بمضمون هذه التلبية، وانّها عقد أولي علىٰ طريق تحطيم كلّ الوثنيّات، ووئد كلّ اصناف البدع المعشعشة في النفوس. فلابدّ من تلبية تقطع العلائق مع كلّ الزعامات المصطنعة، والألهة الزائفة ﴿أءله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾[2].

ثمّ تأتي الخطوة الثانية من خطوات هذا الدرس، حيث يبدأ الإنسان بالطواف حول البيت، وهي مرحلة الترجمة العمليّة لما قاله وآمن به نظريّاً، فهذا العمل يمثّل وحدة المحور في الوجود، أنّ الإنسان مهما كان، وإلىٰ أي طبقة انتمى، لابدّ أن يكرّس نفسه في هٰذه المعزوفة الوجودية الّتي يعبّر عنها الفلاسفة بالحركة الجوهريّة للوجود، فمسير الكائنات ومصيرها إلىٰ الخالق (جلّ شأنه)، وبهذا يستعدّ الفرد ومن ورائه المجتمع إلىٰ قبول كلّ ماهو محبوب له تعالىٰ، ورفض كلّ ما هو مبغوض.

وهل هناك أعظم من هذه التربية السياسية!؟..

---

(١) محمد بن علي الإحسائي، عوالي اللئالي، ج ٤، ص ٣٥.
(٢) النمل (٦٤).

هذا المصطلح (السياسة) الّذي يعني القيام علىٰ الشيء بما يصلحه ـ وفي الحديث: كان بنو اسرائيل يسوسهم أنبياؤهم (أي يتولّون أمورهم)(١).

وهل هنالك اخطر من هذا علىٰ ائمّة الضلالة والكفر والإلحاد والشرك، عندما تتقدّم الخطوات ثابتة نحو تدمير اباطيل هؤلاء، وكسر جبروتهم، لأنّ الاقدام علىٰ تلبية النداء الإلٰهي معناه اخفاء كلّ الأصوات الأُخرىٰ وكتمها، فهو صرخة بوجه الطامعين، لأنّ من نلبّي نداءه فقط هو خالقنا وسيّدنا والمنعم والمتفضّل علينا، ملك ومالك كلّ شيء، وها نحن نطوف حول المحور الّذي رسمه لنا لنعلن أنّ النجاة كلّ النجاة بترك كلّ المحاور الزائفة المصطنعة، وهو اعلان الحرب علىٰ كلّ الوثنيات، وقوىٰ الاستعمار والتسلّط والهيمنة(٢).

فإذا اردنا أن نلحظ الجنبة السياسية بشكل أوضح في هذه العبادة المقدّسة، فما علينا إلّا أن نطرق أبواب التاريخ، لنشاهد المواقف الحاسمة مع الطاغوت انطلاقاً من هذه العبادة، حيث يقف أمير المؤمنين عليه السلام ليبلّغ آيات البراءة من المشركين، وانّه لن يدخل مكّة بعد اليوم مشرك، وكذلك ما كان عند قيام النبي والوصي عليهما السلام.

وهكذا نقرأ مواقف أبي الضيم، سيد الشهداء عليه السلام، حيث يعلن موقفه بصراحة من الحاكم الظالم، وعدم استعداده للبيعة، وهو حثّ للمسلمين علىٰ رفض الظلم والقيام ضدّ الطغمة الجائرة.

وعليه فالحجّ ليس مجموعة مناسك جوفاء، بل هو مؤتمر سياسي عالمي ـ ولكن وفوده هذه المرّة، متمثّلة بالقاعدة العريضه للامّة الّتي تحسّ بالآلام

---

(١) محمد ابن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص١٠٨.

(٢) راجع جوادي آملي، صهباي حج، ص١٢١.

والمعاناة حضوراً، وتلمست مكائد الحكّام وخياناتهم ونهبهم للثروات، وتبعيّتهم للمستعمرين، وبيعهم للقضايا الأساسيّة والمصيريّة إرضاء لأسيادهم، وتشويههم لأحكام الدين ومفاهيمه ليتناسب مع سياسات الذلّ والخنوع ـ يوفّر لأفراده فرصة التآلف فيما بينهم، وعلىٰ اختلاف مواقعهم، من خلال الإحتكاك المباشر ـ ليس عبر ما تتناقله وسائل الإعلام الّتي مهما حاولت أن تنقل فإنّها لاتضع اليد علىٰ الجرح ـ فيحصل مصداق من مصاديق المنافع المشهودة، فتتبادل الآراء والخبرات والتجارب الناجعة في إيقاظ هٰذه الأمّة، وحلّ مشاكلها السياسيّة والإجتماعيّة والإقتصاديّة في جوّ من الأمن والأمان والروحانيّة والمحبّة.

فإذا تنطع البعض ليشكلوا ـ كما هو الحال في زماننا ـ بانّ الحجّ عبادة وأداء للمناسك، فلا ينبغي تشويهها وتعكير صفوها بالأُمور السياسيّة وغيرها.

نجيب بانّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو أوّل من مارس ذلك، ابتداء من اعتباره الحجّ من أنواع الجهاد، بل من افضله، حيث ورد عنه صلى الله عليه وآله: «نعم الجهاد الحجّ»(١).

بالإضافة إلىٰ كثير من الأدعية والأذكار الّتي تحتوي مضامين سياسيّة جنباً إلىٰ جنب المضامين الروحية، كما في دعا الوحدة «لا إلٰه إلّا الله، وحده وحده، انجز وعده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده...»(٢).

وايضاً في بعض الممارسات العمليّة، كالمروي عن ابن عبّاس، من أنّ

---

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج ٣، ص ٢٢١.

(٢) الحسن بن فضل الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ٣٠١، محمد باقر المجلسي، بحار الانوار، ج ٨٣، ص ٣٦ (باختلاف) بسيط.

رسول الله ﷺ أمر اصحابه بالاسراع في المشي، ليرىٰ المشركون قوّتهم فيهابوهم، وهذا، إن تمّ الإشكال فما كان يصنعه المسلمون رياء ـ وهو من صور المقاصد السياسيّة والجهاديّة. كبث الرعب في قلوب الأعداء، واستنكار اعمالهم.

وانّ الموسم كان فرصة لعرض الأُمور والمطالب أمام الخليفة، الّذي يتولّىٰ اعادة الحقوق، كما في قصّة الرجل الّذي ضربه ابن العاص (والي مصر)، حيث اقتصّ الخليفة الثاني من الوالي، علىٰ مرأىٰ ومسمع من الحجيج. فإذا كان رفع الظلامات والشكوىٰ إلىٰ الحاكم ممكناً في الموسم، فبثّ الشكوىٰ من تسلّط قوىٰ الظلم والتسلّط والهيمنة والاستكبار ممكن أيضاً(١).

والحج عامل مهم في مكافحة التعصب القومي والعنصري والعرقي(٢).

وعليه فمسألة السياسة ليست مستقلّة ومنفصلة عن باقي جوانب وابعاد الحياة الفردية والجماعية، بل هي مفردة من مجموع الرؤية الإسلاميّة المتكاملة، وهذا مايفهم من مجموع نداءات الإمام الخميني ﷺ بشأن الحجّ، تأكيداً علىٰ الدور البالغ لهذه الفريضة.

لذلك يعتبر الإمام الخميني ﷺ بأنّ الطواف حول الكعبة تأكيد علىٰ حرمة «الطواف والسعي حول (اية مبادئ) غير مبادئ الله، وأنّ رجم الشياطين هو رمز لرجم كلّ شياطين الأنس والجنّ في الأرض. «ايّها الحجّاج... احملوا من

---

(١) راجع مجلة ميقات الحج، عدد (١٢)، ١٤٢٠هـ، جلال الأنصاري، البعد السياسي للحج بعد منظار الإمام الخميني ﷺ.

(٢) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل، ج ١٠، ص ٢٢٩.

ربّكم نداءً إلىٰ شعوبكم. أن لا تعبدوا إلّا الله ولا تخضعوا لغيره...»[١].

فهو مؤتمر له مقرّرات يجب أن يطبقها المؤتمرون، ويسعوا إلىٰ نقل مفاهيمها ومضامينها إلىٰ المجتمع الكبير، وايقاظ جزوة الوعي فيه ليمارسها الجميع.

ثمّ يقارن الإمام ﷺ بين المؤتمرات الرسميّة، وتلك الإسلاميّة بمعنى الإلٰهيّة، فيقول ﷺ: «في الدول غير الإسلاميّة، تنفق الملايين من ثروة البلاد وميزانيتها، من اجل عقد مثل هٰذه الإجتماعات، وإذا انعقدت فهي في الغالب صورية شكليه، تفتقر إلىٰ عنصر الصفاء وحسن النية والاخاء المهيمن علىٰ الناس في اجتماعاتهم الإسلاميّة، ولا تؤدّي بالتالي إلىٰ النتائج المثمرة الّتي تؤدّي إليها اجتماعاتنا الإسلاميّة.

وضع الإسلام حوافز ودوافع باطنيّة، تجعل الذهاب إلىٰ الحجّ من اغلىٰ مافي الحياة، وتحمّل المرء تلقائيّاً إلىٰ حضور الجماعة والجمعة والعيد بكلّ سرور وبهجة، فما علينا إلّا أن نعتبر هذه الاجتماعات فرصاً ذهبيّة لخدمة المبدأ والعقيدة، لنبيّن فيها العقائد والأحكام والأنظمة علىٰ رؤوس الأشهاد، وفي أكبر عدد من النّاس.

علينا أن نستثمر موسم الحجّ، ونجني منه اطيب الثمار في الدعوة إلىٰ الوحدة، والدعوة إلىٰ تحكيم الإسلام في النّاس كافّة، علينا أن نبحث مشاكلنا ونستمدّ حلولها من الإسلام، علينا أن نسعي لتحرير فلسطين وغيرها.

المسلمون الأوائل كانوا يجنون من جماعاتهم وجمعاتهم وأعيادهم

---

(١) راجع نداء الإمام إلىٰ الحجّاج، (١٣٩٩هـ).

ومواقف حجهم أحسن الثمار.

كثير من الأحكام العباديّة تصدر عن معطيات اجتماعية وسياسية، فعبادات الإسلام عادة توأم سياساته وتدابيره الإجتماعيّة.

صلاة الجمعة مثلاً، واجتماع الحجّ والجماعة تؤدي، بالإضافة إلىٰ مالها من آثار خلقية وعاطفية، إلىٰ نتائج وآثار سياسية، استحدث الإسلام هذه الاجتماعات، وندب النّاس إليها، والزمهم ببعضها حتّىٰ تعمّ المعرفة الدينيّة، وتعم العواطف الأخويّة، والتعرّف بين النّاس، وتنضج الافكار وتنمو وتتلاقح، وتبحث المشاكل السياسيّة والإجتماعيّة وحلولها»[١].

وقد قال الإمام تَيِّرُ أيضاً: «الاسلام دين عبادته سياسة، وسياسته عبادة، والآن إذا اجتمع المسلمون في شتّىٰ بقاع الأرض حول كعبة الآمال لحج بيت الله، وللقيام بالفرائض الإلٰهيّة، وعقد هذا المؤتمر الإسلامي الكبير، في هذه الأيّام المباركة، وفي هذه البقعة المباركة... يتوجّب علىٰ المسلمين الّذين يحملون رسالة الله تعالىٰ أن يستوعبوا المحتوىٰ السياسي والإجتماعي للحجّ اضافة إلىٰ محتواه العبادي»[٢].

من مجمل ما تقدّم، نفهم نقاط القوّة الّتي جعلها الله تعالىٰ في شريعتنا المقدّسة، والّتي لو تمكنّا من استغلالها وانتهاز الفرص، واعتبرنا بمن سبقنا من الرعيل الأوّل، سالكين نفس الدرب الّذي سلكوه، ووعينا حقيقة مناسكنا وعباداتنا. (الاسلام دين عبادته سياسة، وسياسته عبادة)، واستشعر كلّ فرد من

---

(١) من محاضرات الإمام في النجف الأشرف (١٢٨٩) هـ. نقلاً عن مجلة الميقات. عدد (١٢). ١٤٢٠ هـ.

(٢) نداء الإمام للحجّاج سنة ١٣٩٩هـ.

افراد هذا الوفد حقيقة وواقعية الأهداف المرجوّة من هذه الاجتماعات، فسوف نكون قد حقّقنا العلّة التامّة بالإضافة إلىٰ الاتّحاد حول محور الوجـود الأزلي السرمدي، وعند ذلك نكون قد بذرنا بذور الوعي في ضمير الأُمّة، وارشدناها إلىٰ نقاط قوّتها، وفهمناها بانّ الإسـلام العـملي العـالمي هـو بـلسم الجـراح، والزلزال الّذي يهدّم عروش الطواغيت.

المبحث السابع:

أثر التربية الاقتصاديّة للحجّ

وهذا المبحث يستدعي الوقوف عند النصوص القرآنية وروايات أهل البيت عليهم السلام.

قال الله تعالىٰ ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربّكم﴾[١]، وعن الصادق عليه السلام انه قال: «... يعني الرزق، إذا احلّ الرجل من إحرامه، وقضىٰ نسكه فليشتر وليبع في الموسم»[٢].

والمروي عن ائمّتنا عليهم السلام وعن ابن عبّاس، انّهم كانوا يتأثمون بالتجارة في الحجّ، فرفع سبحانه بهذه اللفظة، الإثم عمّن يتّجر في الحجّ[٣].

قال الله تعالىٰ ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للنّاس﴾[٤]. سئل أبو عبدالله عليه السلام عن الآية فقال: «جعلها الله لدينهم ومعايشهم»[٥].

أي جعل الله حجّ الكعبة أو نصبها (قياماً للنّاس) أي لمعايش النّاس

---

(١) البقرة (١٩٨).

(٢) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١١، ص ٦٠، وجوب الحجّ، ب ٢٣، ص ٧.
محمد بن مسعود، تفسير العياشي، ج ١، ص ٩٦.

(٣) عبد علي العروسي الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ١٩٥.

(٤) المائدة (٩٧).

(٥) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١١، ص ٦٠، ب ٢٣، وجوب الحجّ، ح ٨.

ومكاسبهم، لأنّه مصدر (قاموا). كان المعنىٰ قاموا بنصبه ذلك لهم، فاستثبت معاشهم بذلك، واستقامت احوالهم به، لما يحصل لهم من زيارتها، من التجارة وانواع البركة، ولهذا قال سعيد بن جبير: من اتىٰ هذا البيت يريد شيئاً للدنيا والآخرة اصابه، وهو المروي عن أبي عبدالله عليه السلام(١).

امّا من النصوص فقد تقدّم ما عن الإمام الرضا عليه السلام:

«... ومنفعة من في المشرق والمغرب، ومن في البر والبحر، ممّن يحجّ وممّن لايحج، من تاجر وجالب وبايع ومشتري، وكاسب ومسكين، وقضاء حوائج أهل الأطراف، والمواضع الممكن لهم الاجتماع فيها كذلك»(٢).

وكما عن هشام بن الحكم قال: سألت ابا عبدالله عليه السلام فقلت له: ما العلّة الّتي من أجلها كلّف الله العباد، الحجّ والطواف بالبيت؟ فقال: «... ولينزع كلّ قوم من التجارات من بلد إلىٰ بلد، ولينتفع بذلك المكاري والجمّال، ولو كان كلّ قوم إنّما يتّكلون علىٰ بلادهم ومافيها هلكوا. وخربت البلاد، وسقطت الجلب والأرباح...»(٣).

فانطلاقاً ممّا تقدّم، نفهم أنّ المنافع الّتي اشير إليها في الآية المباركة، هي المنافع المادية، وتنشيط الحركة الاقتصادية في البلاد الإسلاميّة، وهذا ما ارادته الشريعة الغرّاء، بدليل التعليل المروي عن الإمام الصادق عليه السلام.

فبالاضافة إلىٰ عبق العبادة المفعم بالروحانيّة، لابدّ لهذا الوفد أن يقوم بدور السفارة علىٰ اكمل وجه، فلا يدع جنبة من جنبات الحياة للمجتمع إلّا

---

(١) عبد علي العروسي الحويزي، نور الثقلين، ج ١، ص ٦٨٠.

(٢) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١١، ص ١٢، ب ١، وجوب الحجّ، ص ١٥

(٣) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١١، ص ١٢، ب ١، وجوب الحج، ح ١٥.

ويطرحها لكي يحقّق هذا اللقاء افضل النتائج المرجوّة. فبالاضافة لما تقدّم من الأبعاد، نحطّ الرحال عند هذا البعد الحيوي في حياة الفرد والمجتمع.

فالامام الرضا عليه السلام يعتبر أنّ التبادل التجاري، وانشـاء دورة اقـتصاديّة يعود نفعه علىٰ كلّ تركيب المجتمع كلّ بحسبه، بدءً من التاجر وانتهاء بـالفقير، مروراً بحوائج أهل الأطراف، لأنّ هذا العدد الضخم الّذي يؤمّ البـيت، لوكـان اعتماده علىٰ ما تنتجه مكّة فقط، لقضي علىٰ وفد الحجّ، لأنّها واد غير ذي زرع، لذلك كان لابدّ من الجلب والبيع والشراء، لأنّ الروح لكي تسمو وتتألّق، تحتاج إلىٰ جسم سليم معافىٰ، قد حصل علىٰ جميع حاجاته ومقومات صموده، ولابدّ ان نحقّق صفة الاستطاعة. الّتي هي شرط وجوب الحجّ لكي يبقىٰ البيت مقصداً للوالهين، وهذه تحتاج إلىٰ حركة اقتصاديّة فعّالة، نتيجتها توفّر الشـروط فـي مجموعة تستطيع تلبية النداء الإلٰهي.

ثمّ إنّ إعطاء الحصانة للمجتمع الإسلامي الكبير، يتطلّب جهداً متواصلاً وغير عادي، فلو أنّ كلّ وفد حمل ما تنتجه بلاده ممّا هو غير متوفّر في البلاد الأُخرىٰ، فانّه سوف يسد النقص والعجز، في ذلك البلد، كـما انّـه يـؤدّي إلىٰ تصريف ماهو كاسد من ذلك المتاع في بلد الإنتاج.

فإذا تطوّر هذا النظام الاقتصادي، فإنّ رؤوس الأمـوال سـوف تـزداد، ومعناه تضاعف الأموال الشرعيّة في بيت المال، وبالتالي ارتقاء المـؤسّسات العامّة، والخدمات الإجتماعيّة في سدّ حاجات أهـل العـوز مـن المسـاكـين والفقراء وغيرهم.

وهنالك مجموعة امور مهمة في التربية الاقتصادية للحجّ. ينبغي الاطلاع عليها، ومنها:

١ ـ التأكيد على بذل الزاد، وإن كان أمراً أخلاقياً في ذاته، إلّا أنّ له جنبة اقتصادية.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من شرف الرجل أن يطيب زاده إذا خرج في سفر»(١).

وكان علي بن الحسين عليه السلام إذا سافر إلىٰ مكّة للحجّ أو العمرة تزوّد من اطيب الزاد، من اللوز والسكّر والسويق المحمّص والمحلا»(٢).

فالزاد وإن كان من اقلّ ما يمكن أن يبذل، إلّا انّه بالنسبة للمسافر وابن السبيل من افضل مايمكن أن يتحف به، ويؤدّي إلىٰ حفظ ماء وجهه بل وحفظ روحه وحياته في بعض الأوقات.

٢ ـ مسألة الهدي، وهو واجب علىٰ من يحجّ (حجّ التمتّع)، فيأتي بالهدي يوم العيد، وهذا، وإن كان عملاً عباديّاً له ابعاد معنويّة جمّة، إلّا انّه أيضاً يمثّل جنبة اقتصاديّة مهمّة، خصوصاً مع الأخذ بعين الاعتبار، الاعداد الكبيرة من الأنعام الّتي تذبح وتنحر، والعجز الّذي يمكن أن تسدّه في حياة المعوزين في المجتمع، خصوصاً مع الإلتفات إلىٰ السيرة العمليّة لرسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام. حيث كان يأمر بالهدي أن يطبخ، فيأكل منه ويوزّع ﴿فكلوا منها واطعموا البائس الفقير﴾(٣).

عن أمير المؤمنين عليه السلام في الآية المباركة قال: «هو الزَّمِنُ الّذي

---

(١) الحسن بن فضل الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ٢٥٣.

(٢) م. س.

(٣) الحجّ (٢٨).

لا يستطيع أن يخرج اليك من زمانته»[١].

فهذا شريك في الهدي، حتّىٰ أنّ بعض الفقهاء يفتي بوجوب إعطاء الثلث للفقير.

ثالثاً: مسألة الكفارات، وخصوصاً كفارات الدم، وصرف ذلك علىٰ الفقراء، فيما لو ارتكب المكلّف بعض المحظورات الّتي يجب عليه اجتنابها.

رابعاً: الصدقة، والتأكيد عليها في البقاع المقدّسة، وانّها تتضاعف، لكي يستضيء الفرد بنور من الخلق الرفيع.

فهو في ضيافة الكرم الإلٰهي، ويرجو من الباري (عزّ وجلّ) أن يفيض عليه من نعم الآخرة والدنيا، فيجب أن يطبق عمليّاً ويتعاطىٰ مع الآخرين ويرجو لهم ما يرجوه لنفسه. (وقد أمرتنا أن لا نرد سائلاً عن أبوابنا).

خامساً: استحباب الهدية: ومالها من الأثر في الترابط الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع.

عن الصادق عليه السلام: **«هدية الحج من الحج»**[٢]. وفي مرفوعة «الهدية من نفقة الحج» ولعلّ المعنىٰ انَّ ما يهدي إلىٰ أهله بعد الرجوع من الحج له ثواب نفقة الحج، أو انّه ينبغي أن يحسب اولاً عند نفقة الحج الهدية أيضاً.

فالتدبّر في هذه التفاصيل الموجودة في المناسك، أو الواقعة علىٰ هامش هذه العبادة، تنتج دستوراً اقتصاديّاً، يمكن تطبيقه بحيث يجعل تجربة اجتماعية

---

(١) الميرزا حسين نوري، مستدرك الوسائل، ج ١٠، ص ١١٠.

(٢) محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج ٤٠، ص ٢٨٠، ح ٥، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٣٢٥، ح ٣.

رائدة تعود بالنفع علىٰ الأمّة الإسلاميّة بـاجمعها، فـتصبح مـنظومة لاتـقاوم، وتعطي الأمّة قوّة ومنعة، ممّا يدفع الآخرين إلىٰ مهابتها وعدم الاستهانة بـها، وتوطيد العلاقات معها، من خلال أمور:

الأول: تحصين الأمّة داخليّاً، من خلال سدّ الثغرات القائمة في المجتمع، نتيجة الفقر والعوز، من خلال مجموع الصدقات والكفّارات والهدي، والخمس وغيره.

الثاني: احياء المشاريع العامّة، وتقويتها عبر تحصين بـيت المـال مـن خلال رفده بالحقوق المتوجّبة، من خمس وزكاة ينمو ويتضاعف نتيجة دورة اقتصاديّة سليمة ومتنامية.

إذ إنّ المكلّف إذا لم يؤدّي ماتوجب عليه من الحقوق، فإنّ عبادته سوف تصاب بخدشة، إن لم نقل ببطلانها.

الثالث: تنشيط حركة التبادل التجاري بين الوفود المختلفة، بحيث يـتمّ تصريف البضائع الزائدة في مصدرها، وسدّ حاجات المناطق الأُخرىٰ، بحيث يحصل التكافل التجاري. بالإضافة إلىٰ سدّ حاجات طبقات المجتمع المختلفة كما في تعبير الرواية (لينتفع بذلك المكاري والجمّال) أو (منفعة من في المشرق والمغرب، ومن في البر والبحر ممّن يحجّ ومن لا يحج، من تاجر وجالب وبايع ومشتري، وكاسب ومسكين، وقضاء حوائج أهل الأطراف...)(١).

الرابع: إيجاد فرص العمل، وبالتالي تهيئة الأسباب لرقي المجتمع ومـنع نفوذ الاستعمار فيه، لعدم حاجته واكتفائه وكفاءته، وحصول المنعة والقوّة لديه.

---

(١) راجع ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل، ج ١٠، ص ٢٣١.

اضافة إلىٰ امكانيّة الحصول علىٰ دروس أخرىٰ تسعىٰ مدرسة الحجّ إلىٰ تحصين المجتمع من خلالها. كمسألة الكرم، ونبذ الحرص والبخل وغير ذلك من الأمور المهمّة.

المبحث الثامن:

آثار التربية الروحية

لا يخفىٰ أنّ الغاية من العبادات بشكل عام هي تأمين البعد الروحي، وتفعيله وتنشيطه، لكي يتمكّن المكلّف من التغلّب علىٰ مشكلات المادّة وطغيانها، وبالتالي يجد السير في الطريق الواقعي الّذي اراده الله تعالىٰ له، فيكون قريباً من الحقّ، واهلاً لدخول الجنّة، والنجاة والفوز الأخرويان.

وإذا اراد الإنسان أن يتأمّل في الآثار الروحيّة الّتي يجب أن يتربّىٰ عليها، فما عليه إلّا أن يشدّ الرحال نحو الأحاديث الشريفة، والأدعية المباركة الّتي تتحدّث عن الأبعاد الروحيّة للحجّ.

فمنذ اللحظات الأُولىٰ لهذا السفر، نجد انّه يرمي بكلّه علىٰ الحقّ تعالىٰ، فيصلّي ركعتين، ثمّ يستودع الله أهله ونفسه... .

وهو يشكل عود الإنسان نحو المبدأ تعالىٰ، مستشعراً ضعف نفسه، وحقارتها وذلّها أمام خالقها، والتأكيد علىٰ ذكر الحقّ تعالىٰ علىٰ كلّ حال، وما يعطيه من حال نورانيّة للإنسان، من التهليل والتكبير والتحميد والتمجيد والتسبيح، ويبتعد عن الشيطان ووسوسته.

ويصلّ الإنسان إلىٰ الميقات، مسلّماً أمره لله، ملبّياً لندائه، مصدّقاً بدعوته، مؤمناً بانبيائه، ثمّ يخلع عنه كلّ تبعات المادّة ليعود إلىٰ طبيعته وفطرته، وعندها يحقّ له أن يصرّح بتلبيته للدعوة.

ثمّ يجد السير نحو البيت، حيث تخفق القلوب، فينسجم الإنسان ضمن حركة لامتناهية حول البيت مع وفد هدفه واحد، وقبلته واحدة وكلّ همّه الخلاص.

ولن نطيل اكثر في هذا البعد، لأنّ ماسيأتي من الفصول، سوف يكون تركيزه علىٰ هذا البعد بشكل خاص، مع عدم الإغفال عن غيره من الأبعاد، ولو بالاشارة.

نتيجة الفصل الأوّل:

بعد الخوض في خضم الأبعاد المختلفة لهذه العبادة الإلٰهيّة، لا يسعنا إلّا أن نذعن ونعترف بانّ فريضة الحج، لاتعد وأن تكون مؤتمراً اممياً ضخماً، تندب الساحة المقدّسة للحق (تعالىٰ) إليه، من كلّ مجتمع، مجموعة من الأفراد يتدارسون فيه أُمور الأمة الإسلامية، ويتبادلون النظر في شؤونها وشجونها، بعد ان يؤدّوا نيابة عن المجتمع مناسك هذه الفريضة، بما تشير إليه من أن كلّ الأمة الإسلامية تعتقد بايمان راسخ بالعبودية لله (جلّ وعلا) وانّه المدبّر، وهو الخالق وإليه المصير.

ثمّ يخوضون في الحاجات المختلفة لرقي الأمة وتقدّمها، وحسم خياراتها، بما فيه صلاح المسلمين، وتحديد عدوّهم وتهديداته وكيفيّة مواجهته علىٰ الصعد المختلفة. ثمّ ينقلون كلّ المقررات النظرية منها، والتطبيقية الّتي مارسوها عملياً، إلىٰ أوطانهم فيسعون إلىٰ بثّها والاستفادة منها، بغية الوصول إلىٰ أمة قوية محصّنة.

الفصل الثاني:

الأبعاد التربوية لأعمال عمرة التمتع

وفيه مباحث:

الأول: في الميقات

الثاني: في مكّة المكرّمة

الثالث: آداب وعبر في المسجد الحرام

الرابع: الطواف وركعتاه

الخامس: ماذا نستوحي من السعي والتقصير؟

تمهيد:

«حجّ التمتّع» هو وظيفة من يبعد أهله عن مكّة ثمانية واربعين ميلاً، أي مايقارب تسعين كيلومتراً، ويختلف عن غيره من اقسام الحجّ، في كونه عبادة واحدة مركّبة من عمرة وحجّة وتقدّم فيه العمرة علىٰ الحجّة، وتفصل بينهما مدّة زمنيّة يتحلّل فيها الإنسان من إحرام العمرة، ويحلّ له ما يحرم علىٰ المحرم فعله قبل أن يحرم للحجّ.

فالعمرة جزءٌ من حجّ التمتّع، وتسمّىٰ بعمرة التمتّع، والحجّة هي الجـزء الثاني، ولابدّ من الإتيان بهما في سنة واحدة»[1].

امّا أعمال عمرة التمتّع فهي:

١ ـ الإحرام من أحد المواقيت.

٢ ـ الطواف حول البيت.

٣ ـ صلاة الطواف.

٤ ـ السعي بين الصفا والمروة.

---

(١) راجع علي الخامنئي، مناسك الحجّ، ص٣٨.

٥ ـ التقصير[١].

ولن نتعرّض للمبحث اللغوي، حيث إنّ كتب اللغة تعرّضت لهذه المفاهيم علىٰ نحو الاصطلاح في الغالب هذا بالإضافة إلىٰ أنّ ما نحتاجه، هو التعرّف علىٰ المعنىٰ الاصطلاحي لهذه الالفاظ فقط.

(١) المصدر السابق، ص ٤٢.

المبحث الأوّل:

في الميقات

والميقات هو الموقت المضروب للفعل والموضع، يقال: هذا ميقات أهل الشام للموضع الّذي يحرمون منه...[(١)].

والواجب في الميقات أُمور ثلاثة:

١ـ لبس ثوبي الإحرام.

٢ـ النيّة.

٣ـ التلبية.

كما أنّ له مستحبّات.

«يستحبّ قبل الإحرام أن يكون البدن طاهراً، وأن يكون قد ازال الشعر الزائد، وقصّ اظفاره، ويستحبّ السواك أيضاً.

ويستحبّ الغسل قبل الإحرام في الميقات...»[(٢)].

ولابدّ من الوقوف في هذا المبحث علىٰ الآداب والدروس التربويّة الّتي ينبغي استحضارها لكي يحصل الإنسان علىٰ حقيقة وروحية هذه العبادة:

---

(١) محمد رضا النعمتي، قاموس الحرمين الشريفين، ص٢٤٢.

(٢) راجع علي الخامنئي، مناسك الحجّ، ص٦٦.

فقد روي انّه لمّا رجع مولانا زين العابدين عليه السلام من الحجّ استقبله الشبلي، فقال عليه السلام له: «حججت يا شبلي؟» قال: نعم يا ابن رسول الله. فقال عليه السلام: انزلت الميقات وتجرّدت عن مخيط الثياب واغتسلت؟» قال: نعم. قال: «فحين نزلت الميقات، نويت انّك خلعت ثوب المعصية، ولبست ثوب الطاعة؟» قال: لا،...»[١].

فنفهم من العبارة، أنّ نفس نزول الميقات له أثر تربوي على الإنسان وذلك لأنّه عندما لبّىٰ النداء الإلهي، وخلّف كلّ شيء خلّفه، متوجّهاً لاداء هذه العبادة المقدّسة، قد حطّم قيداً من قيود المعصية ليلتزم حقوق الطاعة لله تعالىٰ.

ثمّ إنّ تحديد المواقيت باماكن معيّنة لايصح من غيرها، يحتوي هو الآخر درساً آخر بل دروساً تربوية ينبغي للإنسان تعلّمها، وذلك لأنّ الحكمة الإلهيّة، أرادت من وراء إخفاء السرّ، تقوية روح العبوديّة عند المكلّف، ولتكون اعماله لمجرّد الأمر الإلهي، بحيث يكون واعياً في ايمانه. مقتنعاً باصول الدين، وأن كلّ تشريع يضعه الحقّ تعالىٰ نابع من الحكمة والمصلحة.

في تتمّة حديث الشبلي: «... قال: «فحين تجرّدت عن مخيط ثيابك، نويت انّك تجرّدت من الرياء والنفاق والدخول في الشبهات؟» قال: لا،...[٢].

وهنا تتكشّف لنا عبر أُخرىٰ، فالأُمور الظاهرة في الحياة الماديّة للنّاس، تعكس أمراضاً اخلاقيّة في باطنه، وعلىٰ الأقلّ تكون رابطاً للالتفات إلىٰ امور أُخرىٰ، فيرىٰ المكلّف بعين بصيرته أن ما يرتديه من ملابس، يخرج به عن السبب الأصلي الّذي من أجله يرتديها، وهو ستر عورته عن الناظر المحترم،

---

(١) الميرزا حسين نوري، مستدرك الوسائل، ج ١٠، ص١٦٦، ح ٥.
(٢) الميرزا حسين نوري، مستدرك الوسائل، ج ١٠، ص١٦٦، ح ٥.

فتصبح وسيلة للتفاضل والتفاخر وغيرها من العيوب المرذولة فيقف هنا عند اعتاب الحرم الإلهي ليؤكّد انّه كما تجرّد من آفات المظهر، كذلك سوف يتجرد من آفات الباطن الّتي تشوه الروح، أو تجعله متلوّناً يتعاطىٰ خلاف ما يبطن، وهو سوف يزيل القناع المصطنع ويتعامل مع الواقع علىٰ حقيقته. اضافة لما سوف يقدم عليه من الكفن[١].

قال عليه السلام: «فحين اغتسلت، نويت انّك اغتسلت من الخطايا والذنوب؟» قال: لا، قال: «فما نزلت الميقات، ولا تجرّدت عن مخيط الثياب، ولا اغتسلت...»[٢].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «... فتقدّم إلىٰ الماء، تقدّمك إلىٰ رحمة الله، فإنّ الله تعالىٰ قد جعل الماء مفتاح قربه ومناجاته، ودليلاً إلىٰ بساط خدمته، وكما أنّ رحمته تطهّر ذنوب العباد، كذلك النجاسات الظاهرة يطهرها الماء... ولتكن صفوتك مع الله تعالىٰ في جميع طاعاتك، كصفوة الماء حين انزله من السماء وسمّاه طهوراً، وطهّر قلبك بالتقوىٰ واليقين، عند طهارة جوارحك بالماء»[٣].

وكما لا يخفىٰ، فإن الغسل من الأُمور المؤكّدة، وقيل أنّ الاحوط عدم ترك هذا الغسل[٤]. وهو طهارة للبدن من الأقذار والنجاسات، وهي امور خارجيّة، ولابدّ من ربطها كما عن الإمام السجّاد عليه السلام بالأُمور المعنوية

(١) راجع جوادي آملي، صهباي حج، ص ٣٤٩.
(٢) الميرزا حسين نوري، مستدرك الوسائل، ج ١٠، ص ١٦٦، ح ٥.
(٣) حسين الفالي، بيان القرآن والعترة في أسرار الحجّ والعمرة، ص ٩٧.
(٤) راجع علي الخامنئي، مناسك الحجّ، ص ٦٧.

والروحية، وانّ هذا الغسل هو توبة مني نصوحاً لن اعود بعدها إلىٰ ذنب أو خطيئة، واني اتطهر بالرحمة الإلٰهيّة من المعاصي[(١)].

فالغسل يرمز إلىٰ تطهير القلب والجوارح من المعاصي والآثام كلّها، فيكون الغسل التزاماً بترك جميع الموبقات.

«... ثمّ قال عليه السلام: تنظّفت واحرمت وعقدت بالحجّ؟» قال: نعم. قال: فحين تنظّفت وأحرمت وعقدت الحجّ، نويت انّك تنظّفت بنورة التوبة الخالصة لله تعالىٰ؟» قال: لا[(٢)].

عندما يستخدم الإنسان ماينظّف به بدنه، بنيّة المحافظة علىٰ هذا الجسد خال من الأوساخ، لأنّ آداب ديننا تريد منّا ذلك، لابدّ أن يكون ذلك مصحوباً بنيّة باطنيّة أُخرىٰ تجعل هذه الروح تقية نقيّة، وذلك بان يستحضر التوبة الّتي تجعل باطنه مضيئاً بنور الرحمة الإلٰهيّة.

«... قال عليه السلام: «فحين أحرمت نويت أنّك حرمت علىٰ نفسك كلّ محرم حرّمه الله عزّ وجل؟» قال: لا. قال: «فحين عقدت الحج نويت أنّك قد حللت كلّ عقد لغير الله؟» قال: لا. قال له عليه السلام: «ما تنظفت، ولا احرمت، ولا عقدت الحج»[(٣)].

فالإحرام ـ الّذي هو أوّل أعمال العمرة، الّتي هي بداية الحجّ، مصدر باب الإفعال بمعنىٰ الدخول في الحرم، وفي الاصطلاح، بمعنىٰ الالتزام بالمواصفات الخاصّة الّتي يجب توفرها لدخول الحرم، حيث يرتدي الوفد ثوبين ابيضين غير

---

(١) راجع جوادي آملي، صهباي حج، ص٣٤٨.

(٢) الميرزا حسين النوري، مستدرك الوسائل، ج ١٠، ص١٦٧، ح ٥.

(٣) م. س.

مخيطين مع نية ترك جميع محرّمات الإحرام ـ عود إلىٰ الفطرة السليمة الّتي لاتمثّل فيها الثياب إلّا رمزاً للستر، وهذا يتحقق بهذين الثوبين. وبهذا يتربّىٰ المكلّف علىٰ القناعة، والاكتفاء باليسير، والابتعاد عن مظاهر الإسراف، بالإضافة إلىٰ موضوع اجتناب محرّمات الإحرام، الّتي تربي الإنسان علىٰ أن يكون مستعدّاً في كلّ حين للتخلّي عن أيّ مباح من المباحات فيما لو كان يؤدّي إلىٰ مخالفة الواجب أو تركه، وهنا لابدّ أن يكون ذلك مقروناً بنيّة مهمّة، قوامها الالتزام الصادق والصارم بتحريم كلّ ما حرّمه الله في كلّ زمان ومكان.

ثمّ نقف عند مسألة مهمّة، يتعرّض لها الإمام عليه السلام، وهي انّه لا يمكن للمكلّف أن يكون ملبّياً لنداء الله تعالىٰ ولنداء غيره، ولا يمكنه أن يلتزم بطاعة الخالق وطاعة المخلوق معاً، وعليه فلابدّ من الالتزام علىٰ قطع كلّ أواصر الطاعة والولاء لغير الحق تعالىٰ، لكي يتحقّق منه عقد الحجّ، الّذي هو طاعة الله عزّ وجلّ.

فإذا لم يتمكّن المكلّف من احراز هذه الشروط فلن يصل إلىٰ حقيقة ما اراده الله تعالىٰ من خلال أدائه لهذه الأفعال.

«... قال عليه السلام: «أدخلت الميقات، وصلّيت ركعتي الإحرام ولبّيت؟» قال: نعم. قال: فحين دخلت الميقات، نويت انّك بنية الزيارة؟» قال: لا، قال: «فحين صلّيت الركعتين، نويت انّك تقرّبت إلىٰ الله بخير الأعمال من الصلاة، وأكبر حسنات العباد؟» قال: لا، قال: «فحين لبّيت، نويت أنّك نطقت لله سبحانه بكلّ طاعة، وصمتَ عن كلّ معصية؟» قال: لا، قال له عليه السلام: «ما دخلت الميقات، ولا صلّيت ولا لبّيت»[1].

---

(١) الميرزا حسين نوري، مستدرك الوسائل، ج ١٠، ص ١٦٧، ح ٥.

ومن الواضح انّه يستحيل علىٰ الإنسان أن يكون عمله خال من النـية، وهذه النيّة هي المدار في تقييم العمل، فلابدّ من الانتباه إلىٰ استحضار رضا الله تعالىٰ في جميع الأمور، وإلّا فإنّ جميع الأعمال تكون هباء منثوراً، إذا لم تكن مصباً للسخط والغضب الإلٰهيين، وكما روي في نصيحة رسول الله ﷺ لأبي ذر: «إذا استطعت أن تشرب الماء قربة لله فافعل».

وهذه الأُمور يشير إليها الصادق عليه السلام:

«... ثمّ اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك، والبس كسوة الصدق والصفاء والخضوع والخشوع، وأحرم عن كلّ شيء يمنعك عن ذكر الله تعالىٰ ويحجبك عن طاعته.

ولبّ: بمعنىٰ اجابة صادقة صافية خالصة زاكية لله تعالىٰ في دعوتك إذا أجاب جواب لبّيك اللهُ تعالىٰ...»[(١)].

فالتلبية اجابة لنداء الله، لذلك لابدّ أن يكون راجياً للقبول، خاشياً من أن يقال له «لالبّيك ولا سعديك»، فقد روي عن السجّاد عليه السلام، لمّا احرم واستوت به راحلته، اصفرّ لونه وانتفض، ووقعت عليه الرعدة، ولم يستطع أن يـلبّي فـقال: اخشىٰ أن يقول لي ربّي: لالبّيك ولا سعديك» فلمّا لبّى، غشي عليه وسقط عن راحلته، فلم يزل يعتريه ذلك حتّىٰ قضىٰ حجّته[(٢)].

ثمّ إنّ هنالك درساً من نوع آخر يمكن لنا أن نستفيده، وذلك بالاستناد علىٰ مامرّ من كلام الإمام الصادق عليه السلام الّذي علّل فيه أعمال الحجّ، بالموت وما

---

(١) الميرزا حسين نوري، مستدرك الوسائل، ج ١٠، ص ١٧٢، ح ٦.
(٢) راجع عبد الله شبّر، الأخلاق، ص ٧٤.

بعد الموت، فيتذكر بالغسل حاله وهو على المغتسل، وعند لبس ثوبي الإحرام، لبسه للكفن ولفّه فيه، وانّه كما يلقى بيت الله بزي مخالف لعادته، فكذلك يلقى الله بزي يخالف زي الدنيا.

وانّ التلبية والإحرام اجابة لنداء الله، وليكن بين الخوف والرجاء متردّداً، ويستحضر من نداء الحجّ، نداء الخلق بنفخ الصور، وحشرهم في القبور، وازدحامهم في عرصات القيامة لنداء الله، منقسمين إلىٰ مقربين ومبعدين، مقبولين ومردودين، مثل تردّد الحاجّ في الميقات حيث لا يدري ايتيسّر له اكمال الحجّ أم لا[١].

وعليه فالميقات واعماله دروس وعبر، للفرد وللمجتمع جميعاً، ينتج عن الاستفادة من دروسه، إنسان موحّد معتقد مطيع، جعل نصب عينيه رضا الله، وكل تقلّباته قربة لله تعالىٰ، واعماله مزرعة الآخرة، لاينبغي له أن يتعدّىٰ لا باسراف ولا بتقصير، وهو راج لما عند الله، خائف من عقابه.

(١) محمد مهدي النراقي، جامع السعادات، ص ٣٩.

المبحث الثاني:

في مكّة المكرّمة

بعد أن ينتهي الإنسان من أعمال الميقات، ويهلّ بالتلبية، يكون قد دخل عمليّاً في الحرم، وصار محرماً، وحرّمت عليه جملة من الأُمور الّتي كانت مباحة قبل ذلك، فإنّه يتوجّه بعد ذلك إلىٰ حرم الله وامنه، فإنّ الحجيج باجمعهم يقصدون مكّة المكرّمة، ولكن بأية حالة، وقد خرجوا من كلّ مفاخر الدنيا وزينتها، شعث غبر، يلبّون الله وحده، ويهللون ويكبّرون ويستغفرون وليس لهم همٌّ إلّا الوصول إلىٰ بيت الله جلّ وعلا.

وكما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من مات في طريق مكّة ذاهباً أو جائياً، امن من الفزع الأكبر يوم القيامة**[1]».

ذلك لأنّ الحاج وهو في طريقه إلىٰ مكّة المكرّمة، قد قطع العلائق بكلّ ما سوىٰ الحقّ تعالىٰ، وجعل همّه وهدفه ونظره وخوفه ورجاءه، الله تعالىٰ. وكذلك عند خروجه من مكّة فإنّه مازال منسجماً مع كلّ ما اداه، غير بعيد عن بصيرته، لم يرتكب ما يخرجه عن هذه الكرامة.

ثمّ، وهو في هذا السبيل، يستحضر مواكب النبيين والأولياء والصدّيقين. يتذكّر مواقفهم بين يدي الله عزّ وجلّ، ويتلمّس ادعيتهم ومناجاتهم وبكاءهم

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١١، ص١٠٧، ب٣٨، ح٤٦.

وارتعاد فرائصهم، وتضرّعهم بين يدي الله عزّ وجلّ.

ويستحضر وهو يقطع المسافات طي هؤلاء لهذه المسافة مشياً وربّما قطعها البعض حافياً، كما مرّ من سيرة أهل بيت العصمة عليهم السلام.

ويقوىٰ شوقه لزيارة البيت، ويحضر في قلبه لقاء المعشوق وما يتطلّبه هذا اللقاء من الإعداد والاستعداد، والابتعاد عن كثير من الأمور.

وهكذا تختزل المسافات، وإذا بالعبد يقترب من لحظة المنىٰ، فبعد الاستمرار بذكر الله القهّار، وكلمات الاستغفار، وترديد التلبية بتكرار، يحصل الشعور بالقرار والامان، بعد أن يتلمّس من بيوت مكّة الجدران، فيهدأ الروع، وتطيب النفس، فيقطع التلبية، لأنّه حقّق مضمونها فعلاً، وحلّ في ضيافة العزيز الغفار، ومع ذلك يستمر بالذكر والاستغفار، لأنّه كما ورد في الحديث الشريف:

عن الصادق عليه السلام: «ما يعبؤ بمن يؤمّ هذا البيت، إذا لم يكن فيه ثلاث خصال، ورع يحجزه عن محارم الله، وحلم يملك غضبه، وحسن الصحبة لمن صحبه»(١).

فإذا صار الإنسان علىٰ مشارف مكّة المكرّمة، تطالعنا جملة من الآداب التربويّة لائمّة أهل البيت عليهم السلام.

فعن الباقر عليه السلام: «من دخل مكّة بسكينة غفر له ذنبه، وهو أن يدخلها غير متكبّر ولا متجبّر، ومن دخل المسجد حافياً علىٰ سكينة ووقار وخشوع، غفر الله ذنبه»(٢).

---

(١) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٩، ص١٢١.

(٢) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٦، ص١٩٢، احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ص٨٦.

وعن الصادق عليه السلام: «انظروا إذا هبط الرجل منكم وادي مكّة، فـالبسوا خلقان ثيابكم، فإنّه لم يهبط وادي مكّة أحد ليس في قلبه من الكـبر، إلّا غـفر له»[١].

وعن الرضا عليه السلام: «فإذا بلغت الحرم، فاغتسل قبل أن تدخل مكّة، وامش هنيئة وعليك السكينة والوقار...»[٢].

وهذا مايرويه أبان بن تغلب عن الصادق عليه السلام، وانّه لما انـتهىٰ عليه السلام إلىٰ الحرم، نزل فاغتسل، واخذ نعليه بيده ثمّ دخل الحرم حافياً، قال أبان، فصنعت مثله.

فقال عليه السلام: «يا أبان من صنع مثل ما رأيتني صنعت، تواضعاً لله، محا الله عنه مائة الف سيئة، وكتب له مائة الف حسنة، وقضىٰ له مائة الف حاجة»[٣].

فلا ينبغي لعبد، أقر بضعفه وجهله وتقصيره وحاجته، الاّ أن يخضع ويتذلّل بين يدي سيّده ومولاه وخالقه.

وكما يتطهر من العرق والاذىٰ لدخول حرمه، لابدّ أن يسـتشعر حـقيقة العبوديّة والرق، ويستحضر توبة تجتاح كلّ كيانه لتطهّره من أدنـاس مـاجنىٰ، حتّىٰ يكون اهلاً لدخول الحرم، فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام: أتغتسل النساء إذا أمّين البيت؟

قال عليه السلام: «نعم، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ان طهّرا بيتي للطائفين والعاكفين

---

(١) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٦، ص١٩٢.

(٢) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٦، ص١٩٢.

(٣) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٦، ص١٩٢، احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ص٦٨.

والركّع السجود﴾[١]. ينبغي للعبد أن لا يدخل الّا وهو طاهر قد غسل عنه العرق والأذىٰ وتطهّر»[٢].

ونقف هنا أمام نصين اخلاقيين يبينان نموذجاً تربويّاً يستحضر عند دخول مكّة.

«ليتذكّر انّه انتهىٰ إلىٰ حرم آمن، وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله، وليخش أن لا يكون أهلاً للقرب، فيكون بدخول الحرم خائفاً مستحقاً للمقت، وليكن رجاؤه في جميع الأوقات غالباً، فالكرم عميم ورب البيت كريم»[٣].

«انّه دخل إلىٰ حرم من دخله كان آمناً، وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله، وليضطرب قلبه من إلّا يكون اهلاً للقرب والقبول، وليكن رجاؤه في جميع الأوقات غالباً...»[٤].

وهنا يتكرّر في الذهن (يا من لا مفرّ منه إلّا إليه، يا من لا منجى منه إلّا به...) وهل هناك مندوحة خارجة عن خلقه ولطفه وتدبيره.

وهذا في حدّ ذاته من الأمور التربويّة العظيمة الّتي ينبغي أن تحتلّ الساحة الاوسع في وجود الفرد، بل كلّ المجتمع الإسلامي، وأن كلاً منّا في كلّ زمان ومكان هو اسير القدرة الإلٰهيّة. وانّه لابدّ أن يعيش هاجس الخلاص ممّا احتطب علىٰ ظهره وما جنت يداه، وانّه لاملجأ له إلّا الرحمة الإلٰهيّة الّتي

(١) البقرة (١٢٥).
(٢) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٦، ص١٩٢.
(٣) عبدالله شبّر، الأخلاق، ص٧٥.
(٤) محمد مهدي النراقي، جامع السعادات، ج٣، ص٣٩١.

لاينقطع فيضها فيما لو وصل الإنسان إلىٰ حقيقة التوبة، حيث يقف دامع العين مطأطىء الرأس. خاشع القلب، يرجو المغفرة والرحمة.

وهنا نصل إلىٰ أمر آخر، وهو فحوىٰ الحديث الّذي يطلب من الفـرد أن يعامل النّاس كما يجب أن يعاملوه، لذلك فهو احوج في هذه الموارد الّتي يرجو فيها أن يكون من عتقاء الله جلّ وعلا. فلابدّ أن ينظر إلىٰ اخيه الّذي اخطأ بحقّه أو اعتدىٰ عليه ثمّ اراد أن يعتذر منه، فيقبل عذره ويتجاوز عن خـطيئته، وإلّا فكيف يرجو المغفرة من جناياته وهو لا يغفر ماهو اقلّ منها من اخ لم يقصدها، في حين انّه جنىٰ ماجنىٰ مصراً، متجرئاً.

وهكذا تغدو مناسك الحجّ مدرسة تربوية، ودورة تعليمية مكثّفة إذا مـا التزم المرء بآدابها وابعادها، فـانّه يـخرج مـثالياً مـلائكياً، وكـما فـي تـعبير الأحاديث كيوم ولدته امّه، أملس ليس عليه شيء.

فالكرم الإلٰهي عميم، خصوصاً لمن قطع المفاوز فـي سـبيل الخـلاص، وتحصيل رضا الله تعالىٰ، ونذكر بالإضافة لما مرّ جملة من هذه العطايا والهبات الإلٰهيّة، الّتي هي غيض من فيضه.

عن الصادق عليه السلام: «تسبيح بمكة، يعدل خراج العراقين في سبيل الله»[(١)].

فالتسبيح بذل في سبيل الله، والسجود جهاد وبذل للارواح، والنوم سعي، وختم القرآن صحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا عرض الهي يـختص بـهذه البـقعة المباركة الّتي هي احبّ البقاع إلىٰ الله تعالىٰ، والّتي تـذكرنا بـالعرض الإلٰـهي الزماني وهو شهر رمضان المبارك، ومابين العرضين من الترابط الوثيق، فوفد

(١) احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ج ١، ص ٦٨.

هذه البقاع يقدّر في ذلك العرض الزماني، والسعي لادراج الإنسان اسمه في سجل الوفد الالٰهي يتأكّد من خلال كمية الأدعية الّتي تختص بطلب الحجّ في شهر الرحمة الإلٰهيّة «اللهمّ ارزقني حجَّ بيتك الحرام في عامي هذا وفي كلّ عام...».

وبالعود إلىٰ الرحمة الإلٰهيّة في مكّة المكرّمة نورد:

عن الباقر عليه السلام: «الساجد بمكّة كالمتشحّط بدمه في سبيل الله»[١].

وعن السجّاد عليه السلام: «النائم بمكّة، كالمتشحّط في البلدان»[٢].

وعن الباقر عليه السلام: «من ختم القرآن بمكّة، لم يمت حتّىٰ يرىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ويرىٰ منزله من الجنّة»[٣].

وعن الصادق عليه السلام: «من دفن في الحرم امن من الفزع الأكبر يوم القيامة، قلت من بر الناس وفاجرهم؟ قال: نعم من بر الناس وفاجرهم»[٤].

ولا يخفىٰ أنّ هذه الممارسات، إذا استحضر المكلّف فيها رضا الله تعالىٰ، فإنّها تحظىٰ بالوان العطايا الإلٰهيّة في غير مكّة أيضاً، وإن كان ثوابها اقل، وهذا مايربي المجتمع المسلم علىٰ أن يراقب نفسه في كلّ حركاتها وسكناتها، حتّىٰ يحصل علىٰ الفوز والنجاة.

---

(١) م. س.
(٢) احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ج١، ص٨٦.
(٣) احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ج١، ص٦٩.
(٤) احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ج١، ص٧٢.

المبحث الثالث:

آداب وعبر في المسجد الحرام

بعد أن يحلّ الحاجّ في رحاب الحرم الإلٰهي، فانّ أوّل عمل يقوم به هو التوجّه إلىٰ بيت الله الحرام، المسجد الحرام، ليكحل نظره بالكعبة المشرّفة، ثمّ يكون من جملة الطائفين العابدين، وهو غاية المنىٰ، ومنية المريدين.

ويستحيل، أو يبعد علىٰ الإنسان أن يبقىٰ محتفظاً بالقدرة ليسيطر علىٰ الاحاسيس الملتهبة، والشوق المضرم في داخله، والذي يتأجّج عند لقاء المحبوب.

وكم هي عظيمة تلك المعاني الّتي يذخر بها هذا البيت، قبلة الوالهين.

قال الله تعالىٰ: ﴿انّ أوّل بيت وضع للنّاس للّذي ببكّة مباركاً وهدىٰ للعالمين فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً﴾[(١)]. وعن الباقر عليه السلام: «... فاوّل بقعة خلقت من الأرض الكعبة»[(٢)].

وأوّل الحجيج لهذا البيت، أوّل إنسان علىٰ وجه الأرض، وهو آدم عليه السلام، ثمّ تلاه افواج النبيين والأولياء، إلىٰ أن اعاد التجديد إبراهيم الخليل عليه السلام، حيث خرج من بيت الأصنام، وهجر أهله، فعوضه الله بناء البيت، فكان من كلّف

---

(١) آل عمران (٩٦).

(٢) محمد بن علي بن الحسين، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ١٩٠.

بالنداء الّذي تردَّدت اصداؤه في أصلاب الرجال وارحام النساء، ومازال جواب ندائه الّذي ناداه بأمر الله، يتكرّر في كلّ عام «لبّيك اللهمّ لبّيك».

جملة من المعالم يحتويها هذا البيت الّذي يسمّىٰ بالكعبة لأنّه مربّع، كما البيت المعمور المربّع الّذي هو في السماء الرابعة بحذاء العرش وهو مربّع يشير إلىٰ الكلمات التي بني عليها الإسلام «سبحان الله، والحمد لله، ولا اله إلّا الله، والله أكبر»[١]. فهو البيت الحرام، لأنّه يحرم علىٰ المشركين دخوله، وهو البيت العتيق من الغرق، أو من النّاس حيث لم يملكه أحد[٢].

وفي حديث الإمام زين العابدين عليه السلام مع الشبلي.

«... ثمّ قال له: ادخلت الحرم، ورأيت الكعبة، وصليت؟» قال: نعم. قال: «فحين دخلت الحرم، نويت انّك حرّمت علىٰ نفسك كلّ غيبة تستغيبها المسلمين من أهل ملّة الإسلام؟» قال: لا. قال: «فحين وصلت مكّة، نويت بقلبك انّك قصدت الله؟». قال: لا. قال عليه السلام: «فما دخلت الحرم، ولا رأيت الكعبة، ولا صلّيت»[٣].

فعندما يدخل الحرم الإلٰهي، لابدّ أن يكون قد وطّن النفس علىٰ ترك كلّ حرام وموبقة تخالف حقوق الضيافة، وكلّ ما من شأنه أن يزيد النفس اتساخاً، لأنّه إنّما دخل الحرم بهدف التخلّص من كلّ هذه الأمور، فإذا لم يكن قد عاهد

---

(١) محمد بن علي بن الحسين، من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص١٩١. بتصرف، راجع عبدالله جوادي آملي، صهباي حج، ص٢٠٣.

(٢) راجع محمد بن علي بن الحسين، من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص١٩١، راجع جوادي آملي، صهباي حج، ص٢٢٧.

(٣) الميرزا حسين النوري، مستدرك الوسائل، ج١٠، ص١٦٨، ح٥.

نفسه، والتزم أن لايعود إلىٰ هذه الموبقات الّتي منها هذا المرض الخبيث الّذي ذكره الإمام عليه السلام. فانّ دخوله الحرم سوف لن يزيده إلّا خساراً، لأنّه عندما يدخل مكّة المكرّمة، لابدّ أن يكون هدفه هو الله تعالىٰ، والتقلب في بيته الذي نسبه إلىٰ نفسه، وجعله بازاء عرشه، ليكون تجديداً للبيعة، وإقراراً بوحدة المحور الّذي يجب أن يكون عنده مدار الأُمور.

وفي البيت الكثير من الذكريات: الكعبة وما فيها من الركن، واليماني والحطيم، وحجر إسماعيل، ومقام إبراهيم، وهي محطات تلهب المشاعر والأحاسيس.

فعن الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا خرجتم حجاجاً إلىٰ بيت الله، فاكثروا النظر إلىٰ بيت الله، فانّ لله مائة وعشرين رحمة عند بيته الحرام، ستون للطائفين، واربعون للمصلين، وعشرون للناظرين»(١).

وعن النبي صلى الله عليه وآله: «النظر إلىٰ الكعبة حيالها، يهدم الخطايا هدماً»(٢).

وعن الصادق عليه السلام: «من ايسر ما ينظر إلىٰ الكعبة، أن يعطيه الله بكلّ نظرة حسنة، ومحا عنه سيئة، ورفع له درجة»(٣).

وعنه عليه السلام: «من اتىٰ الكعبة، فعرف من حقّنا وحرمتنا، ما عرف من حقّها وحرمتها، لم يخرج من مكّة إلّا وقد غفر له ذنوبه، وكفاه الله ما اهمّه من أمر

(١) احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ج ١، ص ٦٩، محمد الحسيني، الحج والزيارة وآداب الحرمين، ص ٤٣.

(٢) احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ج ١، ص ٦٩.

(٣) احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ج ١، ص ٦٩.

دنياه وآخرته»[١].

فهذا البيت بنسبته إلىٰ الله تعالىٰ، له هذه المنزلة وهذا المقام، والتقلب فيه له كلّ هذا الأجر وهذا الثواب، فكيف بالعبد المؤمن إذا انتسب إلىٰ الله وكان عبداً لله مؤمناً حقيقياً بذات الله، فهو كما روي عن رسول الله ﷺ أنّ المؤمن أعظم حرمة من الكعبة، وفي رواية أخرىٰ، أعظم حرمة من الكعبة بسبعين مرّة، وهو درس مهم في حياتنا كيف نستفيد من التعامل مع اخواننا المؤمنين، وكيف نتعرّض للآخرين. وهو طبق ما ورد عن النبي يجب أن يكون بالقدسية ذاتها الّتي نتعامل بها مع الكعبة، حيث ورد أيضاً أنّ النظر إلىٰ وجه المؤمن عبادة، أو إذا صافح المؤمن اخاه تحاتت ذنوبهما.

فعندما يقع البصر علىٰ البيت، فليستحضر عظمة البيت في القلب، ويقدّر انّه حاضر بين يدي ربّ البيت، وليرج أن يرزقه لقاءه في الآخرة، كما رزقه لقاء بيته في الدنيا، وليتذكّر انصباب النّاس في القيامة إلىٰ جهة الجنّة آملين لدخولها كافّة، فيؤذن لبعض ويمنع الآخرون[٢]. ويؤيّد هذا الكلام ماورد:

عن الصادق عليه السلام حيث سأله علي بن عبد العزيز: جعلت فداك قول الله ﴿آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً﴾[٣]. وقد يدخله المرجئي والقدري والحروري والزنديق الّذي لا يؤمن بالله؟ قال: لا. ولا كرامة، قلت فمن جعلت فداك؟ قال: «ومن دخله وهو عارف بحقّنا، كما هو عارف له خرج

(١) م. س.، راجع عبدالله جوادي آملي، صهباي حج، ص ٢٣٩.
(٢) راجع عبدالله شبّر، الأخلاق، ص ٧٥.
(٣) آل عمران (٩٧).

من ذنوبه، وكفي هم الدنيا والآخرة»[١].

وعنه عليه السلام في تفسير هذه الآية: «من امّ هذا البيت، وهو يعلم انّه البيت الّذي أمره الله عزّ وجل به، وعرفنا أهل البيت حق معرفتنا كان آمناً في الدنيا والآخرة»[٢].

فكلّ الأعمال، بشرطها وشروطها، والولاية لاهل البيت من شروطها، وعلىٰ هذا ليس صرف القيام بالاعمال هو الّذي يجعل الإنسان ممّن ينال الدرجات العلا، وإلّا لكنّا مع المحاربين للرسالة سواء، إذ إن تقلّبات اولئك كلّها كانت في الحرم، ومع ذلك فهم من حارب الرسالة، وهم من آذىٰ المؤمنين، وهم من سفك الدماء، وهم من تعرّض للأعراض، وعليه فالسبيل الّذي يمكن من خلاله أن يحصل الإنسان علىٰ المراد هو عن طريق أهل البيت، وإلّا فستكون اعماله كلّها جامدة إن لم تكن عن غير قناعة، وفي هذا مناسبة لنتعرض لأمر مهم يستوقف الإنسان ألا وهو الحجر الأسود.

الحجر الأسود:

عن الصادق عليه السلام حيث سئل عن علّة استلام الحجر؟ قال: «لأنّ مواثيق الخلائق فيه»[٣].

---

(١) محمد بن مسعود، تفسير العياشي، ج ١، ص ١٩٠، عبد علي العروسي الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ٣٦٨، هاشم البحراني، تفسير البرهان، ج ١، ص ٣٠١.

(٢) محمد بن الحسن، التهذيب، ج ٥، ص ٤٥٢، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، ج ١، ص ١٨٩، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٤، ص ٥٤٥، راجع جوادي آملي، صهباي حج، ص ١٠٨.

(٣) محمد باقر المجلسي، البحار، ج ٩٩، ص ٢١٩.

وعن الرضا عليه السلام: «علّة استلام الحجر، أنّ الله تبارك وتعالىٰ لمّا اخذ مواثيق بني آدم ألقمها الحجر، فمن ثمّ كلّف النّاس بمعاهدة ذلك الميثاق، ومن ثمّ يقال عند الحجر اماناتي ادّيتها، وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة»(١)(٢).

سئل الباقر أو الصادق عليهما السلام عن تقبيل الحجر، فقال: إنّ الحجر كان درّة بيضاء في الجنّة، وكان آدم يراها، فلمّا انزلها الله ـ عزّ وجلّ ـ إلىٰ الأرض، نزل آدم عليه السلام فبادر فقبّلها، فأجرىٰ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ بذلك السنّة»(٣).

وعن الصادق عليه السلام: «كان الحجر الأسود أشدّ بياضاً من اللبن، فلولا ما مسّه من ارجاس الجاهلية، ما مسّه ذو عاهة إلّا بريء»(٤).

فمن يستلم الحجر، لابدّ أن يعتقد بانّه يبايع الله تعالىٰ علىٰ طاعته، فيصمّم ويعزم علىٰ الوفاء بهذه المبايعة، فلا يخالف بعد ذلك ما قد التزم به، لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله من أنّ الحجر الأسود يمين الله في الأرض، يصافح بها خلقه، كما يصافح الرجل اخاه»(٥). أمّا من كان بعيداً عن مدينة العلم، فسوف تكون اعماله جوفاء لامعنىٰ لها، إذا لم يوقعه شيطانه بما يضل به عن الحق، فيعصي الله من حيث يظن انّه يطيعه، ولن تكون بنظره لهذه الأعمال أي قدسية لجهله بتفاصيلها. إذ إنّ الإنسان عدو ما جهل، ومن هنا ينبغي أن تكون كلّ اعمالنا مبتنية علىٰ المعرفة.

---

(١) م. س.

(٢) راجع جوادي آملي، صهباي حج، ص ٨١.

(٣) محمد باقر المجلسي، البحار، ج ٩٩، ص ٢٢٥.

(٤) محمد باقر المجلسي، البحار، ج ٩٦، ص ٢٢١.

(٥) راجع احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ج ١، ص ٦٥، محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١٣، ص ٣٢٤، ب ١٥، أبواب الطواف، ح ٢.

فقد روي انّه في خلافة الخليفة الثاني، حجّ في نفس الوقت أمير المؤمنين والحسنان عليهم السلام. فلمّا دخلوا مكّة، طافوا بالبيت، فاستلم عمر الحجر، وقال: أما والله، إنّي اعلم انّك حجر لاتضرّ ولاتنفع، ولولا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله استلمك ما استلمتك». فقال علي عليه السلام: (مه) يا ابا حفص، لاتفعل، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لايستلم إلّا لأمر قد علمه، ولو قرأت القرآن، فعلمت من تأويله ما علم غيرك، لعلمت انّه يضر وينفع، له عينان وشفتان ولسان ذلق يشهد لمن وافاه بالموافاة، وقال: فقال له عمر: فاوجدني ذلك في كتاب الله يا ابا الحسن؟ فقال علي عليه السلام قوله ـ تبارك وتعالىٰ ـ ﴿واذ اخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم واشهدهم علىٰ انفسهم ألست بربّكم قالوا بلىٰ شهدنا﴾[١] فلمّا اقرّوا بالطاعة بانّه الرب وهم العباد، اخذ عليهم الميثاق بالحجّ إلىٰ بيته الحرام، ثمّ خلق الله رقّا ارق من الماء، وقال للقلم: اكتب موافاة خلقي، بيتي الحرام، فكتب القلم موافاة بني آدم في الرق، ثمّ قال للحجر: افتح فاك، قال ففتحه فالقمه الرق، ثمّ قال للحجر: احفظ واشهد لعبادي بالموافاة، فهبط الحجر مطيعاً لله، يا عمر! أوليس إذا استلمت الحجر قلت: امانتي ادّيتها، وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة؟ فقال عمر: اللهمّ نعم. فقال له علي عليه السلام: آمن ذلك[٢].

وهنا لابدّ من التأكيد علىٰ أمر مهم، وهو أنّ هذا الأمر مستحب في نفسه، مؤكّد عليه، ولكن مع هذا فلا ينبغي للإنسان أن يقع في ارتكاب الحرام من اجل ان يصل إلىٰ أمر مستحب، فيقوم باذية اخوته المؤمنين، وتضييق المطاف عليهم، واذية الضعفاء منهم، وهذا من الأُمور الّتي لايرتضيها الباري جلّ وعلا، بل

(١) الأعراف (١٧٢).

(٢) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٩، ص ٢٢٧، راجع صهباي حج، ص ٢٧١.

ويسخط لأجلها، لأنّه في اقدس البقاع واطهرها، وهذا ممّا يجب أن نتربّىٰ عليه وما ينبغي التأكيد عليه هو عدم ارتكاب المحرم بأذية المؤمنين لأجل هذا الأمر المؤكّد، خصوصاً مع وجود امكانية التدارك.

دخل سفيان الثوري علىٰ أبي عبدالله (الصادق) عليه السلام فقال: اصلحك الله، بلغني أنّك لم تستلم الحجر في طواف الفريضة، وقد استلمه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفرج له، وانا لا يفرج لي»[(١)].

أنّ رجلاً أتىٰ ابا عبدالله عليه السلام وهو في الطواف فقال: ماتقول في استلام الحجر؟ فقال عليه السلام: استلمه رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: ما اراك استلمته؟. قال: أكره أن اؤذي ضعيفاً أو أتأذّىٰ، قال الرجل: قد زعمت أنّ رسول الله استلمه، قال: نعم، ولكن كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رأوه عرفوا له حقّه، وأنا فلا يعرفون لي حقّي»[(٢)].

عن عبدالله بن صالح انّه رآه، يعني صاحب الأمر عليه السلام عند الحجر الاسود، والناس يتجاذبون عليه، وهو يقول: ما بهذا أمروا»[(٣)].

سئل الرضا عليه السلام عن الحجر الأسود وهل يقاتل عليه النّاس إذا كثروا؟ قال: إذا كان كذلك فأومىٰ إليه ايماءً بيدك»[(٤)].

---

(١) علي الافتخاري، الحج والعمرة ومعرفة الحرمين الشريفين، ص ٧٤، راجع محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١٣، ص ٣٢٧، ب ١٦، طواف، ح ١١.

(٢) محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٣، ص ٣٢٧، ب ١٦، طواف، ح ٨.

(٣) م. س. ح ٩.

(٤) محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٣، ص ٣٢٧، ب ١٦، طواف، ح ٥.

الحطيم:

وبعد الحجر يطالعنا الحطيم، وهو من البقاع المهمّة الّتي يستحب فيها الدعاء، والصلاة، والصلاة علىٰ محمّد وآل محمّد.

وسئل الصادق عليه السلام عن الحطيم، فقال: هو مابين الحجر الأسود وباب البيت، قال اسحٰق بن عمّار: قلت له: لم سمي الحطيم؟ قال عليه السلام: لأنّ النّاس يحطم بعضهم بعضاً»(١).

وعن فقه الرضا عليه السلام: «اكثر الصلوة في الحجر، وتعمّد تحت الميزاب وادع عنده كثيراً، وصلّ في الحجر علىٰ ذراعين من طرفه ممّا يلي البيت فإنّه موضع شبّر وشبير ابني هارون عليه السلام وإن تهيّأ لك أن تصلّي صلاتك كلّها عند الحطيم فافعل، فإنّه افضل بقعة علىٰ جه الأرض، والحطيم مابين الباب والحجر الاسود، وهو الموضع الّذي تاب الله تعالىٰ علىٰ آدم عليه السلام، بعده الصلاة في الحجر فضل، وبعده مابين الركن العراقي والبيت، وهو الموضع الّذي كان فيه المقام في عهد إبراهيم عليه السلام إلىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده خلف المقام الّذي هو الساعة، وما قرب من البيت فهو افضل»(٢).

ولتأكيد مامرّ من أنّ الأعمال كلّها متوقّفة علىٰ ولاية أهل البيت عليهم السلام نورد هذه الرواية عن السجّاد عليه السلام:

روىٰ أبو حمزة الثمالي عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام انّه سأل:

---

(١) محمّد باقر المجلسي، البحار، ج ٩٩، ص ٢٢٩.

(٢) محمّد باقر المجلسي، البحار، ج ٩٩، ص ٢٣٠.

«أي البقاع افضل؟ فقلنا: الله ورسوله وابن رسوله اعلم، فقال: «انّ افضل البقاع مابين الركن والمقام، ولو أنّ رجلاً عمّر ماعمّر نوح في قومه، الف سنة إلّا خمسين عاماً، يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك الموضع، ثمّ لقىٰ الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً»[١].

وذلك لأنّ تحقيق روح العبادة، والوصول إلىٰ خلفياتها لايمكن إلّا من خلالهم، وأنّ الإسلام الصحيح من أركانه الأساسيّة، الاعتقاد بالولاية (وما نودي بشيء، مثلما نودي بالولاية).

وفي هذا المكان، تحطم الذنوب، وتقبل التوبة.

مقام إبراهيم:

ثمّ يأتي مقام إبراهيم عليه السلام، وهو لغة موضع قدم القائم، ومقام إبراهيم هو الحجر الّذي وقف عليه الخليل، وفي سبب وقوفه اقوال منها انّه وقف عليه لبناء البيت، ومنها انّه وقف عليه للاذان للحجّ[٢].

عن الصادق عليه السلام: لمّا اوحىٰ الله عزّ وجلّ إلىٰ إبراهيم عليه السلام أن اذّن في النّاس بالحجّ، اخذ الحجر الّذي فيه أثر قدميه وهو المقام، فوضعه بحذاء البيت لاصقاً بالبيت بحيال الموضع الّذي هو فيه اليوم، ثمّ قام عليه فنادىٰ بأعلا صوته بما أمره الله ـ عزّ وجلّ ـ به، فلمّا تكلّم بالكلام لم يتحمّله الحجر فغرقت رجلاه فيه. فقلع إبراهيم عليه السلام رجليه من الحجر قلعاً، فلمّا كثر النّاس وصاروا إلىٰ الشر والبلاء، ازدحموا عليه فرأوا أن يضعوه في هذا الموضع الّذي هو فيه اليوم ليخلو

---

(١) محمد باقر المجلسي، البحار، ج ٩٩، ص ٢٢٩.

(٢) راجع جوادي آملي، صهباي حج، ص ٧٨.

المطاف لمن يطوف بالبيت، فلمّا بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله ردّه إلىٰ الموضع الّذي وضعه إبراهيم عليه السلام فما زال فيه حتّىٰ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي زمن أبي بكر، وأوّل ولاية عمر، ثمّ قال عمر: قد ازدحم النّاس علىٰ هذا المقام، فأيّكم يعرف موضعه في الجاهليّة؟ فقال رجل: أنا اخذت قدره بقدر، قال: والقدر عندك؟ قال: نعم، قال: فأت به. فجاء به. فأمر بالمقام فحمل وردّ إلىٰ الموضع الّذي هو فيه الساعة»[1].

وهذه الآية الإلٰهيّة، تحمل كثيراً من الدروس والعبر، ومن جملة ذلك أنّ الإنسان الإلٰهي عندما يقوم بتنفيذ الرسالة الإلٰهيّة فإنّ الصخور الصمّاء تعجز عن القيام به، بل تسيخ عاجزة عن تحمّله.

ومنها أيضاً، أنّ المواقف الّتي يكون فيها الإنسان في طاعة الله، وفي طريق احياء سنن الله، فانّ موقفه يصبح مقدّساً ومباركاً. بل موضع سجود الساجدين، من هنا جاء الخطاب الإلٰهي **﴿واتّخذوا من مقام إبراهيم مصلّىٰ﴾**[2].

سأل داود الحضرمي ابا الحسن عليه السلام عن الصلاة بمكّة في أي موضع أفضل؟ قال: عند مقام إبراهيم الأوّل، فانّه مقام إبراهيم وإسماعيل ومحمّد صلى الله عليه وآله[3].

ولابدّ من الالتفات إلىٰ أنّ أحد أعمال الحجّ وهو صلاة ركعتي الطواف،

---

(١) علي الافتخاري الگلپايگاني، الحجّ والعمرة ومعرفة الحرمين الشريفين، ص ٩٤.

(٢) البقرة (١٢٥).

(٣) محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٢٧٥، ب ٥٣، ح ٨، محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٦، ص ٢٣١.

لابدّ أن تكون خلف مقام إبراهيم لكي تكون صحيحة. كما سنتعرّض لذلك.

حِجْر إسماعيل:

ثمّ يأتي الكلام والحديث عن حِجْرِ إسماعيل، ومن الواجبات في الطواف، أن يدخل الحِجْرَ في الطواف، وقد عبّر صاحب الجواهر بعبارة (بلا خلاف أجده) وأن الأمر مفروغ عنه.

«بلا خلاف أجده فيه... قال الجلبي في الصحيح، قلت لأبي عبدالله عليه السلام رجل طاف بالبيت فاختصر شوطاً واحداً في الحجر، كيف يصنع؟ قال: «يعيد الطواف الواحد»... ولا فرق في الحكم المزبور بين القول بخروجه من البيت ودخوله فيه... بل في الدروس المشهور كونه منه، بل في التذكرة والمنتهىٰ أن جميعه منه...، لكن سأل معاوية بن عمّار، الإمام الصادق عليه السلام ـ في الصحيح ـ: امن البيت هو، أو فيه شيء منه البيت؟ فقال: لا، ولا قلامة ظفر، ولكن إسماعيل دفن أمّه فيه فكره أن يوطأ، فجعل عليه حِجْراً، وفيه قبور أنبياء...»[1].

أمّا ما ذكره الشهيد الأوّل، في ادخال الحجر في الطواف: «فلو طاف فيه، أو مشى علىٰ حائطه لم يجزئ، سواء قلنا انّه من البيت كما هو المشهور او، لا...»[2].

امّا ماورد عن العلامة: «ويجب أن يُدخل الحِجْر في طوافه، وهو الّذي بين الركنين الشاميين... فلو مشىٰ علىٰ حائطه أو دخل في إحدىٰ الفتحتين

(١) محمد حسن النجفي، الجواهر، ج١٩، ص٢٩٢. والحِجْر: هو الحائط المستدير إلىٰ جانب الكعبة الغربي. (لسان العرب: ج ٤، ص ١٧٠).

(٢) محمد بن مكي، الدروس، ج١، ص٣٩٤.

وخرج من الأُخرىٰ، وسلك الحجر، لم يجزئ، لأنّه يكون ماشياً في البيت»[١].

وعلىٰ كلّ حال، فسواء قلنا انّه مدفن لام إسماعيل، والأنبياء، ففيه من العبر والدروس مالايخفىٰ، إذ انّه يحصل علىٰ نفس القدسية والعظمة، ويصبح مطافاً للعالمين، أو قلنا انّه من البيت، فيجب مراعاته والابقاء علىٰ مكانته وإن لم يكن فعلاً من بواطن البيت. وللأئمّة عليهم السلام مواقف وأدعية في الحِجْر، وخصوصاً تحت الميزاب، وهي ادعية مفصّلة.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام إذا بلغ الحجر، قبل أن يبلغ الميزاب، يرفع رأسه ثمّ يقول: «اللهمّ ادخلني الجنّة برحمتك، وهو ينظر إلىٰ الميزاب، واجرني برحمتك من النار وعافني من السقم، واوسع عليّ من الرزق الحلال، وادرأ عني شرّ فسقة الجن والانس، وشرّ فسقة العرب والعجم»[٢].

كما أنّ بعض الأئمّة عليهم السلام كان يجلس طويلاً في الحِجْر، وبعضهم كان يدرس المسائل كما ورد عن الصادق عليه السلام.

ومن المعلوم أن افضل الأمكنة في الحِجْر تحت الميزاب، لذلك ورد عن أغلب الأئمّة، ادعية إذا جازوا الميزاب، أو وقفوا عنده، ممّا يدلل علىٰ اهمية المكان وانّه موطن لاقامة الدعاء.

الركن اليماني:

ثمّ هنالك مكان مهمّ جداً، لابدّ للإنسان أن يقف عليه، وهو الركن اليماني.

---

(١) الحسن بن يوسف الحلي، التذكرة، ج٨، ص٩١.

(٢) محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٤، ص٤٠٧، ح ٥.

لذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «انّه بابنا الذي ندخل منه الجنّة»[١].

عن الصادق عليه السلام قال: «كنت أطوف مع ابي[٢] وكان إذا انتهىٰ إلىٰ الحجر مسحه بيده وقبله، وإذا انتهىٰ إلىٰ الركن اليماني التزمه، فقلت: جعلت فداك تمسح الحجر بيدك، وتلتزم اليماني، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما اتيت الركن اليماني إلّا وجدت جبرائيل عليه السلام قد سبقني إليه يلتزمه»[٣].

ـ عن أبي الفرج السندي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنت اطوف معه بالبيت فقال: «أي هذا أعظم حرمة؟» فقلت: جعلت فداك، انت اعلم بهذا منّي، فأعاد عليّ، فقلت له: داخل البيت. فقال: الركن اليماني علىٰ باب من أبواب الجنّة مفتوح لشيعة آل محمّد، مسدود عن غيرهم، وما من مؤمن يدعو بدعاء عنده إلّا صعد دعاؤه حتّىٰ يلصق بالعرش، مابينه وبين الله حجاب»[٤].

ولا يخفىٰ علىٰ أحد أنّ هذا الركن، بالإضافة لما مرّ من فضله واستحباب الدعاء فيه، والتقلّب عنده بالدعاء والتوبة والاستغفار، فهو ركن الولاية، وهو الّذي انشقّ لفاطمة بنت اسد، فتشرّف بولادة أمير المؤمنين عليه السلام فدخلت منه فولدت مولودها، ثمّ خرجت منه أيضاً.

المتعوَّذ:

وبين الركن اليماني، والباب الثاني المغلق من الكعبة، يسمّى بالملتزم،

---

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١٣، ب ٢٢، طواف، ج ١٠، ص ٣٣٩.
(٢) الكافي، ج ٤، ص ٤٠٨، ح ١٠ (مع أبي عبدالله).
(٣) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١٣، ص ٣٣٨، ب ٣٢، طواف، ح ٣.
(٤) محمّد بن يعقوب، الكافي، ج ٤، ص ٤٠٩، ح ١٥.

ويقال له المتعوّذ أيضاً.

عن أبي عبدالله عليه السلام: إذا كنت في الطواف السابع، فأتِ المتعوَّذ، وهو إذا قمت في دبر الكعبة حذاء الباب فقل: «اللهُمَّ البيتُ بَيْتُكَ، والعبدُ عَبْدُكَ، وهـذا مَقَامُ العائِذِ بِكَ مِنَ النَّارِ، اللَّهُمَّ مِن قِبَلِكَ الرَّوْحُ والفَرَجُ، ثمّ استلم الركن اليماني، ثمّ ائت الحَجَر فاختم به»[(١)].

وعنه عليه السلام: «إذا فرغت من طوافك، وبلغت مؤخر الكعبة ـ وهو بحذاء المستجار دون الركن اليماني بقليل ـ فابسط يدك علىٰ البيت، وألصق بطنك وخدّك بالبيت وقل: «اللهمّ البيت بيتك، والعبد عبدك، وهذا مكان العائذ بك من النار، ثمّ اقرّ لربّك بما عملت، فانّه ليس من عبد مؤمن يقر لربّه بذنوبه في هذا المكان، إلّا غفر الله له إن شاء الله، وتقول: «اللهمّ من قبلك الروح والفرج والعافية، اللهمّ أنّ عملي ضعيف، فضاعفه لي، واغفر لي ما اطلعت عليه مني وخفي علىٰ خلقك، ثمّ تستجير بالله من النار، وتخيّر لنفسك من الدعاء، ثمّ استلم الركن اليماني، ثمّ ائت الحجر الأسود»[(٢)].

ومن الواضح، مافي هذه النصوص من الدروس والعبر، وكيف يؤدّبنا أهل البيت بين يدي خالقنا، وفي بيته المحرم، وكيف يجب علىٰ الإنسان الغارم أن يبذل قصارىٰ جهده، ولا يتوانىٰ عن التمرّغ والدعاء والمسألة، والاعتراف بما اقترف وجنىٰ لأنّ كلّ هذا اذعان بالتقصير والتعدّي والتفريط بين يدي الحليم الكريم، لعلّه يبلغنا آمالنا، ويتجاوز عن تقصيرنا وذلاتنا.

ولهذا، ورد عن الصادق عليه السلام انّه كان إذا انتهىٰ إلىٰ الملتزم، قال لمواليه:

---

(١) محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٤، ص ٤١٠، ح ٣.

(٢) محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٤، ص ٤١٠، ح ٥.

أميطوا عني حتّىٰ اقرّ لربّي بذنوبي في هذا المكان، فإنّ هذا مكان، لم يقرّ عبدٌ لربّه بذنوبه ثم استغفر الله إلّا غفر الله له»[١].

وهذا المكان هو المكان الّذي وقف عنده آدم عليه السلام واعترف بذنوبه.

عن الصادق عليه السلام قال: «إنّ آدم عليه السلام لمّا طاف بالبيت، فانتهىٰ إلىٰ الملتزم، فقال جبرائيل: اقرّ لربّك بذنوبك في هذا المكان، فوقف آدم فقال: يا ربّ إنّ لكلّ عامل أجراً، ولقد عملت، فما أُجري؟ فاوحىٰ الله تعالىٰ: يا آدم، من جاء من ذريتك إلىٰ هذا المكان، فأقرّ فيه بذنوبه غفرت له»[٢].

هذا، وهنالك خلط في كتب اللغة في تحديد موقع المستجار والملتزم، فقد ذهب الطريحي إلىٰ أنّ المستجار هو الحائط المقابل للباب دون الركن اليماني،[٣] وانّ الملتزم بفتح الزاء دبر الكعبة،[٤] فقد ذهب في تاج العروس إلىٰ ان الملتزم يقال له المدعىٰ والملتزم، وهو مابين الركن والباب[٥]. إلّا أن يكون مراد الأخير مابين الركن اليماني والباب المسدود، فينتفي الخلط والخلاف، ولكن اطلاق الركن والمقام عند الزبيدي ينصرف إلىٰ ركن الحجر الأسود والباب الفعلي، والله اعلم.

فاذا عدنا إلىٰ بعض الروايات نجد الاختلاف فيها أيضاً، فعندما يحدّد الإمام الصادق عليه السلام المتعوَّذ: إذا كنت في الطواف السابع فأت المتعوَّذ، وهو إذا

---

(١) محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٤، ص ٤١٠، ح ٤. محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١٣، ص٣٤٦، ب٢٦، طواف، ح ٥.

(٢) علي الافتخاري، الحج والعمرة ومعرفة الحرمين الشريفين، ص٨٣.

(٣) فخر الدين الطبرسي، مجمع البحرين، ج ١، ص٤٢٨.

(٤) محمّد رضا النعمتي، قاموس الحرمين الشريفين، ص٢٣٨.

(٥) محمد رضا الزبيدي، تاج العروس، ج ٩، ص ٥٩.

قمت في دبر الكعبة حذاء الباب»[١]. فنفهم منها أنّ المتعوّذ هو مابين الباب المسدود والركن اليماني. وهو ما يؤكّده الإمام عليه السلام **«إذا فرغت من طوافك، وبلغت مؤخّر الكعبة. وهو بحذاء المستجار دون الركن اليماني بقليل»**[٢].

ويفهم من هذه الرواية أنّ ما يقابل المتعوَّذ هو المستجار، وهو الواقع ما بين الحجر الأسود والباب:

ولكن هذا الكلام يتغير فيما لو لاحظنا الرواية التالية:

عن أبي عبدالله: ثمّ تطوّف بالبيت... فإذا انتهيت إلىٰ مؤخّر الكعبة، وهو المستجار دون الركن اليماني بقليل...»[٣].

ففي هذه الرواية، يظهر أنّ المستجار هو المدّعى وهو الّذي في دبر الكعبة، ولكن بقرينة ماتقدّم من الروايات، نجد خصوصاً مافي الكافي (بحذاء المستجار) أنّ في هذه الرواية سقطت كلمة (بحذاء)، وذلك لأنّ نص الرواية واحد تقريباً.

وبهذا نخلص إلىٰ أنّ المستجار، هو مابين الحجر الأسود والباب الفعلي، وانّ الملتزم والمدّعي والمتعوّذ هما اسم للحائط بين الباب المسدود والركن اليماني.

هذه هي جملة الأُمور الّتي ينبغي أن يتعرّف الإنسان عليها داخل المسجد، ممّا يحتاجه اثناء الواجب، من الطواف وصلاته، نعم يبقىٰ مسألة ماء زمزم والمسعىٰ، وسوف نتعرّض لهما عن قريب.

---

(١) الوسائل، ج ١٣، ص ٣٤٤، ب ٢٦، طواف، ح ١.

(٢) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١٣، ص ٣٤٤، ب ٢٦، طواف، ح ٤.

(٣) م. س. ح ٩، محمد بن الحسن الطوسي، التهذيب، ج ٥، ص ١٠٤.

المبحث الرابع:

الطواف وركعتاه

بعد أن يحرم الإنسان في أحد المواقيت لعمرة التمتّع، وجب عليه أن يتوجّه إلىٰ مكّة المكرّمة لتتمّة مناسكه، وأوّل الأعمال الّتي يجب عليه القيام بها في مكّة المكرّمة، هو أن يأتي بالطواف سبعة اشواط حول البيت، وبعده بركعتي الطواف.

وهو في اللغة: (وطاف بالبيت وأطاف عليه: دار حوله»[١] فالطواف من الدوران.

وفي الاصطلاح: هو الاتيان بسبعة اشواط حول البيت قربة لله تعالىٰ»[٢].

ولا يخفىٰ أنّ لمجرّد الطواف حول البيت اجر جزيل، حتّىٰ لولم يكن ضمن المنسك، خصوصاً إذا ادرك المكلّف ماذا تعني حركته تلك حول البيت.

عن الصادق عليه السلام: «كان أبي يقول: من طاف بهذا البيت اسبوعاً، وصلّىٰ ركعتين في ايّ جوانب المسجد شاء، كتب الله له ستّة آلاف حسنة، ومحا عنه ستّة آلاف سيئة، ورفع له ستة آلاف درجة وقضىٰ له ستة آلاف حاجة، فما

---

(١) محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ج ٩، ص ٢٢٥.

(٢) راجع علي الخامنئي، مناسك الحج، ص ٩٤.

عجّل منها فبرحمة الله، وما اخّر منها، فشوقاً إلىٰ دعائه»[١].

هذا وانّ لكلّ ركن من الأركان، وكلّ جدار من الجدران، ادب ودعاء مخصوص، ارادنا أهل البيت أن نطبقه اثناء طوافنا حول البيت، وما ينطوي عليه من بعد آخر، يتلخص بمسألة مراعاة حركاتنا وسكناتنا في طريقنا نحو الكمال المنشود، وقد اكّدت بعض الروايات، ومنها مامرّ، علىٰ أنّ حركة الإنسان باتّجاه هدفه يجب أن تلحظ أمراً خطيراً، وهو انّه لاينبغي أن نتعرّض للآخرين باذية، فعلية كانت أم قولية، لانّ مثل هذه الأمور يبعد عن الهدف ويقطع الطريق عن الغاية المنشودة، إذ إنّ الغاية هي الوصول، وتحقيق رضا الله تعالىٰ، ومثل هذه الأعمال منافية لذلك، هذا في الطواف، مع انّه ينسحب علىٰ كلّ تفاصيل الحياة الأُخرىٰ، ولذلك ورد في بعض الروايات كما سيمرّ معنا، أنّ أفضل من الطواف، هو أن يقضي لأخيه المؤمن حاجة، يكتب الله له بها طوافاً إلىٰ العشرة.

فالغرض المقصود من تشريع فريضة الطواف الخاص المعهود هو التوصل إلىٰ صفة وملكة الاستمرار علىٰ التحرك والطواف العام حول مركز ارادة الله تعالىٰ ومطاف شريعته، تماماً كتقيده بالطواف حول البيت ويؤيّد هذا ماروي عن الصادق عليه السلام.

عن أبان بن تغلب قال: كنت اطوف مع أبي عبدالله عليه السلام فعرض لي رجل من اصحابنا كان سألني الذهاب معه في حاجة، فبينما أنا اطوف إذ اشار اليّ، فرآه أبو عبدالله عليه السلام فقال: يا أبان، ايّاك يريد هذا؟ قلت: نعم، قال: فمن هو؟ قلت: رجل من اصحابنا، قال: هو علىٰ مثل الّذي انت عليه؟ قلت: نعم، قال: «فاذهب إليه»، قلت: واقطع الطواف؟ قال: «نعم»، قلت: وإن كان طواف

(١) محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٤، ص ٤١٢، ح ٢.

فريضة؟ قال: نعم، فذهبت معه[١]. قال: وقال أبو عبدالله عليه السلام: من مشىٰ مع اخيه المسلم في حاجته، كتب الله له ألف الف حسنة، ومحىٰ عنه الف الف سيئة، ورفع له الف الف درجة[٢].

وعن الصادق عليه السلام: «لقضاء حاجة امرىء مؤمن، أحبّ إلىٰ الله من عشرين حجّة، كلّ حجّة ينفق فيها صاحبها مائة الف»[٣].

وعن الصادق عليه السلام: «من طاف في البيت طوفاً واحداً، كتب الله له ستة آلاف حسنة، ومحا عنه ستة آلاف سيئة، ورفع له ستة آلاف درجة[٤]. حتّىٰ إذا كان عند الملتزم فتح الله له سبعة أبواب الجنة. وقال له اصحابه: جعلت فداك، هذا الفضل كلّه في الطواف؟ قال: نعم، واخبرك بافضل من ذلك؟

قضاء حاجة المؤمن المسلم افضل من طواف وطواف وطواف حتّىٰ بلغ عشراً»[٥].

ثمّ ينبغي أن نعلم أنّ الطواف، مع ماله من الغايات، له جذور تاريخية تمتد عبر الخلقة، لتشير إلىٰ انسجام كوني عام، من طواف الجميع حول المحور الإلٰهي الّذي لاينبغي الطواف حول غيره، وغير ذلك من التعابير كما سيأتي في الروايات.

---

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١٣، ص ٣٨٤، ب ٤٣، طواف، ح ٤، وقريب منه عن محمد بن يعقوب في الكافي، ج ٤، ص ٤١٥، ح ٧، إلّا أنّ فيه زيادة، ومحمد بن الحسن الطوسي في التهذيب، ج ٥، ص ١٢٠، ح ٦٣.

(٢) م. س. من الكافي والتهذيب.

(٣) محمد مهدي النراقي، جامع السعادات، ج ٢، ص ٢٢٩.

(٤) إلىٰ هنا محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٤، ص ٤١٢، ح ٢.

(٥) محمد مهدي النراقي، جامع السعادات، ج ٢، ص ٢٢٩.

فعن الصادق عليه السلام: «وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش، كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت»[(١)].

فـ«في الطواف، يتشبّه بالملائكة الحافين حول العرش، الطائفين حوله، وان المقصود الحقيقي طواف قلبه بذكر ربّ البيت، لايتبدئ الذكر إلّا به. ولايختم إلّا به»[(٢)].

ومن هذا الحديث، نعود بالذهن إلىٰ بداية الخلقة، ولما كان الطواف:

عن الرضا عليه السلام: علّة الطواف بالبيت أنّ الله قال للملائكة: ﴿إنّي جاعل في الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾[(٣)] فردوا علىٰ الله، فندموا، فلاذوا بالعرش واستغفروا، فأحب الله أن يتعبّد بمثل ذلك العباد، فوضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش يسمّىٰ الضراح، ثمّ وضع في السماء الدنيا بيتاً يسمّىٰ البيت المعمور بحذاء الضراح، ثمّ وضع البيت بحذاء البيت المعمور، ثمّ أمر آدم عليه السلام فطاف به فتاب عليه، وجرىٰ ذلك في ولده إلىٰ يوم القيامة»[(٤)].

وعلىٰ هذا فإنّنا نفهم أنّ عملية الطواف ما هي إلّا سعي من المخلوق، في اعلان دوران حول المحور الأوحد لكلّ الكائنات، وهذا الدوران المنتظم بالآلية المتعارفة، ذو اتجاهين:

الأوّل: اقتراب من المركز، وانّه لاملجأ ولا مهرب منه إلّا إليه.

---

(١) عبد الله شبّر، الأخلاق، ص ٧١.

(٢) م. س. ص ٧٥، محمد مهدي النراقي، جامع السعادات، ج ٣، ص ٣٩٢.

(٣) البقرة (٣٠).

(٤) محمد حسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٣، ص٢٩٦، ب ١، طواف، ح ١٢.

والثاني: طرد لكلّ مايعلق بالفطرة والخلقة من الشوائب والادران الّتي تلصق بها من خلال الأخطاء في التشخيص والمسير.

فهنالك فائدة تربوية عامة، تشمل العبادات الأُخرىٰ، وهي رعاية التقيد والتعبّد لله تعالىٰ بتأدية الواجبات علىٰ النحو المأمور به من دون زيادة أو نقصان، ومن دون اجتهاد، ففيه التأدّب علىٰ التسليم للإرادة الإلٰهيّة مع مافيها من الاقتناع بالحكمة السماوية، وانّ كلّ ما يأمر به الله سبحانه لابدّ أن يكون لحكمة ومصلحة، وكلّ ماينهىٰ عنه كذلك. ومع ذلك نجد كمّاً من الروايات الّتي ترشدنا إلىٰ بعض هذه الأسرار، امعاناً في تأكيد الإيمان بحكمة الله تعالىٰ، فإذا مادقّقنا النظر في تلك الروايات، نجد أنّ من جملة الدروس، هو الالتزام الدقيق في جميع ابعاد الحياة الّتي يجب أن لا تتخلّف عن الإرادة الإلٰهيّة(١).

فإذاً، عملية الطواف ماهي إلّا تأكيد من العبد بالالتزام بكلّ المثل والآداب الإلٰهيّة، فهو رمز للتفاني في الله تبارك وتعالىٰ، إذ كلّ شيء قائم به، وهو يمثل دوران الرحىٰ حول القطب، ولولا القطب لما دارت الرحىٰ، كذلك رحىٰ الكون والوجود متوقّفة في دورانها عليه تعالىٰ، والكعبة في الأرض بمنزلة العرش في العالم الأعلىٰ، فكما يطوف الملائكة حول العرش، وحول الضراح، كذلك سكّان الأرض يقصدون البيت الحرام للغرض نفسه، وهو لتجديد ما التزموا به من الطاعة والإذعان، ولرفض كلّ قطب ماسوىٰ الرحمن، ولنبذ وساوس الشيطان، فيكون الطواف بمنزلة عهد علىٰ أن يكون في اعماله متقرّباً إلىٰ الله وساعياً إلىٰ رضاه، وأن يبتعد عن كلّ ما يغضبه ولا يرضاه، من هنا كانت جملة من الروايات الّتي تؤكّد علىٰ خدمة الإخوان وقضاء حوائجهم، وتنفيس

(١) راجع حسن طراد، فلسفة الحج، ص ١١٤.

الهم عنهم، وأن أجر ذلك أعظم بكثير من الطواف المادي. لأنّ مثل هذه الأعمال في حقيقتها طواف واقعي يتحصّل به رضا الرحمٰن، ومن ذلك:

أنّ إسماعيل الخثعمي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّا إذا قدمنا مكة، ذهب اصحابي يطوفون ويتركوني احفظ متاعهم، قال: «انت اعظمهم اجراً»(١).

عن مرازم بن حكيم قال: زاملت محمّد بن مصادف، فلمّا دخلنا المدينة اعتللت، وكان يمضي إلىٰ المسجد ويدعني وحدي، فشكوت ذلك إلىٰ مصادف، فأخبر به ابا عبدالله عليه السلام. فأرسل اليّ: «قعودك عنده أفضل من صلاتك في المسجد»(٢).

وفي هاتين الروايتين تأكيد علىٰ ماتقدّم من أنّ الأعمال الّتي يقصد بها رضا الله تعالىٰ، من خدمة المؤمنين، وقضاء حوائجهم من أجزاء الطواف الواقعي الّتي لاتخل بالعبادة بل تكون حافزاً لقبولها وعدم ردّها، ومضاعفتها، كما أن هنالك مصاديق من أنّ نفس الإمام (روحي فداه) قد قطع طوافه ليذهب في قضاء حاجة المؤمن معلّلاً ذلك بانّ هذا يعادل عمرة مقبولة، أو أكثر من ذلك، ولا يعلم أنّ ما يؤتى من طواف، مقبول أم لا، أو انّه يتمكّن بعد ذلك من تتمّة طوافه.

بقي التأكيد علىٰ مسألة، قد سبقت الإشارة إليها، وهي مسألة الأدعية اثناء الطواف، فإنّ أهل البيت (صلوات الله عليهم اجمعين)، قد ذكروا ادعية يستحبّ ان يردّدها الإنسان حول البيت، إلّا أنّ الملفت فيها انّهم جعلوا لكلّ خطوة حول البيت دعاءً خاصّاً، فعند الحجر الأسود هنالك دعاء خاص، وكذلك عند الحطيم

---

(١) محمد حسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١٣، ص ٣١٣، ب ١١، طواف، ح ١.

(٢) محمد حسن الحر العاملي، ج ١٣، ص ٣١٣، ب ١١، طواف، ح ٢.

أو المستجار، ثمّ كذلك إلىٰ بداية الحِجر، وعند مقابلة الميزاب، ثمّ عند الملتزم والمدّعي وكذا عند الركن اليماني، ومافيه من الاعتراف بالذنوب والخطايا والاستغفار، ثمّ ماذا يقول إلىٰ أن يصل إلىٰ الحجر الأسود، وفي ذلك دلالة واضحة علىٰ أنّ لهذه العمليّة حول البيت أهداف معيّنة، منها أنّ الإنسان في حركته، لابدّ أن يوفّق بين مسيره وماينبغي له من التوكّل وتقوىٰ الله، وانّه كما راقب نفسه في حركته حول البيت، واستخدم لكلّ موقف وكلّ خطوة معنىٰ معيناً من الدعاء والتحميد والتضرّع والتذلّل والخشوع، كذلك في حياة الإنسان مع نفسه وفي المجتمع، بحيث يحسب كلّ خطوة يخطوها، وهل انّه يستشعر فيها العبوديّة والفقر والحاجة، وهل أنّ خطوته تلك هي بحول الله وقوّته، لا بحول من العبد وقوّته؟ وهل تحتوي علىٰ الرضا؟ أم انّها حركة عابثة إن لم نقل انّها شيطانيّة؟ تسخط الرب وترضي الشيطان. ومعنىٰ أن يتقلّب الإنسان في الله تعالىٰ، وأن يرىٰ الله في كلّ شيء، تعرّض له أمير المؤمنين عليه السلام، حيث انّه كان يرىٰ الله في كلّ الوجود، وهذا بحد ذاته عاملاً يحفّز الإنسان أن يبقىٰ في حالة القرب هذه، خصوصاً إذا ما استشعر سلبيات الابتعاد عن هذه الحالة، لو ارتكب ما يبعده والعياذ بالله.

ركعتا الطواف:

ثمّ بعد الإتيان بالطواف، لابدّ من الإتيان بالواجب الثالث من واجبات العمرة، وهو صلاة الطواف، إذ انّه يجب بعد الطواف صلاة ركعتين له، ويجب أن لا يفصل بين الطواف وصلاته[1].

(١) راجع علي الخامنئي، مناسك الحجّ، ص١٠٢.

وهنا نعود إلىٰ حوارية الشبلي في محضر الإمام زين العابدين عليه السلام لنتعرّف علىٰ ابعاد هذا العمل.

ثمّ قال له: «صافحت الحجر، ووقفت بمقام إبراهيم عليه السلام، وصلّيت به ركعتين؟». قال: نعم... ثمّ قال عليه السلام: نويت حين وقفت عند مقام إبراهيم عليه السلام، انّك وقفت علىٰ كلّ طاعة، وتخلّفت عن كلّ معصية؟ قال: لا. قال: «فحين صلّيت فيه ركعتين، نويت انّك صلّيت بصلاة إبراهيم عليه السلام، وارغمت بصلاتك انف الشيطان؟ قال: لا. قال له عليه السلام: «فما صافحت الحجر الأسود، ولا وقفت عند المقام، ولا صلّيت فيه ركعتين»[1].

ومن الواضح انّه تجب الصلاة خلف مقام إبراهيم عليه السلام قريباً منه بشرط عدم مزاحمة الآخرين[2].

والإمام عليه السلام يتعرّض لأمرين بالنسبة للمقام:

فالأوّل منهما: هو الوقوف عند المقام ناوياً بذلك الوقوف علىٰ الطاعة، ولازم ذلك ترك كلّ معصية، وهذه العبرة التربويّة عند المقام لما يحويه من مضامين وذكريات، فهو الّذي وقف عليه إبراهيم عليه السلام لبناء البيت طاعة لله، ووقف عليه لينادي في النّاس بالحجّ ممّا جعله يذوب تحت قدمي إبراهيم عليه السلام من ثقل الرسالة، فانتزع عليه السلام قدميه منها انتزاعاً، وهذا اعجاز الهي للتدليل علىٰ انّ خليفة الله علىٰ الأرض، لو قام باعباء الأهداف الإلٰهيّة، فانّ الأرض لا تكاد تحتمله.

(١) الميرزا حسين نوري، مستدرك الوسائل، ج ١٠، ص ١٦٨.

(٢) راجع علي الخامنئي، مناسك الحج، ص ١٠٣.

امّا الثاني: فهو بالنسبة للصلاة، وانّ المكلّف لابدّ أن يصلّىٰ بصلاة إيراهيم الخليل، صلاة واعية لا مكان للشرك فيها، تكتنز كلّ معاني الربوبيّة والطاعة، وهذا مايجعل الشيطان خاسئاً ذليلاً.

فإذا خلت الصلاة من هذه المضامين، فإنّها وإن سقط بها التكليف، إلّا انّها تكون جوفاء خالية من العناصر التربويّة البنّاءة، وأن تكون عند ذلك سبباً لإرغام أنف الشيطان، لأنّ الشيطان إنّما يشعر بالذلّة عندما تفشل خططه الّتي تتضمّن الغواية، واسقاط النّاس في مهاوي حبائله، وهذا إنّما يتمّ فيما لو خالفوا التكاليف الإلٰهيّة الملقاة علىٰ عواتقهم، فكلّ مخالفة تصدر من أحد، ففيها اسعاد للشيطان، وتعب وعناء للإنسان، لأنّه بفعله يكون قد ابتعد عن الله تعالىٰ.

وبما أنّ الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر، وهي الصلاة المحمّديّة الابراهيميّة، إذا ما استطاع الإنسان أن يطبّقها، فهو بذلك يكون قد قطع حبائل الشيطان وارغم انفه.

امّا رابطة هذه الصلاة، بمقام إيراهيم، حيث قال تعالىٰ:

﴿واتّخذوا من مقام إبراهيم مصلّىٰ﴾[1].

لعلّ ذلك، لما يحتويه من دروس تربويّة، ولفتاً لنظر الأجيال المتتالية الوافدة للدور البارز الّذي نهض به إيراهيم عليه السلام بالنسبة لفريضة الحجّ، إذ كان هو من جدّد مع ولده إسماعيل عليه السلام بناء البيت بأمر من الله تعالىٰ، وقد استعان بتلك الصخرة لرفع قواعد البيت.

إضافة إلىٰ ما تحتويه شخصيّته العظيمة، من اخلاص في طاعة الله تعالىٰ

(١) البقرة (١٢٥).

وما تعرّض له من امتحانات صعبة، تجلّت من خلالها قوّته وصلابته في توحيد الله، فنرىٰ كيف انّه يمتثل الأمر الإلٰهي بكلّ تسليم، وخضوع مطلق لارادة الله تعالىٰ، فهو الّذي خرج بزوجته ووحيده إلىٰ واد غير ذي زرع، لاماء فيه ولا طعام، ولا انس يواسي أو يساعد، ولم يكن تسليمه اكثر حيرة من تسليم زوجته هاجر، الّتي اعتبرت أنّ هذا مادام من الله، فعليه توكّلنا وهذا يكشف عن إيمان راسخ، وتربية عالية.

ولا يخفىٰ علىٰ أحد مايحتويه هذا الأمر من الصعوبة، بعد الأخذ بعين الاعتبار. تقدّم إبراهيم في السنّ، وكون وليده الوحيد طفلاً، فالوالد في هذا العمر اكثر ما يكون متعلّقاً بولده الّذي يعتبره العون والسند في دفع غوائل الأيّام.

ولكن مادام ذلك مايريده الله، فقد استدار راجعاً دون أن يلتفت.

وبعد هذا يأتي الامتحان الآخر، وهو مارآه في المنام من ذبح لولده الّذي لم يتردّد لحظة في تنفيذ ذلك، خصوصاً مع المواقف المشجية الّتي تجلّت في إسماعيل بعد أن صار محلاً للاعتماد، ويمكنه أن يسد الحاجات، ومع ذلك عندما يصارحه والده بالأمر، فإنّه يسلّم تسليماً منقطع النظير.

فمن هذه الامتحانات الناجحة، الّتي خرج منها إبراهيم وولده، وكذا زوجته كما سيتبيّن لنا فيما بعد، والشدّة والمعاناة، جاءت الجائزة الكبرىٰ العاجلة، والمكافأة المعنويّة علىٰ هذا التسليم، أن اقترن اسمهما بمناسك الحجّ، فكانا البانيين بأمر الله تعالىٰ، وكان إبراهيم عليه‌السلام هو من أذن في النّاس بالحجّ، وإذا بالصخرة (المقام) تذوب تحت قدميه، فيصير محلّها مصلّىٰ عبر الأجيال، وإذا بالأجيال مأمورة أن تلبّي ذلك النداء التوحيدي المخلص، فتفد لحجّ البيت.

دروس من هجرة إبراهيم عليه السلام:

فهجرة إبراهيم عليه السلام تحتوي جملة من الدروس المعنويّة والتربويّة فمنها:

أوّلاً: عندما هجر بيت الأوثان، وعابديها، وواجه ذلك بصلابة عوّضه الله تعالىٰ ببناء بيت التوحيد العظيم، وبخروجه من أهله وابيه (آزر) جعله الله اباً لكلّ الموحّدين في العالم.

ثانياً: أنّ تسليمه ورضاه بقضاء الله تعالىٰ وقدره، وهو ما يقتضيه الإيمان الكامل، وما يحتويه من اذعان بالعبوديّة لله سبحانه، وانّه تجب اطاعته بكلّ ما يأمر به، وهو الحكيم الرحيم الّذي لا يأمر إلّا بما فيه المصلحة والفضيلة، ولاينهى إلّا عمّا فيه المفسدة والرذيلة، فإنّ نتيجة هذا التسليم والامتثال هي السعادة في الدنيا والآخرة وهو مايقوي ويفعّل عامل الانصياع والتحرّك، لأنّ مايجنيه العبد من امتثاله في الدنيا الحاضرة، ومستقبلاً في الآخرة، أعظم وأكبر من كلّ صعوبة تواجهه، وانّ السلبيات المترتّبة علىٰ مخالفة تعاليم الله أخطر من أي صعوبة تواجه المكلّف في استقامته.

ويؤكّد هذا الأمر، الأُسس العامّة والقواعد الثابتة في طبيعة الحياة الّتي لايمكن مواجهتها، بقطع النظر عن الأحكام الشرعيّة، وهي أنّ الأهداف الكبيرة في الحياة لاتدرك إلّا بالتعب والتحمّل، فطالب العلم لايحصل علىٰ النجاح إلّا بالسّهر والصبر علىٰ المشقّة، وطالب المال لن يصل إلىٰ الثراء المنشود إلّا باتعاب الفكر والجسم.

هذا مع الفارق بين الأهداف الدنيويّة الّتي قد تتخلّف لعلّة وأخرىٰ، وبين

الأهداف الالٰهيّة السامية الّتي هي مضمونة التحقق، مكفولة الأثر[١].

ثالثاً: التوكّل الواعي علىٰ الله تعالىٰ، بحيث يهيء المكلّف الأسباب العادية، ويترك الأمر إلىٰ الله تعالىٰ، فإن شاء وفّق للهدف، وإن شاء لم يوفّق، علىٰ قاعدة «ولعلّ الّذي أبطأ عني هو خير لي»، نعم يبقىٰ الهدف المؤجل الذي رتبه الله تعالىٰ علىٰ توكّل المؤمن، فهو مضمون له يوم الجزاء، تماماً كما ترك إبراهيم أهله في ذلك الوادي، وكما فعلت هاجر في سعيها[٢].

رابعاً: أنّ نور الإيمان، وعدم القنوط واليأس، والثقة القوية برحمة الله، وانّه لايكلّف نفساً إلّا وسعها، وهذا مقتضىٰ عدالته وحكمته، وانّه لايترك عباده يواجهون الصراع وفيهم هذا النور الساطع إلّا ويمدّ لهم يد العون، فيصير المطرود لعقيدته بالله الراسخة، بدل أن يواجه الوحدة والهزيمة، عزيزاً وابا للمؤمنين، ويُصبح الطفل وامّه اساساً لمجتمع متكامل وهو ما حصل من سنن الله تعالىٰ.

---

(١) راجع حسن طراد، فلسفة الحج، ص١٥٦.

(٢) راجع حسن طراد، فلسفة الحج، ص١٥٧.

المبحث الخامس:

ماذا نستوحي من السعي والتقصير؟

قال الله تعالىٰ في كتابه الكريم:

﴿إنّ الصفا والمروة من شعائر الله فمن حجّ البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطّوّف بهما ومن تطوّع خيراً فإنّ الله شاكر عليم﴾[١].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله لرجل من الأنصار: إذا سعيت بين الصفا والمروة، كان لك عند الله اجر من حجّ ماشياً من بلاده، ومثل اجر من اعتق سبعين رقبة مؤمنة»[٢].

«السعي بين الصفا والمروة، في فناء البيت، يضاهي تردّد العبد بفناء دار الملك جائياً وذاهباً، مرّة بعد أُخرىٰ، اظهاراً للخلوص في الخدمة، ورجاءً للملاحظة بعين الرحمة، وليتذكّر في تردّده، التردّد بين الكفّتين، ناظراً إلىٰ الرجحان والنقصان، مردّداً بين العذاب والغفران»[٣].

وفي سؤال الإمام زين العابدين عليه السلام للشبلي.

«أسعيت بين الصفا والمروة، ومشيت وتردّدت بينهما؟» قال: نعم. قال

---

(١) البقرة (١٥٨).

(٢) احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ج ١، ص ٦٥، محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١٣، ص ٤٧١، ب ١، ح ١٥.

(٣) محمد مهدي النراقي، جامع السعادات، ج ٣، ص ٣٩٢.

له: «نويتَ انّك بين الرجاء والخوف؟» قال: لا. قال: «فما سعيت، ولا مشيت، ولا تردّدت بين الصفا والمروة»[١].

وقبل أن نبحث في المناسبة التاريخيّة لهذا العمل، لابدّ من وقـفة تأمّـل واستخلاص للعبر، من خلال دراسة للنصوص الّتي قـدّمنا ذكـرها، فـنجد أنّ القرآن الكريم يعتبرها من شعائر الله تعالىٰ، ونسبها إلىٰ نفسه تعالىٰ، فمن عمل علىٰ وفق هذه الشعيرة، فإنّ الله شاكر عليم، لذا كان للساعي هذا الأجر الجزيل من الباري تعالىٰ، سواء كان ذلك من خلال ما يعطيه من ثواب الحج، أو ما يكتبه من الاعتاق.

ولعلّ أوّل درس يمكن استخلاصه من هذه الشعيرة، هو التسليم لأمر الله واطاعة أمره، مع ما في ذلك من الانقياد لأوامره، والرضا بما يريد، وهذا بحدّ ذاته من أعظم الأُمور الّتي ينبغي أن نتربىٰ عليها.

ولتسليط الضوء علىٰ العبر الأُخرىٰ، وما يثيره الإمام السجّاد عليه السلام حول هذه العمليّة، وانّها مع ما تحتويه من التسليم والانقياد لأمـر الله، فـإنّها ليست حركة لَغويّة لاطائل من ورائها، أو فعلاً جسدياً يجمد عنده الفكر، بل هي سير يواكبه الفكر، وتحفّه التأمّلات، ليقف الإنسان من خلاله، ويستحضر في ذهابه وايّابه انّه متردّد بين الخوف من عدل الله تعالىٰ ـ إذ لو عاملنا بـعدله لهـلكنا ـ ورجاء رحمته وكرمه الّذي نرجو من ورائه النجاة من أوزارنا.

ولعلّ ماأشار إليه العلّامة النراقي فيما نقلناه عنه، إنّما يشير إلىٰ هذا المعنىٰ المستوحى من أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) الميرزا حسين نوري، مستدرك الوسائل، ج ١٠، ص ١٦٩.

والدرس الّذي ينبغي استلهامه لايختصّ فقط بحالة السعي، وإنّما هو عام يشمل كلّ مسيرتنا الوجوديّة، حيث انّنا كادحين إلىٰ ربّنا كدحاً، مع الجدّ والاجتهاد، فلاينبغي أن تكون هذه الحركة خالية من التأمّل والتفكّر، وعارية عن استحضار هذا الأمر المهم، وهو التردّد بين الخوف والرجاء.

فإذا لم نستحضر ذلك خلال سعينا للوصول إلىٰ الكمال، سوف نكون من العيون العمياء الّتي لاترىٰ الله عليها بصيراً، إذ سوف تكون حركتنا خارجة عن دائرة التردّد، وبالتالي سوف تصبح جوفاء لا خير فيها، بل هي هباء منثور.

المناسبة التاريخية للسعي:

عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنّ إبراهيم لمّا خلف إسماعيل بمكّة عطش الصبي، وكان فيما بين الصفا والمروة شجر، فخرجت امّه حتىٰ قامت علىٰ الصفا، فقالت: هل بالوادي من انيس؟ فلم يجبها أحد، فمضت حتّىٰ انتهت إلىٰ المروة، فقالت: هل بالوادي من انيس؟ فلم تُجَب، ثمّ رجعت إلىٰ الصفا، فقالت كذلك، حتىٰ صنعت ذلك سبعاً، فأجرىٰ الله ذلك سنّة..[١]..

وعن أبي عبدالله عليه السلام عرض له ابليس، فأمر(ه) جبرائيل عليه السلام فشدّ عليه فهرب منه. فجرت به السنّة»[٢].

ومن الواضح أنّ الجمع ممكن في المقام بين الروايتين، إذ إنّ كلا الأمرين قد وقعا فعلاً علىٰ ماتذكره الروايات، كما انّه يمكن أن يكون المراد من الرواية الّتي تذكر سعي إبراهيم عليه السلام المنطقة الّتي يستحب فيها الهرولة، وهي تنسجم مع

---

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١٣، ص ٤٧٠، ب ١، السعي، ح ١٠.

(٢) م. س. ح ١١.

عبارة (شدّ عليه) الّتي يستفاد منها الإسراع، ويزيد هذا التوجيه تأكيداً، مافي الروايات وكتب المناسك من أنّ الهرولة واسراع الخطىٰ بين المنارتين في السعي مستحب للرجال دون النساء.

وبالعودة إلىٰ الرواية الأُولىٰ، بالإضافة لما في غيرها من التفصيل، نجد جملة من الدروس والعبر الّتي ينبغي أن يتأدّب بها الإنسان المؤمن، فتكون منطلقاً لبقيّة المجتمع.

فإنّنا عند ما نقف بين يدي هذه الزوجة الواعية، اعني بها هاجر والدة إسماعيل عليه السلام، نتلمّس خطوات واضحة للتوكّل علىٰ الله جلّ وعلا، فإنّها عندما تركت في ذلك الوادي وهمّ إبراهيم عليه السلام بالانصراف، وجّهت سؤالاً، علىٰ ما ينقل في كتب التأريخ، عن سبب تركها مع وليدها في هذا الوادي، فأجابها إبراهيم عليه السلام أنّ ذلك بأمر من الله تعالىٰ:

«الّذي أمرني أن اضعكم في هذا المكان هو يكفيكم...»[(١)] «ثمّ قالت له: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، فقالت إذا لا يضيعنا...»[(٢)].

وهذا إنّما يدلّك علىٰ كمال فيها، وعدم اعتراض علىٰ نبي الله جلّ وعلا، مع ما يحيط بها من ظروف موضوعيّة قد تشل تفكير كلّ ذي لب، ولكنّها مع ذلك سلّمت أمرها لله جلّ وعلا.

ثمّ بعد أن فارقها إبراهيم عليه السلام، ونفد ماعندها من الماء والطعام، بدأ وليدها يتلوّىٰ ويصرخ، وهنا نستنتج درساً مهمّاً في كيفيّة التوكّل، إذ انّها لم تجلس

(١) راجع نعمةالله الجزائري، قصص الأنبياء، ص ١٨٥.

(٢) عبد الصاحب الحسني، الأنبياء، ص ١٠٧.

بجنب ولدها تدعو الله أن يرزقها، مع أنّ أوّل ما يتبادر إلىٰ الذهن هو هذا، خصوصاً مع حالة ضعفها وانكسار خاطرها، فهي لم تقل أنّ من ارادنا هٰهنا هو يتكفّلنا دون أن نسعىٰ نحو طريق للخلاص، بل سطّرت اروع معاني التوكّل، فقامت لتقف عند أقرب مرتفع يليها (علىٰ الصفا)، باحثة عن ماء يسكن عطشها وعطش وليدها، ثمّ هبطت الوادي متّجهة نحو المروة، حتّىٰ ارتفع بها المقام، ولٰكنّها لم توفّق لشيء، ومع ذلك لم يدب فيها اليأس، ولم تقنط من روح الله، ولم تتوانىٰ في السعي بل اعادت الكرّة مرّات سبع، وهي تضمر كلّ معاني الرجاء والتوكّل علىٰ الله.

وفي هذه الأثناء، وهي عند المروة، إذا بها تلاحظ هدوء ولدها، فذهبت متّجهة نحوه، وإذا بها ترىٰ أنّ الماء قد جرىٰ من تحت قدميه.

ومن هذه القصة نقف عند جملة من المطالب التربويّة الهامّة وهي:

اوّلاً: الاعتبار من غربة هذه المرأة ووحدتها، وتسليمها المطلق لله تعالىٰ، وهذا المطلب، لابدّ أن يستحضره كلّ مكلّف، وهو يؤدّي هذا الواجب من واجبات العمرة الّذي اوجبه الله تأكيداً علىٰ اخلاص أَمَة من إمائه.

ثانياً: ملاحظة المعنىٰ المطلوب من التوكّل، الّذي يقترن بالسعي الحثيث مع الامكانيّات المتوفّرة، بقطع النظر عن النتيجة، لأنّ الله تعالىٰ، عندما يرىٰ فينا هذه الخصوصية، فإنّه سوف يهدينا إلىٰ مافيه الخير والصلاح ﴿والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وانّ الله لمع المحسنين﴾[1].

ثالثاً: عدم القنوط من رحمة الله تعالىٰ، ويتجلّىٰ ذلك من خلال تكرارها

(١) العنكبوت (٦٩).

السعي بين الصفا والمروة، لعلّ الله يفتح عليها في المرّات التالية، ولم تكتفِ بقطع المسافة مرّة واحدة، لتجلس بعد ذلك مهمومة يائسة.

رابعاً: أنّ الله تعالىٰ، عندما يرىٰ الإصرار والتسليم والتوكّل وعدم اليأس من رحمته، فإنّه يهدي إلىٰ سبيل النجاة، وليس الشرط أن يكون ذلك من حيث يحتسب الإنسان، بل من حيث يريد الله تعالىٰ، ولذلك نجد أنّ تكرار العمليّة من هاجر، كانت نتيجته مكافأة الٰهيّة، ولكن ليس من حيث كانت تحتسب، وإنّما من حيث يريد الله تعالىٰ، فنبع الماء من تحت قدمي الطفل بواسطة الملك، ذلك الماء الّذي هو افضل ماء علىٰ وجه البسيطة، وليس هذا فحسب، بل صار سبباً لتدفّق بعض القبائل إليهم، وحمايتهم وانسهم.

خامساً: أنّ صبر الإنسان علىٰ الشدائد، وتحمّله للمشاق والمتاعب أن كان بعين الله، واحتساباً ورجاء لنيل رضاه وثوابه، يجعل الإنسان في محطّ العطايا الإلٰهيّة، والعنايات الربّانيّة، كما حصل لهذه المرأة الّتي حفّت بالعناية الإلٰهيّة فوهبت البشرية عن طريقها، ذلك الماء الّذي صار سبباً لاجتماع النّاس حولها، وعنايتهم بها وبابنها، وهو الماء الّذي مدحه الأنبياء وأهل البيت عليهم السلام وتهاداه الحجيج عبر العصور.

واوجب الله تعالىٰ في الشريعة السمحاء علىٰ حجّاج بيته الحرام أن يسعوا كما سعت تلك المرأة وبنفس العدد من الأشواط، تخليداً لها ولسعيها المحمود.

التقصير:

بقي الكلام عن آخر واجبات عمرة التمتّع، وهو التقصير، الّذي يجب بعد

اتمام السعي، والمراد منه قصّ شيء من شعر الرأس أو الظفر...[١].

ولم نظفر في الروايات والاخبار عن تفاصيل ذلك العمل، إلّا مايفهم من رمزيّة هذا العمل لزوال درن الذنوب ودنس الخطايا من روحه ونفسه[٢].

كما يرمز إلىٰ قطع الحرص والجشع وتقصير الأمل، لأنّ الأظافر تـفسّر بالحرص والجشع من الإنسان، والشعر يرمز إلىٰ الزوائد والفضول الدنيويّة.

فالتقصير من الأظافر يرمز إلىٰ قطع الحرص والجشع، وقصّ الشعر يرمز إلىٰ نبذ الآمال الطويلة، وترك فضول الحياة[٣].

وعلىٰ هذا نستلهم أن علىٰ الإنسان كما تعامل مع هذه الزوائد، الّتي تشير إلىٰ زخارف الدنيا ومتاعها الزائل الذي سيتركه في آن مـن الآنـات، فكـذلك يجب عليه أن يتعاطىٰ مع زخارف هذه الدنيا تعاطيه مع هذه المظاهر، بحيث لا تميله ولا تستهويه، وإنّما هي وسائل يستخدمها في طاعة الله تعالىٰ، لاتـلوثه ولاتغريه ولاتسقطه في مهالكها.

---

(١) راجع علي الخامنئي، مناسك الحجّ، ص١٠٩.

(٢) راجع حسن طراد، فلسفة الحجّ، ص١٧٦.

(٣) حسين الفالي، بيان القرآن والعترة في أسرار الحج والعمرة، ص١٤٥.

نتيجة الفصل الثاني:

تشكل العمرة أحد جزئي عبادة الحج، وبـالتالي فـهي فـرع مـن تـلك المدرسة التربويّة الإلهيّة، بما تحويه من ابعاد ومضامين.

فهي انقلاب ذاتي علىٰ الهوىٰ والنفس الأمارة، وحملة بلا هوادة لنبذ كلّ العلائق الرديئة، تمهيداً لاحلال حاكمية الله علىٰ مـملكة الفـرد، ومـن ورائـه المجتمع عبر عهود لفظية، يترجمها المكلّف عملياً اثناء تطبيقه لمناسك العمرة، فهو يبدأ بالتلبية، بعد أن يتخلّىٰ عن كثير من العلائق المادية، ثمّ يسعىٰ لتـطهير الجسد مقدّمة لصفاء الباطن، ثمّ ينطلق نحو الترجمة العملية لما عاهد الله عليه، وهو يستحضر في كلّ ذلك باقة فوّاحة من المواقف الخالدة لعباد خالدين، كان لهم قصب السبق في مضمار السعي نحو التخلص من تبعات الشياطين واذنابهم، ليحلوا في ذواتهم نور الحق تعالىٰ، فتصبح قلوبهم عروشاً لوحدانيّته.

فتصبح تلبيته، خلاصة فكرية فلسفية سياسية توحيديّة، وطوافه اقـتراباً من المبدأ وطرداً للشوائب، وإذعاناً بوحدة المحور والوجود، وسعيه توكّلاً علىٰ الله، وتعلّقاً بحضرته، واعترافاً بالعجز والحاجة والفقر، واذلالاً لما تختلقه النفس الامّارة من أنانية هي في الحقيقة محض وهم، لا يساوي إذا ما ابتعد عن الله أي شيء، ويختم ذلك بالتقصير الّذي يمثل عملية التطهير للظاهر والباطن، وإعلان الجهورية للحضور في كلّ مواطن الحق، قطعاً للطريق أمام قطعان الضلال.

الفصل الثالث:

الأبعاد التربوية لأعمال

حج التمتع

وفيه:

المبحث الأوّل: الإحرام مقدّمة الهجرة إلىٰ عرفات

المبحث الثاني: علىٰ أعتاب الحرم في المزدلفة

المبحث الثالث: في آفاق منىٰ

المبحث الرابع: زيارة البيت آفاق وآثار

تمهيد:

بعدما أحلّ الإنسان من عمرة التمتّع، واستشعر خلال ادائه لواجباتها لذّة القرب من ساحة الله بتردّده في فناء البيت، ودورانه حول المحور، واعلانه الخروج عن كلّ ما من شأنه أن يعكر صفو الوصال، بحيث صار سعيه بين خوف التقصير ورجاء الثواب والرحمة ثمّ قصر معلنا الاستعداد للتضحية والفداء، والخروج من كلّ زخارف الدنيا واوساخها واقذارها عندما حاول التقصير من اظفاره وشعره، عند ذلك صار لابدّ من تأكيد تلك المضامين، والاستعداد من جديد للخروج من علائق هذه الدنيا، حيث يعلن مجدّداً خروجه الآني من حرم الله وامنه ليصلح نفسه ويؤهّلها ويعدّها لتكون اهلاً للفيض، ومحلاً للرحمة، ومحطّاً للرضا الإلٰهي. فيبدأ دورته الثانية في أعمال الحجّ ابتداء من الإحرام، ليتذوّق الم الفراق والبعد عن البيت، حتّىٰ يكون في طريق عوده مستعدّاً للقاء الحبيب، وهذا ما سوف نحاول اثارته انطلاقاً من الإحرام للحجّ، مروراً بالوقوف في ساحة عرفة وانتهاءً بالمبيت في منىٰ وزيارة البيت.

المبحث الأوّل:

الإحرام مقدّمة الهجرة إلىٰ عرفات

إذا أراد الإنسان أن يبدأ أعمال الحجّ، فإنّ أوّل الواجبات الّتي لابدّ منها هو أن يحرم مجدّداً بنيّة الحجّ، ولابدّ قبل ذلك من مقدّمات يستحبّ للإنسان أن يقوم بها.

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا كان يوم التروية إن شاء الله فاغتسل، ثمّ البس ثوبيك، وادخل المسجد حافياً، وعليك السكينة والوقار، ثمّ صلّ ركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام أو في الحجر، ثمّ اقعد حتّىٰ تزول الشمس فصلّ المكتوبة، ثمّ قل في دبر صلاتك كما قلت حين أحرمت من الشجرة، واحرم بالحجّ وعليك السكينة والوقار... فارفع صوتك بالتلبية حتّىٰ تأتي منىٰ»[١].

فيستحبّ للإنسان أن يغتسل للإحرام ودخول الحرم أيضاً، كما يستحبّ أن يكون إحرامه من الحرم، وأن يكون الإحرام بعد صلاة[٢].

ولا يختلف إحرام الحجّ عن إحرام العمرة في الشرائط والكيفيّة وتروك الإحرام وفي احكامه وكفّاراته إلّا في النيّة، فينوي الإتيان بأعمال الحجّ[٣].

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١٣، ص ٥١٩، ب ١، إحرام الحجّ، ح ١.
(٢) راجع السيد علي الخامنئي، مناسك الحجّ، ص ١١٥ ـ ١١٦.
(٣) م. س.

فما تقدّم الحديث عنه هناك عند الكلام عن إحرام العمرة، ينطبق علىٰ إحرام الحجّ، وانّه لابدّ أن يكون الغسل والتنظّف مقترناً بنوع آخر من التنظّفِ وهو تطهير الباطن بالتوبة. وعند لبس ثوبي الإحرام، مامرّ من أنّ الغاية هي الستر والعفاف، وهو يتحصّل بادنىٰ المراتب ولا داعي للخوض في غمار زينة الدنيا، وما يتذكّره من ادراجه في اكفانه وهو يرتدي ثوبيه، ثمّ الإحرام الّذي يستحضر فيه انّه يحرم علىٰ نفسه كلّ ما حرّمه الله، وانّه عندما يعقد نيّته، يكون قد تحلّل من كلّ عقد وتبعيّة لغير الله، تماماً كما تقدَّم في بداية الفصل الثاني من البحث.

تبقىٰ الإشارة إلىٰ أمر لم نتعرّض له في إحرام العمرة، وهو محرّمات الإحرام، وهي امور في اغلبها ـ ما عدا محرّمات الحرم ـ مباحة بالاصل. ولكن المكلّف ملزم أن يجتنبها في حالة الإحرام وهي في حدود (٢٤) أمراً، يجمعها في الغالب كونها من متاع الدنيا الّتي يريد المحرم أن يتخلّص من حبائلها ليكون كلّه خالصاً مستعدّاً لتلقّي الدروس المعنويّة الّتي بها يرتقي، وكأنّه يقول: «كما اتخلّىٰ عن هذه الأمور الّتي هي مباحة بملء إرادتي، وسعياً لمرضاة ربّي، فأنا كذلك أسعىٰ فيما يستقبل من أيّامي أن لا ابتلىٰ بما يسخط ربّي من المحرّمات، أو ما يحجبني من المكروهات» وهذا بحد ذاته درس تربوي في غاية الأهميّة للفرد وللمجتمع علىٰ حدّ سواء، وهو أنّ الإنسان يمتلك ارادة فولاذية يستطيع من خلالها أن يذلّل كلّ صعب، هذه الإرادة تمكّنه لو أراد، من أن يقلع عن كثير من الأُمور المباحة لفترة من الوقت، بل وربّما بشكل نهائي، وهذا أكبر دليل علىٰ انّه لو انصاع لعقله وفطرته، فإنّه سوف يكون ملتزماً بكلّ الأوامر والنواهي الإلٰهيّة، وهذا درس تعلّمناه في مدرسة مولىٰ المتّقين عليه السلام (ان استعصت عليه نفسه فيما تكره، لم يعطها سؤلها فيما تحب) وهذا نوع من الرياضات لتذليل

العسير، وتسهيل أمر الطاعة.

فوارق بين إحرامي العمرة والحج:

قبل أن ننتقل إلىٰ الواجب الثاني من أعمال الحجّ، لابدّ أن نقف قليلاً. ونحاول استحضار الفوارق بين إحرام عمرة التمتّع وإحرام الحجّ، خصوصاً انّه وبحسب الاستقراء والبحث الناقصين، لم نجد من خاض هذا الغمار، سيّما مع عدم وجود روايات حول هذا الموضوع، فنجد:

أوّلاً: أنّ إحرام العمرة، كان سبباً مباشراً لامكانيّة دخول الحرم، فيحرم الإنسان، ثمّ يتوجّه نحو البيت الحرام، بينما نجد أنّ إحرام الحجّ، وإن كان يتمّ في داخل مكّة المكرّمة، ويستحبّ أن يكون من داخل البيت، ومن خلف المقام بالتحديد، إلّا أنّ هذا الإحرام يدفع بالمحرم للخروج من الحرم نحو صحراء عرفة.

ثانياً: أنّ ما ينتج من خلال التدقيق هو أنّ إحرام العمرة، وإن كان يخوّل المحرم دخول الحرم الآمن، وما يستتبعه من شرف الطواف والتشبّه بالملائكة، والصلاة والسعي، إلّا انّه لايتضمّن أي اشارة لتحقق القرب الواقعي والتخلّص من ادران الذنوب والخطايا، بخلاف ما يتضمّنه إحرام الحجّ، فإنّه وإن كان يستلزم الخروج من الحرم وجوار البيت، إلّا أنّ فيه وعداً إلٰهيّاً بالمغفرة والتوبة، ليكون الإنسان اهلاً للمجاورة، وافساحاً في المجال ليكون وليّاً من الأولياء، وهذا ليس تبرعياً وإنّما نفهمه من قصّة آدم عليه السلام.

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالىٰ، لمّا اراد أن يتوب علىٰ آدم، ارسل إليه جبرائيل... ثمّ انطلق به إلىٰ عرفات، فأقامه علىٰ المعرَّف، فقال:

إذا غربت الشمس فاعترف بذنبك سبع مرّات...[١].

وكذا ما سيأتي بعد ذلك من الروايات والاخبار.

ثالثاً: أنّ عمرة التمتّع تفسح المجال للمحرم أن يحصّل لذّة القرب من البيت والطواف حوله، ومناجاة ربّ البيت، بينما يكون إحرام الحجّ سبباً للبعد وما يستتبعه من تنغيص العيش، وحرقة البعد، وهو بعد تربوي جذّاب، إذ إنّ فيه حرماناً من القرب، والمناجاة الّتي سبق وإن أدرك حقيقتها اثناء العمرة، فتكون نيّته واعماله وسعيه للعود إليه بعد التخلّص من علائق الذنوب والمعاصي آكد. والجهد لتخليص النفس مضاعفاً، وهو عين مايجب أن يحافظ عليه بعد انتهاء اعماله وعوده إلىٰ حياته الطبيعيّة، ومـاينبغي أن يلاحظه في كلّ حركاته وسكناته.

ويمكن للإنسان أن يلاحظ اموراً أخرىٰ تركنا الخوض فيها، لكي لانخل بمقدّميّة الإحرام لأعمال عرفة.

الوقوف بعرفة:

والوقوف بعرفة يوم التاسع من ذي الحجّة يعتبر الواجب الثاني، من واجبات حجّ التمتّع، وهو من اهمّ أعمال الحجّ، حيث يجب فيها البقاء من زوال الشمس حتّىٰ غروبها. وهذا الوقوف عبادة تجب فيه النيّة، ويراد به مطلق

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١١، ص ٢٢٧، ب ٢، اقسام الحجّ، ح ٢١، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٤، ص ١٩١، ح ٢، حجّ الأنبياء والائمّة، ص ١٣ (بتفاوت يسير).

الحضور[١].

واختلف في سبب تسميتها بعرفات. قيل سميت بذلك لما روي أنّ جبرائيل عمد بابراهيم عليه السلام إلىٰ عرفات، فقال: هذه عرفات، فاعرف بها مناسكك واعترف بذنبك فسميت عرفات[٢].

(و) قيل لأنّ إبراهيم عليه السلام عرفها بما تقدّم له من النعت بها والوصف: روي ذلك عن علي وابن عبّاس.

وقيل: انّها سمّيت بذلك لأنّ آدم وحوّاء اجتمعا فيها فتعارفا بعد أن كانا افترقا (عن الضحّاك، والسدي) ورواه اصحابنا أيضاً.

وقيل: سمّيت بذلك لعلوّها وارتفاعها ومنه عرف الديك.

وقيل: سمّيت بذلك لأنّ إبراهيم عليه السلام كان يريه جبرائيل المناسك فيقول عرفت، عرفت (عن عطاء).

وروي عن ابن عبّاس أنّ إبراهيم رأىٰ في المنام انّه يذبح ابنه فاصبح يروّي يومه اجمع، أي يفكّر أهو من أمر الله أم لا، فسمّي بذلك يوم التروية، ثمّ رأىٰ في الليلة الثانية، فلمّا اصبح عرف انّه من الله فسمّي يوم عرفة وروي أنّ جبرائيل قال لآدم هناك: اعترف بذنبك. واعرف مناسكك فقال ﴿ربّنا ظلمنا أنفسنا...﴾[٣].

---

(١) راجع السيد علي خامنئي، مناسك الحجّ، ص١١٨.

(٢) راجع فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، ج٣، ص ١٦٠.

(٣) علي الافتخاري الگلپايگاني، الحج والعمرة ومعرفة الحرمين الشريفين، ص١٢٨.

كما أنّ هنالك مناسبة أُخرىٰ لعرفة، وهي اعتراف آدم بذنبه فيها[١].

امّا المعنىٰ الّذي اراده الإمام زين العابدين عليه السلام من الشبلي).

(ثمّ) قال له (الإمام عليه السلام): أوقفت الوقفة بعرفة، وطلعت جبل الرحمة، وعرفت وادي نمرة، ودعوت الله سبحانه عند الميل والجمرات؟» قال: نعم.

قال: «هل عرفت بموقفك بعرفة معرفة الله سبحانه وأمر المعارف والعلوم، وعرفت قبض الله علىٰ صحيفتك، واطلاعه علىٰ سريرتك وقلبك؟» قال: لا. قال: «نويت بطلوعك جبل الرحمة، أنّ الله يرحم كلّ مؤمن ومؤمنة، ويتولّىٰ كلّ مسلم ومسلمة؟» قال: لا. قال: فنويت عند نمره أنّك لاتأمر حتّىٰ تأتمر، ولا تزجر حتّىٰ تنزجر؟» قال: لا. قال: «فما وقفت بعرفة، ولا طلعت جبل الرحمة، ولا عرفت نمرة، ولادعوت، ولا وقفت عند النمرات»[٢].

ومن الواضح أنّ المراد من وقوف الإنسان المُحرم في هذه البقعة، هو الوصول إلىٰ عدّة امور، منها الاعتقاد السليم بالوحدانيّة لله، والتسليم بالمعاد ويوم الحساب. ويوم عرفة علىٰ خلاف ماسبق من النسك، أوّل الأمكنة الّتي يتواجد فيها جميع الحجّاج في آن واحد، وبلباس واحد، وهدف واحد هو الخضوع لله والاعتراف بالتقصير والذنوب والندم والتوبة.

وهذه امور سوف نشير إلىٰ بعضها عند الحديث عن دعاء عرفة للامام الحسين عليه السلام. وقد مرّ معنا أنّ أعمال الحجّ من جملة ما تشير إليه وتريد أن تزرعه في النفوس، هو الإشارة إلىٰ أهوال يوم القيامة، والمنظر في هذا اليوم

---

(١) راجع محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٤، ص ١٩١، ح ٢.

(٢) الميرزا حسين النوري، مستدرك الوسائل، ج ١٠، ص ١٦٩.

خير محفّز ومذكر لذلك اليوم، إذ ﴿لكلّ امرئ منهم شأن يغنيه﴾[١] فالكل مدرج في اكفانه، يعيد حساباته، يستذكر ذنوبه مقرّاً معترفاً، آيباً تائباً... .

عن الإمام الصادق عليه السلام في الحديث: إذا وقفت بعرفات، فاحمد الله وهلّله ومجّده، واثن عليه، وكبّره مائة تكبيرة، واقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مائة مرّة، واجتهد فإنّه يوم دعاء ومسألة، وتعوّذ بالله من الشيطان، فإنّ الشيطان لن يذهلك في موطن قط أحب إليه من أن يذهلك في ذلك الموطن، وايّاك أن تشتغل بالنظر إلىٰ النّاس واقبِل قِبَل نفسك»[٢].

وعن القاسم بن الحسين النيسابوري قال: رأيت ابا جعفر عليه السلام عندما وقف بالموقف، مدّ يديه جميعاً، فمازالتا ممدودتين إلىٰ أن افاض فما رأيت احداً اقدر علىٰ ذلك منه»[٣].

وعن الرضا عليه السلام قال: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: ما من بر ولا فاجر يقف بجبال عرفات فيدعو الله إلّا استجاب الله له، أما البر ففي حوائج الدنيا والآخرة، وامّا الفاجر ففي أمر الدنيا»[٤].

فنفهم من خلال هذا أنّ افضل الأعمال في هذا اليوم هو خروج الإنسان نقيّاً، قد نفض عنه اوساخ الذنب والخطيئة فاعترف بين يدي ربّه وطلب المغفرة، وخصوصاً فيما يتذكّره، معدّداً ايّاه كما ورد في بعض الأخبار.

---

(١) عبس، (٣٧).

(٢) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١٣، ص ٥٣٨، ب ١٤، إحرام الحجّ، ح ١، علي الافتخاري الگلپايگاني، الحج والعمرة ومعرفة الحرمين الشريفين، ص ١٣١.

(٣) الميرزا حسين النوري، المستدرك، ج ١٠، ص ٢٤، ح ٢.

(٤) ميرزا حسين نوري، مستدرك الوسائل، ج ١٠، ص ٦٤، ح ٦.

ومن هنا نجد كيف أنّ أصحاب أهل البيت عليهم السلام، طـبّقوا تـعاليم ائـمّتهم وكانوا نماذج تحتذىٰ للسير والايثار والتضحية، وكيفيّة المعاملة مع الحقّ تعالىٰ.

عن إبراهيم بن هاشم قال: رأيت عبدالله بن جـندب بـالموقف، فـلم أر موقفاً كان أحسن من موقفه، مازال مادّاً يده إلىٰ السماء، ودموعه تسيل عـلىٰ خدّيه حتّىٰ تبلغ الأرض، فلمّا انصرف النّاس قلت: يا ابا محمّد، ما رأيت موقفاً قطّ أحسن من موقفك، قال: والله ما دعوت إلّا لاخواني، وذلك لأنّ ابا الحسن موسىٰ بن جعفر عليه السلام أخبرني انّه من دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش: ولك مائةالف ضعف مثله، فكرهت أن ادع مائة الف ضعف مضمونة لواحدة لا ادري تستجاب أم لا»[(١)].

ونظير هذا الأمر، ورد مكرّراً، في دعاء المؤمنين في تلك البقعة المباركة لأخوانهم خصوصاً من غاب عن الموقف، وهذا ما يرجع بنا إلىٰ دعاء الزهراء في صلاة ليلها للمؤمنين دون نفسها، معلّلة بأنّ الجار ثمّ الدار.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: عندما سئل: أي أهل عرفات أعظم جـرماً؟ ـ قال: المنصرف من عرفات وهو يظنّ أنّ الله لم يغفر له»[(٢)].

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سأل رجل أبي بعد منصرفه من الموقف، فقال: أترىٰ يخيب الله هذا الخلق كلّه؟ فقال ابي: ماوقف بهذا الموقف أحد إلّا غفر الله له، مؤمناً كان أو كافراً، إلّا انّهم في مغفرتهم علىٰ ثلاث منازل:

مؤمن غفر الله له ماتقدّم من ذنبه وما تأخّر واعتقه من النار وذلك قوله

---

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج١٣، ص٥٤٤، ب١٧، إحرام الحجّ، ح١.

(٢) راجع محمد بن الحسن الحر، الوسائل، ج١٣، ص٥٤٧، ب١٨، إحرام الحجّ، ح٢، الميرزا حسين النوري، المستدرك، ح١٠، ص٣١، ح٢.

عزّ وجلّ ﴿ربّنا آتنا في الدّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النّار * اولئك لهم نصيب ممّا كسبوا والله سريع الحساب﴾[١].

ومنهم من غفر الله له ماتقدّم من ذنبه، وقيل له: أحسن فيما بقي من عمرك، وذلك قوله عزّ وجلّ ﴿فمن تعجّل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخّر فلا اثم عليه﴾[٢] يعني: من مات قبل أن يمضي فلا اثم عليه، ومن تأخّر فلا اثم عليه ﴿لمن اتّقىٰ﴾ الكبائر وامّا العامّة فيقولون ﴿فمن تعجّل في يومين فلا اثم عليه﴾ يعني في النفر الأوّل ﴿ومن تأخّر فلا اثم عليه﴾ يعني ﴿لمن اتّقىٰ﴾ الصيد ـ أفترىٰ أنّ الصيد يحرّمه الله بعدما أحلّه في قوله عزّ وجلّ ﴿إذا حللتم فاصطادوا﴾[٣]. وفي تفسير العامّة معناه: وإذا حللتم، فاتّقوا الصيد.

وكافر وقف بهذا الموقف لزينة الحياة الدّنيا، غفر الله له ماتقدّم من ذنبه إن تاب من الشرك فيما بقي من عمره، وإن لم يتب وفّاه اجره ولم يحرمه اجر هذا الموقف، وذلك قوله عزّ وجلّ ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون * اولئك الّذين ليس لهم في الآخرة إلّا النّار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ماكانوا يعملون﴾[٤].

فما نفهمه من هذه الروايات، هو التأكيد علىٰ محبوبية الدعاء والاستغفار والاعتراف بالذنوب، ومحاولة تعدادها، ثمّ التوجّه إلىٰ الملك الديّان، سائلين ايّاه أن يغفرها، ويتجاوز عنّا بمنّه وكرمه، وأن يجعلنا من عتقائه من النّار.

---

(١) البقرة (٢٠١ ـ ٢٠٢).

(٢) م. س. آية (٢٠٣).

(٣) هود (١٥ ـ ١٦).

(٤) محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، ص٥٤٦، ج١٣، ب١٨، أبواب إحرام الحجّ، ح١.

في رحاب دعاء عرفة:

بقي أن نشير إلىٰ بعض الفقرات في دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام ومافيه من المضامين العالية، والاعتراف لله تعالىٰ، بعد الحمد والثناء، بالالوهيّة والتدبير والحكمة والعدل والرحمة والرأفة بالعباد، وتمجيده والاعتراف بالعبوديّة له.

«الحمد لله الّذي ليس لقضائه دافع ولا لعطائه مانع...»(١) ثمّ تعداد نعمه علينا بعد نعمة الوجود، مروراً بفطرة الإسلام، ثمّ الإذعان بعظيم آلائه.

«ابتدأتني بنعمتك قبل أن اكون شيئاً مذكوراً... لم تخرجني لرأفتك بي ولطفك لي واحسانك اليّ في دولة ائمّة الكفر... ومن قبل ذلك رؤفت بي بجميل صنعك، وسوابغ نعمك... وعطفت علي قلوب الحواضن... اتممت عليّ سوابغ الأنعام...»(٢).

كلّ ذلك، امعاناً في الحجّة، وتأكيداً للفطرة، وإرشاداً للهدف من الخلقة، وهذا من النعم الّتي لا يمكن للعبد أن يؤدّي شكرها.

«أوجبت عليّ حجّتك بأن الهمتني معرفتك... وأوجبت علي طاعتك وعبادتك وفهمتني ماجائت به رسلك، ويسّرت لي تقبّل مرضاتك...».

ومع كلّ تلك النعم، كنت بئس العبد لك، إذ قادني جهلي إلىٰ مايبعدني عنك.

«لم يمنعك جهلي وجرأتي عليك أن دللتني إلىٰ ما يقرّبني اليك ووفّقتني

(١) عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص٢٤٣.

(٢) م. س. ص ٢٤٤.

لما يزلفني لديك، فإن دعوتك اجبتني، وإن سألتك اعطيتني...»[١].

وهذه نعم يعجز اللسان، ويكلّ الجنان عن أن يحوط شكر نعمة من تلك النعم الّتي لا يحصيها العادون، سبحانك مبدئاً ومعيداً.

«فأي نعمك يا الهي أحصي عدداً وذكراً، أم أي عطاياك أقوم بها شكراً، وهي يارب أكثر من أن يحصيها العادّون»[٢]. **«أن لو حاولت واجتهدت مدىٰ الأعصار والأحقاب، لو عمرتها، أن اؤدّي شكر واحدة من نعمك ما استطعت ذلك إلّا بمنك الموجب عليّ به شكرك...»**[٣].

إلّا انّي يا الهي مؤمن باصول الدين الحنيف، من توحيدك وعدلك، ومصدق بانبيائك واوصيائك، وما بثّوه فينا من أمر المعاد والآخرة.

فبعد الثناء، والاعتراف بالذنوب، والتقصير علىٰ الشكر، والاقرار بالاصول، وأركان الإيمان، تبدأ مرحلة الدعاء والرجاء والتضرّع.

«اللهمّ اجعلني اخشاك كأنّي اراك ـ اللهمّ اجعل غناي في نفسي ـ واغفر لي خطيئتي واخسأ شيطاني...»[٤].

فكلّ التوفيق منك، وحدك لا شريك لك، ياذا المحامد كلّها، وانت الّذي سهلت لي كلّ ما أنا فيه، لذلك يا الهي جللني بعفوك، وابعدني عن غضبك ونقماتك بحقّ كلّ من له عندك حق اعطيته ايّاه.

---

(١) عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص ٢٤٤.

(٢) عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص ٢٤٥.

(٣) م. س. ص٢٤٦.

(٤) م. س. ص٢٤٦.

«فلك الحمد والشكر يا من اقال عثرتي ونفس كربتي، واجاب دعوتي وستر عورتي وغفر ذنوبي وبلّغني طلبتي ونصرني علىٰ عدوّي، وإن أعدّ نعمك ومننك، وكرائم منحك، لا احصيها يا مولاي، انت الّذي مننت، انت الّذي انعمت، انت الّذي احسنت انت الّذي اجملت، أنت الّذي افضلت...»(١).

وفي مقابل ذلك، اقف معترفاً بذنوبي وتقصيري، وافترائي علىٰ نفسي.

«انا يا الهي المعترف بذنوبي فاغفرها لي، أنا الّذي اسأت، أنا الّذي اخطأت، أنا الّذي هممت أنا الّذي جهلت، أنا الّذي غفلت...»(٢).

فانا الضعيف الذليل، الفقير المحتاج، الّذي لا اقوىٰ علىٰ تحمّل غضبك وسخطك، هذا الّذي لو اطّلع عليه اليوم غيرك لكنت أذل الأذلين، وانت الذي سترتني إذ لا مفرّ من الجحود والانكار، وانت الشاهد علىٰ كلّ ذلك.

وماذا يسعني إلّا التسبيح لآلائك ونعمك، بمن استعين واستجير إلّا بكرمك ورحمتك، فاسألك بكلّ اسمائك وصفاتك أن تتفضّل علي بالتوبة النصوح وتمحو عني كلّ أثر قبيح، وتبيض صفحتي كيوم اخرجتني إلىٰ هذه الدنيا، بحقّ نبيك واحب خلقك محمّد وآله الطاهرين، ووفقني لما به منجحي وخلاصي يا ارحم الراحمين.

هذا وفي الدعاء مضامين عالية، في اصول التوحيد والاعتقاد، وكيفيّة تقلب العبد بين يدي سيّده ومولاه، حامداً مهللاً ممجّداً مسبّحاً، معترفاً بالنعم مقرّاً بالذنب والتقصير، متوسّلاً بالانبياء والائمة والملائكة المقرّبين، سائلاً

---

(١) عبّاس القمي، مفاتيح الجنان، ص ٢٤٩.

(٢) عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص ٢٥٠.

المغفرة والعفو.

بقي في هذا المبحث أن نستخلص بعض الآداب التربويّة فنقول:

أوّلاً: أنّ في الوقوف بعرفات، عدّة حلقات، فأوّلها عرفات النفس وما تستوجبه من الاعتراف بالعجز والتقصير، والتعرف علىٰ اصول الدين واركانه مع ادلّتها القاطعة الراسخة في النفوس، وما تستوجبه من فروع العبادات والمعاملات، مكلّلة بالتقوىٰ، وثانيها عرفات الأسرة وما يجب عليه نحو افرادها، من الزوج أو الزوجة أو الأولاد أو الوالدين فيؤدّي لكلّ حقّه، وهذه الحلقة تجعله، يقف عند ثالثها، وهي عرفات المجتمع، وما يجب لكلّ فرد من هذه الأسرة الكبيرة علىٰ الآخر، ﴿إنّما المؤمنون اخوة﴾[1] وما يجب لوالد الأمة عليها «يا علي أنا وانت أبوا هذه الأمّة»[2].

ثانياً: إنّ صحراء عرفات، عبرة عمليّة لأهلها، وقد لبسوا اكفانهم خارجين من زخارف الدنيا، ليشهدوا بملئ الإرادة صورة مصغّرة لهول من اهوال يوم القيامة، حيث ينشغل كلّ امرئ بما جنَت يداه، وما اقترف من الأخطاء، فترتعد فرائصه من هذا المشهد، ويسعىٰ جادّاً للخلاص ممّا هو فيه، مع الأمل العظيم بالرحمة والمغفرة، وهذا الخوف هو درس تربوي يرافق الإنسان دائماً، ممّا يؤدّي إلىٰ التمسّك بحبال الدين.

ثالثاً: الانفتاح بين ابناء المجتمع الّذي يجمعهم هم واحد هو هم الخلاص من براثن الذنوب، ورجاء واحد هو الفوز بالقرب من الله فيتوحّد الهدف، وتتساقط أسباب التفرقة والشرذمة.

---

(١) الحجرات، (١٠).

(٢) راجع عبد علي العروسي الحويزي، نور الثقلين، ج ٤، ص٢٣٨.

رابعاً: والمفهوم المعنوي لعرفات، اوسع من أن يختصّ بزمان أو مكان، بل هي ساحة العمل الواعي في سبيل الوصول إلىٰ الهدف.

خامساً: إنّ ربط العبادة بزمان ومكان خاصين، يوم التاسع من الزوال إلىٰ المغرب، في هذه البقعة المشخّصة، هدفها تقوية روح العبوديّة والانقياد لارادة الله تعالىٰ مع الاعتقاد بحكمته تعالىٰ.

سادساً: الشعور بكون المؤمن ممثّلاً لاخوانه المؤمنين في كلّ مكان وزمان لذلك عليه أن يرجو لهم ويدعو لهم كما يدعو لنفسه، وهذا لو وفّقنا له في مجتمعنا، لكان خيراً عميماً، وبناء منيعاً.

سابعاً: التأكيد علىٰ المذهب الحق وضرورة نشره بالفعل، والسعي إلىٰ ذلك، حتّىٰ لو كان ذلك في يوم عرفة، بل لعلّه اوجب في هذا المؤتمر للمسلمين، ممّا يعني الحثّ علىٰ التبليغ الواعي في كلّ زمان ومكان.

عن عمرو بن أبي المقدام قال: رأيت ابا عبدالله عليه السلام يوم عرفة بالموقف وهو ينادي بأعلىٰ صوته: ايّها النّاس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان الإمام ثمّ كان علي بن أبي طالب ثمّ الحسن ثمّ الحسين ثمّ علي بن الحسين ثمّ محمّد بن عليّ عليه السلام ثمّ هه، فينادي ثلاث مرّات لمن بين يديه وعن يمينه وعن يساره ومن خلفه اثني عشر صوتاً، وقال عمرو: فلمّا اتيت منىٰ، سألت أصحاب العربية عن تفسير (هه) فقالوا: هه، لغة بني فلان: أنا فاسألوني، قال: ثمّ سألت غيرهم أيضاً من أصحاب العربية فقالوا مثل ذلك»[١].

ثامناً: العلّة من أداء الأعمال ماروي عن أمير المؤمنين عليه السلام حين سئل

---

(١) محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٤، ص٤٦٦، ح ١٠.

عن الوقوف بالجبل لِم لَم يكن في الحرم؟ (فـ)قال: لأنّ الكعبة بيته والحرم بابه، فلمّا قصدوه وافدين وقفهم بالباب يتضرّعون. قيل له: فالمشعر الحرام لم صار في الحرم؟ قال: لأنّه لما أذن لهم بالدخول وقفهم بالحجاب الثاني، فلمّا طال تضرّعهم بها أذن لهم لتقريب قربانهم. فلمّا قضوا تفثهم تطهّروا بها من الذنوب الّتي كانت حجاباً بينهم وبينه، أذن لهم بالزيارة على الطهارة...»[١].

(١) محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٤، ص ٢٢٤، ح ١.

المبحث الثاني:

علىٰ أعتاب الحرم (في المزدلفة)

قال تعالىٰ ﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾[١].

في تفسير الإمام عليه السلام ـ العسكري ـ: «قال الله تعالىٰ للحجّاج، إذا افضتم من عرفات، ومضيتم إلىٰ المزدلفة، فاذكروا الله عند المشعر الحرام بآلائه ونعمائه، والصلاة علىٰ سيّد أنبيائه، وعلىٰ علي سيّد اصفيائه، واذكروا الله كما هداكم لدينه، والإيمان برسوله، وإن كنتم من قبله لمن الضالين عن دينه، قبل أن يهديكم لدينه»[٢].

والافاضة، هي الاندفاع بكثرة[٣].

والمشعر الحرام هو جُمَعَ، وسمي بذلك لأنّ النّاس يجتمعون إليها[٤].

---

(١) البقرة (١٩٨).

(٢) الميرزا حسين النوري، المستدرك، ج ١٠، ص ٥٣، ح ٢.

(٣) محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ٢١٢، محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج ٥، ص ٧٢.

(٤) الخليل بن احمد الفراهيدي، العين، ج ١، ص ٢٤١، محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ج ٨، ص ٥٩، راجع إسماعيل بن حداد، تاج اللغة وصحاح العربية، ص ٦٦.

والمزدلفة، من الازدلاف وهو الاجتماع، لاجتماع النّاس بها(١).

وفي الحديث «المزدلفة، اسم فاعل من الازدلاف، وهو التقدّم، وهي موضع يتقدّم النّاس فيه إلىٰ منى(٢).

وقيل: لأنّه يتقرّب فيها إلىٰ الله، او، لمجيء النّاس إليها في زلف من الليل أو من الازدلاف: الاجتماع، لاجتماع النّاس فيها. او، لازدلاف آدم إلىٰ حواء واجتماعه معها، ولذا سمّي جمع. وفي الحديث: سمي المشعر الحرام مزدلفة، لأنّ جبرائيل قال لابراهيم عليه السلام بعرفات، يا إبراهيم، ازدلف إلىٰ المشعر الحرام، فسميت المزدلفة(٣).

وعن الصادق عليه السلام: ... وجدّد عهدك عند الله تعالىٰ بوحدانيّته وتقرّب إليه واتّقه بمزدلفة...(٤).

«وليتذكّر عند دخوله أنّ الله قد أذن له في دخول حرمه، فليتفاءل من دخول الحرم، بعد خروجه عنه، بأنّ الله سبحانه قرّبه إليه، وكساه خلع القبول، واجاره وآمنه من العذاب والبعد، وجعله من أهل الجنّة والقرب»(٥).

ولكي نقف علىٰ بعض المعاني والدروس في المزدلفة، نعود إلىٰ حواريّة الإمام السجّاد عليه السلام مع الشبلي.

---

(١) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ج٨، ص ٥٩.

(٢) الخليل بن احمد الفراهيدي، العين، ج ٧، ص٣٦٨، فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، ج ٢، ص٢٨٦.

(٣) فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، ج ٢، ص ٢٨٧.

(٤) السيد عبدالله شبّر، الأخلاق، ص ٧١.

(٥) محمد مهدي النراقي، جامع السعادات، ج ٣، ص ٣٩٢.

ثمّ قال عليه السلام: «مررت بين العلمين، وصليت قبل مرورك ركعتين، ومشيت بمزدلفة، ولقطت فيها الحصىٰ ومررت بالمشعر الحرام؟» قال: نعم.

قال: «فحين صلّيت ركعتين، نويت انّها صلاة شكر في ليلة عشر، تنفي كلّ عسر، وتيسر كلّ يسر؟» قال: لا. قال: «فعندما مشيت بين العلمين ولم تعدل عنهما يميناً وشمالاً، نويت أن لا تعدل عن دين الحقّ يميناً وشمالاً لابقلبك، ولا بلسانك، ولا بجوارحك؟» قال: لا. قال: «فعندما مشيت بمزدلفة، ولقطت منها الحصىٰ، نويت انّك رفعت عنك كلّ معصية وجهل، وثبّت كلّ علم وعمل؟» قال: لا. قال: «فعندما مررت بالمشعر الحرام، نويت انّك اشعرت قلبك اشعار أهل التقوىٰ والخوف لله عزّ وجلّ؟» قال: لا. قال: «فما مررت بالعلمين، ولا صلّيت ركعتين، ولا مشيت بالمزدلفة، ولا رفعت منها الحصىٰ، ولا مررت بالمشعر الحرام...»[١].

وفيما سئل عنه أمير المؤمنين عليه السلام: ... فالمشعر الحرام لما صار من الحرم؟ قال: «لأنّه لما أذن لهم بالدخول، وقفّهم بالحجاب الثاني، فلمّا طال تضرّعهم بها، أذن لهم لتقريب قربانهم...»[٢].

ولا يخفىٰ أنّ الوقوف في المشعر الحرام هو ثالث واجبات الحج، وهو عبادة تجب فيه النية[٣].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: «من ترك المبيت بالمزدلفة، فلا حجّ له»[٤].

---

(١) الميرزا حسين نوري، مستدرك الوسائل، ج ١٠، ص ١٧٠.
(٢) محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج ٤، ص ٢٢٤، ح ١.
(٣) راجع السيد علي الخامنئي، مناسك الحجّ، ص ١٢١.
(٤) الميرزا حسين نوري، المستدرك، ج ١٠، ص٤٨، ح ٢.

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «إذا فاتتك المزدلفة فقد فاتك الحجّ»[١].

وفي الحديث عن صيرورة الموقف بالمشعر، سئل الإمام الصادق عليه السلام فقال: «لأنّ الكعبة بيت الله الحرام وحجابه، والمشعر بابه، فلمّا أن قصده الزائرون، وقّفهم بالباب حتّىٰ أذن لهم بالدخول...»[٢].

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «وإذا وقف بعرفات، فقد خرج من ذنوبه، وإذا وقف بالمشعر الحرام خرج من ذنوبه...»[٣].

اتّضح من ما تقدّم من النصوص، اهمية هذه اللحظات الحسّاسة الّتي يقضيها المكلّف في المشعر الحرام، حيث إن فوتها علىٰ المكلف في الجملة يؤدّي إلىٰ فوت الحجّ علىٰ المكلّف، وانّ الحضور والتواجد فيها، كما في عرفة سبب لغفران الذنوب إلّا أنّ في المشعر ميزة من الأهمية بمكان، ألا وهي بريق الأمل بالسماح للحاجّ بدخول حرم الله وامنه، إذ صار في الحرم بعد أن كان خارجاً عنه، ولٰكنّه مع ذلك في الحجاب الثاني، ينتظر الإذن بالدخول، وهنا لابدّ من التأمّل قليلاً في توجيهات الإمام السجّاد عليه السلام، الّذي يريد من خلالها إخراج المنسك عن كونه مظهراً خارجيّاً خالياً من أي مضمون، إلىٰ رمز معنوي يعجّ بالروح، ويرشد إلىٰ مفاهيم لابدّ من استحضارها لكي يتحقّق بحقّه ماورد من الوعود الإلٰهيّة بالمغفرة والتوبة والخروج من الذنوب كيوم ولدته امّه، خصوصاً مع الالتفات أن من شرائط التوبة هو العزم علىٰ عدم العود كما عن أمير المؤمنين عليه السلام، فيكون هذا الموقف من الإنسان في هذه اللحظات الحسّاسة من

---

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١٤، ص ٣٨، ب ٢٣، المشعر، ح ٢.

(٢) محمد باقر المجلسي، البحار، ج ٩٦، ص ٣٤، ح ١٢.

(٣) حسين الفالي، بيان القرآن والعترة في أسرار الحج والعمرة، ص ١٦١.

حياته، عهداً في عنقه، والتزاماً لابدّ من أن يفي به مابقي، وكتبت له الحياة.

فيصبح مشيه بين العلمين دون أن يعدل عنهما يميناً وشمالاً، درساً وعبرة ونيّة في داخله علىٰ أن لا ينحرف عن الإسلام وصراط الإيمان، بالقلب ولا باللسان ولا بالعمل، فمادام المسار لابدّ أن يكون علىٰ الصراط، ومادام الهدف هو النجاة والقرب فلابدّ أن يلتفت في حركته بشكل دائم إلىٰ الالتزام سواء من خلال الباطن، بحيث لا تتولّد بداخله حالة نفاق، ولا أن يعتمد علىٰ الإيمان القلبي بالعقيدة الحقّة، فيتساهل بما يجريه من الفاظ، ربّما تؤدّي بالنهاية إلىٰ تخريب الباطن أيضاً، خصوصاً وانّ اللسان يحكي مافي الضمير، وكذا لابدّ أن يوافق العمل ماينطق به اللسان من الحقّ وما يعتقده القلب، وقد ورد في هذا المضمون، أنّ أركان الإيمان ثلاث: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالاركان، وإلّا فما فائدة اعتقاد يخالفه القول والسلوك، وما قيمة لفظ لاتنسجم معه الجوارح، بل مثل هذا مذموم كما ورد في القرآن الكريم ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾[(١)].

ثمّ إنّ نفس المشي في المزدلفة، لابدّ أن يلازمه شعور قلبي بما ينتاب أهل التقوىٰ والخوف لله عزّ وجلّ.

فكلمة المشعر مشتقّة من الشعور، لما يحويه الموقف من اجواء بين تلك الجبال حيث ازدحام النّاس، وانشغال كلّ باعماله ومشاكله وذنوبه، وهي اجواء روحانيّة تهزّ اعماق الإنسان، فيقف حائراً أمام عظمة المسؤولية تجاه خالقه، فيغدو انعكاساً لموقف يوم القيامة حيث لكلّ امرئ شأن يغنيه، هذا والمزدلفة، كما مرّ معنا، تعني محلّ القرب، وهو يسعىٰ جاهداً ليتخلّص من كلّ شائبة تبعده

---

(١) الصف (٣).

عن لقاء المعشوق.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ المزدلفة اكثر بلاد الله هواماً، فإذا كانت ليلة التروية نادىٰ مناد من عند الله، يامعشر الهوام ارحلن عن وفد الله، قال: فتخرج في الجبال فتسعها حيث لاترىٰ، فإذا انصرف الحاجّ عادت»[١].

وربّما يتساءل الإنسان عن سبب ورود هذه الرواية، ونجيب بأنّها تشعر بدرس تربوي مهم، كما في الخطاب الموجّه لابليس، «انّ الله يحبّ أن يطاع من حيث يريد» وأن اختيار الزمان والمكان ليس كما يريد العبد ويشتهي، بل من حيث يريد المعبود، ولذلك فإنّ المكلّف لو أراد أن يأتي هذه البقعة في غير الليلة العاشرة من ذيالحجّة، وهدفه أن يتوب الله عليه، فهل سيصل إلىٰ مطلوبه؟ والجواب عن ذلك، وإن لم يكن بالنفي القطعي، وإنّما من خلال آثار أهل البيت، سوف يكون كمن استبدل دوحة جنان الخلد، بافاعي جهنّم وعقاربها وهوامها لتنهشه وتؤذيه.

ماذا نستوحي من حصىٰ الجمار؟

يبقىٰ في المزدلفة أن نشير إلىٰ موضوع حصىٰ الجمار.

وهي العدّة الّتي يجب أن يرمىٰ بها الجمار بدءً من يوم العيد، والحديث عنها من عدّة جهات تختص بمبحث المزدلفة ويبقىٰ الباقي عند التعرّض للرمي.

---

(١) محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٤، ص ٢٢٤، ح ٢.

الجهة الأولىٰ

استحباب أخذ الحصىٰ من المشعر الحرام

عن أبي جعفر عليه السلام انّه كان يستحبّ أن يأخذ حصىٰ الجمار من المزدلفة»[١]. عن الصادق عليه السلام انّه قال: «خذ حصىٰ الجمار من المزدلفة، فإن اخذتها من منىٰ اجزأتك»[٢].

فإذا توقّفنا لحظة تأمّل عند هذه الجهة، لنرىٰ الأجواء الّتي يتمّ خلالها التقاط الحصىٰ نجد أنّ المكلّف، بعد أن افاض من عرفة متوجّهاً إلىٰ المزدلفة، فإنّ مرحلة التضرع بالباب أو الحجاب الثاني تكون قد بدأت، وما عليه سوىٰ أن يعدّ العدة الّتي من جملتها تلك الحصيات، فترىٰ جموع الحجيج في عتمة ذلك الليل الدامس قد انتشروا في الأرض ليحصلوا علىٰ هذه الحصيات، فيتذكّر الإنسان من خلال ذلك أنّ عليه في ظلمة هذه الدنيا، أن يبحث عن الحقيقة الحقّة والعقيدة الصلبة بجد واجتهاد، ويتحفّظ عليها كتحفّظه علىٰ حصياته تلك والّتي يعتبرها من اغلا ما يملك.

---

(١) الميرزا حسين نوري، المستدرك، ج ١٠، ص٥٨، ح ١.

(٢) م. س. ح ٢.

الجهة الثانية
في مواصفات هذه الحصيات

عن الصادق عليه السلام: «يلتقط حصىٰ الجمار التقاطاً، كلّ حصاة منها بقدر الانملة، ويستحبّ أن (تكون زرقاً) أو كحلية منقطة، ويكره أن يكسر من الحجارة كما يفعل كثير من النّاس»(١).

وعن الصادق عليه السلام في حصىٰ الجمار قال: «كره الصم منها» وقال «خذ البرش»(٢).

والبرش: جمع برشاء، وهي الحصاة المشتملة علىٰ ألوان مختلفة(٣).

والحديث عن هذه الجهة قد يتناول محاور مختلفة، ومانريده منها هو محاولة اكتشاف بعض أسرار ذلك، خصوصاً وانّ المسألة لاتقتصر علىٰ رجم ابليس في موطن دون موطن، وفي زمان دون آخر، لأنّ الجندي عندما يكون في معهد التدريب، ويتعلّم كيف يسدّد باتّجاه مجسّم الخصم، إنّما يراد له من وراء ذلك، أن يكتسب خبرة في كيفيّة مواجهة خصمه وتسديد الضربة إليه في كلّ زمان ومكان. وعلىٰ هذا، نجد في مورد بحثنا مجموعة توصيات لابدّ من الاستفادة منها في ذلك المنسك بغية تطبيقها في كلّ جبهات الحياة.

وعليه فلو تأمّلنا في كلّ صفة من هذه المواصفات علىٰ حدّه، نجد أنّ في

---

(١) الميرزا حسين نوري، مستدرك الوسائل، ج ١٠، ص٥٨، ح ٣.
(٢) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١٤، ص٣٣، ب ٢٠، المشعر، ح ١.
(٣) فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، ج ٤، ص١٢٩.

مسألة (الالتقاط)، يعني أنّ الحقيقة ليست في مكان واحد قد تجمّعت بحيث يكتفي المرء بأن يغرف منها وينطلق، بل هي منتشرة هنا وهناك بين اكوام الدسائس والخدع، ولابدّ من التمحيص والتدقيق فيما يحصله المكلّف كما يلتقط الطير الحبّ الجيّد من الحبّ الرديء.

امّا (كره الصم منها): فإنّ المرء قد يتوهّم أنّ ما هو صلد صلب. يكفي قليله في عملية الإجهاز علىٰ العدو، دون أن يلتفت المرء إلىٰ أنّ الحجر الأصم ربّما ارتدّ علىٰ صاحبه، فقتله، ومن هنا نمتدح اشخاصاً بلين العريكة، وحسن العشرة، ونذم عكسه ﴿ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك...﴾[1].

أمّا (حجم الحصىٰ): فالبعض يسعىٰ لأن يجمع ما هو كبير منها، بحجّة انّه افضل للتسديد، واكثر ايلاماً، في حين أنّ التوصية هي بالتقاط ماهو بقدر الأنملة، لأنّ مايراد من هذه العمليّة، هي كونها رمزية، وتشير إلىٰ تجذر الصراع، وهنا الفات إلىٰ أنّ المقياس ليس بالحجم والقدرة طالما أنّ ذلك لم يكن مستنداً إلىٰ ركن وثيق، ولهذا نجد أنّ فيلة ابرهه وجيشه كانوا طعمة لحجارة من سجيل رمتها طيور ابابيل، ولو اردنا المقايسة بين حجم الفيل ووقعه في النفوس وبين صغر الطير، لكان قياساً غير مقبول.

أمّا (لون الحصاة): (خذ البرش) المشتملة علىٰ الوان مختلفة، ولا تأخذها حمراء أو سوداء وربّما يكون دليلاً، أو مرشداً إلىٰ أنّ المواجهة مع قوىٰ الباطل لا تقتصر علىٰ لون واحد بل هي متعدّدة الأساليب والأوجه، ولابدّ أن يكون المكلّف حينها قد تزوّد بالوان المعرفة حتّىٰ يتمكّن من خلالها أن يسيطر وينتصر علىٰ تسويلات الشياطين الّتي تتّخذ الواناً مختلفة من التضليل.

(١) آل عمران (١٥٩).

الجهة الثالثة
عدد الحصيات الّتي يستخدمها المكلّف في الرمي

وهي سبع حصيات لكلّ جمرة، فسبعة لجمرة العقبة يوم العيد، وسبعة لكلّ جمرة في يوم الحادي عشر، وسبعة لكلّ جمرة في يوم الثاني عشر، وسبعة لكلّ جمرة في يوم الثالث عشر لمن بقي في منىٰ.

وسرّ العدد، من الأسرار الإلٰهيّة، خصوصاً (سبعة) فالارضين سبعة والسماوات سبعة، وغير ذلك، والاشواط سبعة، إلّا انّه هنا في مبحث الحصيات، ربّما نستفيد ذلك من خلال الآية القرآنيّة:

﴿زيّن للنّاس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾[١].

فتكون الحصيات السبع اشارة إلىٰ الأُمور الّتي تؤثّر في نفوس النّاس وهي منافذ ابليس إليهم، حيث يوقعهم من خلالها في المهاوي.

ومن هنا يقف المكلّف ومن خلال ماحصله من اعتقاد راسخ، وإيمان صادق ليعلن أنّ المواجهة لن تختص بمحور دون آخر، بل هي حرب شاملة وعلىٰ كلّ تلك المحاور.

وهكذا تنقضي ليلة المبيت بالمزدلفة، ليبزغ فجر جديد في حياة الإنسان،

(١) آل عمران (١٤).

يفتتحه بالصلاة، ثمّ يردفه جادّاً بالتوسّل والدعاء والاستغفار، في هذه الفترة الّتي يجب أن يكون فيها في المزدلفة، وهي بين الطلوعين، فإذا طلعت الشمس افاض الحجيج إلىٰ منىٰ.

المبحث الثالث:

في آفاق منىٰ

ما إن تشرق شمس العاشر من ذي الحجّة، حتّىٰ يفيض الحجيج إلىٰ منىٰ، في موكب هائج مائج، تتردّد اصداؤه في الآفاق، مكبّراً ومهلّلاً ومسبّحاً علىٰ ما رزق من بهيمة الأنعام، بل علىٰ هذه النعمة العظمىٰ الّتي وهبه الله ايّاها.

ففي هذه السويعات القصيرة من الزمن، المليئة بالنشاط، يفهم الإنسان المعنىٰ الحقيقي للعيد، وتتّضح له معالم الحديث الشريف «كلّ يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد».

وفي هذا اليوم يتذوّق الحاجّ ثمار المائدة الّتي طلبها عيسىٰ لأصحابه:

﴿قال عيسىٰ ابن مريم اللهمّ ربّنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأوّلنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين﴾[1].

فتتضح العبرة اكثر في عيد شهر رمضان شهر الرحمة والغفران، وما يرافق ذلك اليوم من الأعمال والعبادات، واظهار الفرح بالظفر.

تماماً كما هي الحال يوم الأضحىٰ المبارك، حيث يطويه أهل المحشر الاصغر من الحجيج بضروب من العبادة يستبقون فيها اللحظات، ليقضوا في مواجهة ابليس ثمّ ليهريقوا دماء قرابينهم، ومعها الإجهاز علىٰ اطماع الدنيا

(١) المائدة (١١٤).

وزخارفها، ثمّ ليحلقوا رؤوسهم في اعلان صريح لنبذ مفاتن الدنيا، والاستعداد للتضحية كما سنبحثه فيما يلي إن شاء الله تعالىٰ.

ينبغي أن يعلم المكلّف أنّ واجبات منى، يوم العاشر من ذي‌الحجّة، ثلاثة وهي الرمي وهو رابع أعمال الحج، ثمّ الذبح أو النحر وهو خامس أعمال الحجّ ثمّ الحلق وهو سادس أعمال الحجّ، وجميعها من العبادات الّتي يشترط فيها نية القربة، لذلك نتحدّث عن كلّ منها في نقطة منفصلة بعد أن نقف بعض الشيء علىٰ مناسبات التسمية.

ماذا تعني منىٰ؟

فمنىٰ هي المكان المعروف، وسميت بذلك لما يمنىٰ فيها من الدماء (أي يراق)، ولما عن ابن عبّاس، أنّ جبرائيل عليه السلام لمّا اراد أن يفارق آدم عليه السلام قال له: تمنّ، قال: اتمنّىٰ الجنّة، فسميت بذلك لامنية آدم عليه السلام.

وفي العلل عن الرضا عليه السلام، لما سئل عن ذلك قال: «لأنّ جبرائيل عليه السلام قال هناك لإبراهيم عليه السلام تمنّ علىٰ ربّك ماشئت، فتمنّىٰ أن يجعل الله مكان ولده إسماعيل كبشاً يأمره بذبحه فداء له، فاعطاه الله مناه»[(١)].

وفي هذا الإطار نفهم ماذكره الإمام الصادق عليه السلام:

«واخرج من غفلتك وزلّاتك بخروجك إلىٰ منىٰ، ولا تتمنّىٰ مالايحلّ لك ولا تستحقّه...»[(٢)].

---

(١) محمد حسن النجعي، جواهر الكلام، ج ١٩، ص ١٠١.

(٢) الميرزا حسين نوري، المستدرك، ج ١٠، ص ١٧٢، ح ٦.

وان كان المعنىٰ الأوّل الّذي ذكره صاحب الجواهر، يوافق اللغة، وواقع الحال في منىٰ، حيث تراق دماء الأضاحي، فانّ المعنىٰ الثاني هو امنية كلّ مؤمن يرجو لقاء ربّه، إلاّ انّه قد يدخل تحت عنوان (ما لا تستحقّه، كما عن الصادق عليه السلام).

لأنّه كما في الآية المباركة ﴿ومن اراد الآخرة وسعىٰ لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾[1]. نعم هذا المعنىٰ يستحقّه من ايقن بهذا الدين وعمل جاداً، وخرج من ثبات الغفلة، وشراك الذنوب.

يبقىٰ المعنىٰ الثالث، في امنية إبراهيم عليه السلام، وقد تمنّىٰ ماهو مباح في حقّه، وما يستحقّه بصبره وجهاده وخلّته، فكان مثالاً لثلّة إذا ارادوا اراد.

هذا وهناك معنىٰ رابع، في حوارية الإمام السجّاد عليه السلام مع الشبلي:

(ثمّ) قال عليه السلام: اخرجت إلىٰ منىٰ؟» قال: نعم قال: «نويت انّك آمنت النّاس من لسانك وقلبك ويدك؟» قال: لا. قال: «فما خرجت إلىٰ منىٰ»[2].

والظاهر من هذا المعنىٰ، أنّ المراد هو الأمن، ولكن ليس هذا محلّ كلامنا، لأنّ هذا في معرض الخروج متّجهاً إلىٰ عرفة، وهو غير مقصودنا الّذي هو الإفاضة إلىٰ منىٰ من الزدلفة، حيث صار لهذا الإنسان ببركة الوعود الإلٰهيّة شأناً ومنزلة، حيث صار عارياً من الذنب خصوصاً بعد ادائه لأعمال منىٰ، وصار حقّاً له أن يتمنّىٰ.

ويعتبر القدوم إلىٰ منىٰ مقدّمة للاتيان بواجبات يوم العاشر، وفي هذا اليوم

---

(١) الإسراء (١٩).

(٢) الميرزا حسين نوري، المستدرك، ح ١٠، ص ١٦٩.

يبشّر الأئمّة اصحابهم:

عن الصادق عليه السلام: إذا اخذ النّاس منازلهم بمنىٰ نادىٰ مناد: يا منىٰ قد جاء أهلك فاتسعي في فجاجك واترعي في مائك، وينادي مناد: لو تدرون بمن حللتم لايقنتم بالخلف بعد المغفرة»[١].

الرجم أو الرمي:

أمّا أوّل أعمال منىٰ: (الرّمي)، وهو الواجب الرابع كما تقدّم، ويجب فيه امور منها، استحضار نيّة القربة، وذلك بسبع حصيات، يتحقّق من اصابتها للجمرة، بشكل متفرّق، وذلك من الشروق إلىٰ الغروب، وأن يباشر ذلك بنفسه...[٢].

وعملية الرمي (أو الرجم) وإن اقتصرت يوم العيد علىٰ جمرة العقبة فقط، فإنّها تمتدّ ايام التشريق لتشمل الجمار الثلاث معاً، بدءً من الصغرىٰ وانتهاء بجمرة العقبة في كلّ يوم من ايّام التشريق.

وقبل أن نتحدّث عن سرّ ذلك، وما يمكن استيحاؤه من معانٍ وعِبَر ودروس، لابأس بأن نقف عند جذوره التاريخية، وأن أوّل من رمىٰ الجمار كان آدم عليه السلام.

«وامره أن يحمل حصيات الجمار من المزدلفة، فلمّا بلغ موضع الجمار تعرّض له ابليس فقال له: يا آدم أين تريد؟ فقال له جبرائيل عليه السلام. لا تكلّمه وارمه بسبع حصيات، وكبّر مع كلّ حصاة، ففعل آدم عليه السلام حتّىٰ فرغ من رمي

(١) علي الافتخاري، الحج والعمرة ومعرفة الحرمين الشريفين، ص١٤٨.

(٢) راجع السيد علي الخامنئي، مناسك الحجّ، ص١٢٣.

الجمار»[١].

ومن هذا النص، يتّضح أنّ الحوار مع ابليس، والاسلوب اللـين لا يـفيد، ولابدّ من مواجهة صارمة، وهذا درس وعبرة في مواجهة عدو العقيدة والدين.

عن الصادق عليه السلام قال: «إنّ أوّل من رمىٰ الجمار آدم عليه السلام»[٢].

علي بن جعفر عن الكاظم عليه السلام قال: سألته عن رمي الجمار لم جعل؟

قال: «لأنّ ابليس لعنه الله، كان يتراءىٰ لإبراهيم عليه السلام في موضع الجمار فرجمه إبراهيم عليه السلام فجرت به السنّة»[٣].

فضل الرجم أو الرمي:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «رمي الجمار ذخر يوم القيامة»[٤].

ويتأكّد هذا الأجر خصوصاً عند استحضار المـعاني والآداب التـربويّة للحصىٰ وللجمار، فتكون عملية الرجم كناية عن مواجهة صريحة مـع ابـليس لاهوادة فيها، فإذا كان الإنسان كذلك فإنّ هذا المعنىٰ، سوف يكون من انـواع الجهاد الّتي وعد الله عليها بالاجر الجزيل.

عن الصادق عليه السلام: «له بكلّ حصاة يرمي بها، يحطّ عنه كبيرة موبقة»[٥].

---

(١) محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٤، ص ١٩١، ح ١.

(٢) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١٤، ص ٢٦٤، العود إلىٰ منىٰ، ب ٤، ح ٤.

(٣) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١٤، ص ٢٦٤، ب ٤، العود إلىٰ منىٰ، ح ٧.

(٤) م. س. ح ٢.

(٥) احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ج ١، ص ٦٧.

معنىٰ الرجم او الرمي:

في حوارية الإمام زين العابدين عليه السلام مع الشبلي قال له: «وصلت منىٰ ورميت الجمرة...؟» قال: نعم. قال: «فنويت عندما وصلت منىٰ ورميت الجمار، انّك بلغت إلىٰ مطلبك، وقد قضىٰ ربّك لك كلّ حاجتك؟» قال: لا. قال له زين العابدين عليه السلام: «فما وصلت منىٰ، ولا رميت الجمار...»[١].

عندما استحضر العبد عند صعوده إلىٰ منىٰ، الأمن للآخرين وهو متوجّه إلىٰ عرفة، كان هدفه أن يؤمّنه الله برحمته وكرمه، ومع كلّ تلك الوعود الإلٰهيّة، فهو إذ يعود إلىٰ منىٰ، موقناً بالكرم الإلٰهي، قد نـزّل نفسه منزلة من قضيت حاجاته، وخرج من زلاته، وقد قطع تلك الأمواج العاتية، ووصل إلىٰ شاطئ الامان، وصار بحمىٰ الرحمن، فغدت حركاته رحمانية، وبالتالي توجب عليه كسائر اولياء الله وأنبيائه. أن يقطع أي حوار مع ابليس ليعلن عليه حرباً شعواء.

وعن الصادق عليه السلام: ... وارم الشهوات والخساسة والدناءة والذميمة عند رمي الجمار...»[٢].

وهذه العبر الّتي يريد منّا الإمام عليه السلام أن نستحضرها، تؤكّد لنا ما وصلنا إليه من المقايسة بين عدد الحصيات الّتي نرمي بها، وبين الأُمور السبعة في الآية المباركة، فتكون عمليّة الرمي منّا، تأكيداً علىٰ انّنا علمنا الكمائن الّتي يتربّص لنا بها، وانّنا نسفنا له بكلّ حصىٰ من تلك الحصيات مايبنيه من المكائد والحيل.

---

(١) الميرزا حسين نوري، المستدرك، ج ١٠، ص ١٧٣.

(٢) احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ج ١، ص ٦٧.

وان ما صار بيننا هو حرب لن يخمد أوارها مادمنا في هذه الحياة.

مداليل تكرار الرجم؟

قد يقال أنّه مادام المقصود هو صِرف اعلان الحرب علىٰ الشيطان، وعدم الركون إليه، والوقوع في حبائله، فإنّ ذلك يتحقّق منّا لدىٰ رمينا لأوّل حصاة علىٰ إحدىٰ الجمرات، ولاداعي عندها لرمي سبع حصيات، وتكرار ذلك في اليوم الثاني علىٰ الجمرات الثلاث يوم الحادي عشر، وإعادة الأمر يوم الثاني عشر، وربّما يوم الثالث عشر.

والجواب علىٰ ذلك من خلال بيان أمرين:

أوّلهما: أن تعدّد الجمرات، ربّما يشير إلىٰ انواع ثلاثة من الشياطين يسعىٰ كلّ منها إلىٰ اضلال بني آدم وحرفهم عن الصراط السوي.

وهي شياطين النفس، وشياطين الإنس، وشياطين الجنّ، ولعلّ شيطان النفس اشدّها خطراً، وهي النفس الأمّارة والهوىٰ المنهي عن اتباعه **﴿ولا تتّبع الهوىٰ فيضلّك عن سبيل الله﴾**(١) **﴿افرأيت من اتّخذ الٰهه هواه﴾**(٢). ولذلك نجد كيف أنّ الصلحاء عمدوا إلىٰ مبارزة اهوائهم، ورياضة انفسهم، لتأتي آمنة يوم الحشر، وتثبت علىٰ جوانب المزلق، وإنّما هي نفسي اروضها بالتقوىٰ، كما يعبّر أمير المؤمنين عليه السلام. (قد جاهدها جهاداً شاقّاً (ان استعصت عليه نفسه فيما تكره، لم يعطها سؤلها فيما تحبّ). ولهذا كان تعبير سول الله صلى الله عليه وآله وهو يستقبل المجاهدين العائدين من صراع العدو: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر، وبقي

---

(١) ص (٢٦).

(٢) الجاثية (٢٣).

عليهم الجهاد الأكبر، وهو جهاد النفس.

فإذا تمكّن أن ينتصر في حربه ويحول هذه النفس إلىٰ نفس لوامة، سوف لن يلبث به المقام حتّىٰ يصبح ذا نفس مطمئنّة.

فالجهاد لابدّ أن يكون علىٰ المحاور الثلاثة معاً، وأن لا يغفل عن أحدها أبداً.

ثانيها: أنّ تكرار الرمي، له مغزىٰ آخر، وهو أنّ هذه المواجهة لن تكون حاسمة، فيما لو تمكّن الشيطان في كرّة أُخرىٰ أن يهزم الإنسان، ويزعزع ثباته، لذلك يكرّر الإنسان عمليّة الرمي ليؤكّد علىٰ موضوع مهم في حياته العمليّة مفادها أنّ هذه الحقيقة الّتي سعىٰ جاهداً إلىٰ امتلاكها، مع ما كلّفه ذلك من الجهد والتعب، إنّما هو سلاحه الّذي يجب أن يحافظ عليه في كلّ آن. ليدفع به عن نفسه خطر الانزلاق، وانّه بنفس هذه الحقيقة الّتي حصلها، والعقيدة الّتي حصّن بها ايمانه، سوف ينبري في كلّ آن وفي كلّ مكان لكي يواجه به قوىٰ الشيطان والاضلال، وسوف يقابل مكائدهم المظلمة بنور الحقيقة الّذي يشع بالصدق والثبات، وبهذا واجه إبراهيم عليه السلام ابليس فصرعه ولم يعد ليظهر أبداً في حياته، كذلك نحن وبالعقيدة الإبراهيميّة المحمّديّة الصلبة، وبالشجاعة الحيدريّة الواضحة، نعلن ومن ذلك المكان والمقام، أن واجبنا هو الجهاد والصبر، ونبذ وساوس الشيطان وادواته الخسيسة والدنيئة. والاستعداد الدائم لكشف اللثام عن دسائسه وغدره.

النحر أو الذبح:

ثاني أعمال منىٰ: النحر أو الذبح، وهو الواجب الخامس من واجبات

الحجّ قال الله تعالىٰ في محكم كتابه الكريم ﴿... فإذا امنتم فما استيسر من الهدي...﴾[١].

أمّا عن المناسبة التاريخيّة: فلا يخفىٰ علىٰ أحد أنّ قضيّة الذبح تعود إلىٰ زمن إبراهيم عليه السلام حيث سأل ربّه الذرية الصالحة، فلطف به الله تعالىٰ واعطاه مايريد، ووهبه عبداً صالحاً ولكن امتحنه به ليكشف للخلق اخلاصه لخالقه.

قال تعالىٰ ﴿فبشّرناه بغلام حليم، فلمّا بلغ معه السعي قال يابني انّي ارىٰ في المنام انّي اذبحك فانظر ماذا ترىٰ * قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني أن شاء الله من الصابرين﴾[٢].

وقد مرّ بعض من الحديث عن هذا الامتحان الإلٰهيّ، الّذي يجسّد صبر إبراهيم واخلاصه، وتسليمه المطلق لله تعالىٰ، وهو الّذي يعلم حقّ العلم أنّ ما يصدر عن الباري هو عين المصلحة، فلم يكن منه إلّا الامتثال، ولهذا عندما وصل الأمر إلىٰ الجري العملي والتنفيذ.

قال تعالىٰ ﴿فلمّا اسلما وتلّه للجبين ونديناه أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا إنّا كذلك نجزي المحسنين أنّ هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم﴾[٣].

ولا نغفل تسليم إسماعيل لأبيه، ورضاه بالقضاء الإلٰهي الّذي عرضه الله وفداه بذلك الكبش من الجنّة، وإن كان المعنىٰ الوافي أو أحد المعاني يتّخذ منحاً آخر، ليكون الذبح والفداء للمسيرة الإلٰهيّة، والمحامي عن الحنيفيّة وشريعة

---

(١) البقرة (١٩٦).

(٢) الصافات (١٠١ ـ ١٠٢).

(٣) الصافات (١٠٣ ـ ١٠٤).

التوحيد بدمه ومهجته هو أبو الأحرار الحسين بن علي عليه السلام[١].

الفضل والثواب:

سئل الإمام الصادق عليه السلام عن علّة الأضحية فقال: «إنّه يغفر لصاحبها عند أوّل قطرة تقطر من دمها علىٰ الأرض، وليعلم الله عزّ وجلّ من يتّقيه بالغيب، قال الله عزّ وجلّ ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوىٰ منكم﴾[٢] ثمّ قال: انظر كيف قبل الله قربان هابيل، وردّ قربان قابيل»[٣].

عن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «استفرهوا ضحاياكم فإنّها مطاياكم علىٰ الصراط»[٤].

والدابة الفارهة هي النشيطة القويّة[٥].

عن علي عليه السلام: «لو علم الناس مافي الأضحية، لاستدانوا وضحّوا، إنّه ليغفر لصاحب الأضحية عند أوّل قطزة تقطر من دمها»[٦].

وعن الصادق عليه السلام: قال علي بن الحسين عليه السلام: «إذا ذبح الحاجّ كان فداه من النار»[٧].

واختيار الهدي بالمواصفات المعيّنة، والّتي تعني اختيار ما هو الأفضل

(١) راجع عبدالصاحب الحسني، الأنبياء، ص١١٣ ـ ١١٤.

(٢) الحج (٣٧).

(٣) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١٤، ص ٢٠٧، ب ٦٠، الذبح، ح ١١.

(٤) م. س. ب ٦٢، ح ١.

(٥) محمد مرتضىٰ الزبيدي، تاج العروس، ج ٩، ص ٤٠٢.

(٦) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١٤، ص ٢١٠، ب ٦٤، الذبح، ح ٢.

(٧) احمد بن محمد البرقي، المحاسن، ج ١، ص ٦٧.

والاكمل، اشارة إلىٰ أنّ الله لا يقبل من عباده إلّا ماهو الأفضل في كلّ المجالات، لافي الأضحية فقط، وهذا يدفع كلّ مكلّف إلىٰ المبالغة في تحسين ما يأتي به من الأعمال ويراقبها مراقبة دقيقة لا اهمال فيها، وأن يكون ما يقدّمه للآخرين ممّا هو محبّب عنده، مفضّل لديه، قال تعالىٰ ﴿لن تنالوا البرّ حتىٰ تنفقوا ممّا تحبّون﴾(١).

كيف تصرف الأضحية:

قال تعالىٰ ﴿فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر﴾(٢).

وأيضاً ﴿فكلوا منها واطعموا البائس الفقير﴾(٣).

قال الصادق عليه السلام: «انّ سعيد بن عبد الملك قدم حاجاً فلقي أبي فقال: انّي سقت هدياً فكيف اصنع؟. فقال له ابي: «أطعم أهلك ثلثاً، وأطعم القانع والمعتر ثلثاً، واطعم المساكين ثلثاً، فقلت المساكين هم السؤّال؟ فقال: نعم. وقال: القانع: الذي يقنع بما ارسلت إليه من البضعة فما فوقها، والمعتر: ينبغي له اكثر من ذلك، هو اغنىٰ من القانع يعتريك فلا يسألك»(٤).

عن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّما جعل الله هذا الأضحىٰ لتشبع مساكينهم من اللحم فأطعموهم»(٥).

---

(١) آل عمران (٩٢).

(٢) الحجّ (٣٦).

(٣) الحجّ (٢٨).

(٤) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١٤، ص ١٦٠، ب ٤٠، ذبح، ح ٣.

(٥) م. س. ح ٢٢.

وخطب علي عليه السلام في الأضحىٰ فقال: «... وإذا ضحيتم فكلوا واطعموا واهدوا، واحمدوا الله علىٰ مارزقكم من بهيمة الأنعام»(١).

ومن هنا نفهم أنّ في عمليّة الذبح جنبتين إحداهما ذاتية، تعود إلىٰ نفس المضحي، لكي يمتحن فيعلم انّه متقٍ لايخالف ارادة مولاه، ولها جنبة اقتصاديّة تعود بالنفع علىٰ كلّ افراد المجتمع، من كان محتاجاً ومن لم يكن، فيأكل من كان محتاجاً، ويصل بعنوان الهدية غير هذا القسم، ولا يخفىٰ مافي الهدية من تقوية الأواصر في مابين المؤمنين.

المعاني التربوية للأضحية:

عن الصادق عليه السلام: **«... واذبح حنجرة الهوىٰ والطمع عنك عند الذبيحة...»**(٢).

وفي حوارية الإمام زين العابدين عليه السلام مع الشبلي حيث سأله:

«... وذبحت هديك؟ قال نعم. قال: «فعندما ذبحت هديك، نويت أنّك ذبحت حنجرة الطمع بما تمسّكت به من حقيقة الورع، وانّك اتبعت سنّة إبراهيم عليه السلام بذبح ولده وثمرة فؤاده وريحان قلبه، وحاجة (أُحييت) سنّته لمن بعده، وقربة إلىٰ الله تعالىٰ لمن خلفه؟» قال: لا»(٣).

فلعلّ المراد من ذبح الأضحية بعد رمي الجمرة الكبرىٰ ومافيها من اعلان المواجهة تأكيد عملي، ورمز لاجهاز الإنسان علىٰ هواه ونفسه الحيوانية الّتي

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ١٦٠، ب ٤، ذبح، ح ٢٣.
(٢) الميرزا حسين نوري، المستدرك، ج ١٠، ص ١٧٣.
(٣) الميرزا حسين نوري، المستدرك، ج ١٠، ص ١٧١.

تريد اخلاده إلىٰ الأرض، فيتطهّر بذلك ويسمو بروحه عن البهيمية، إلىٰ الروح الرحمانية الّتي هي محلّ سجود الملائكة. وهي النورانية الّتي تجعله في عليين.

فتكون تلك الدماء، ازهاقاً للحسد والغضبية، والشهوات الّتي تحرّك غرائزه كما حصل مع ولدي آدم الّذي انحطّ أحدهما إلىٰ دركات الحيوانيّة، وعلا الآخر في سماء الروحانية.

وهكذا يصبح الهدي، اعلاناً عن الاستعداد التام لامتثال الأوامر الإلٰهيّة، حتّىٰ لو اقتضىٰ ذلك سفك الدماء وبذل المهج والارواح، معلناً «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، أنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين، لاشريك له، وبذلك أمرت وانا من المسلمين، اللهمّ منك ولك، بسم الله والله أكبر، اللهمّ تقبّل منّي»[(١)].

الحلق أو التقصير:

ثالث أعمال منىٰ: الحلق أو التقصير، وهو سادس واجبات الحجّ. قال الله تعالىٰ في محكم كتابه الكريم.

﴿... لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين رؤوسكم ومقصّرين لاتخافون...﴾[(٢)].

فبدأت الآية المباركة بالحلق قبل التقصير، وفيه إرشاد بالإضافة لما في النصوص الأُخر إلىٰ أنّ الحلق افضل واجره اكثر كما سيتّضح فيما بعد.

---

(١) حسين الفالي، بيان القرآن والعترة في أسرار الحجّ والعمرة، ص ١٨٠.
(٢) الفتح (٢٧).

جذوره التاريخية:

تعود الجذور التاريخيّة إلىٰ زمن آدم عليه السلام وهو أوّل من حلق رأسه في طاعة الله تعالىٰ.

فعن الصادق عليه السلام: «... فقال له جبرائيل: إنّ الله تبارك وتعالىٰ قد أحسن اليك إذ علّمك المناسك الّتي تاب عليك بها وقبل قربانك، فاحلق رأسك تواضعاً لله تعالىٰ إذ قبل قربانك، فحلق آدم رأسه تواضعاً لله تبارك وتعالىٰ»(١).

ومن هذا النص يستفاد أنّ عملية الحلق تختزن في طيّاتها التواضع لله تعالىٰ. ولعلّ ذلك لما يوحيه الشعر من زينة للإنسان تدفعه لأن يشعر بالكبر.

فضل الحلق وثوابه:

عن الصادق عليه السلام قال: «علىٰ الصرورة أن يحلق رأسه ولا يقصّر، وإنّما التقصير لمن حجّ حجة الإسلام(٢).

وعنه أيضاً: إنّ المؤمن إذا حلق رأسه بمنىٰ، ثمّ دفنه جاء يوم القيامة وكلّ شعرة لها لسان طلق تلبي باسم صاحبها»(٣).

وعن الباقر عليه السلام قال: «استغفر رسول الله صلى الله عليه وآله للمحلّقين ثلاث مرات، وللمقصرين مرّة»(٤).

(١) حج الأنبياء والائمّة، ص ١٤.
(٢) علي الافتخاري، الحج والعمرة ومعرفة الحرمين الشريفين، ص ١٥٥.
(٣) م. س.
(٤) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١٤، ص ٢٢٤، ب ٧، الحلق، ح ١١.

وعن الباقر عليه السلام قال: لايزال العبد في حدّ الطائف بالكعبة مادام شعر الحلق عليه»(١).

آدابه المعنويّة:

عن الصادق عليه السلام: «... واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك»(٢).

وفي حوارية الشبلي مع الإمام زين العابدين عليه السلام. قال: «فعندما حلقت رأسك، نويت انّك تطهّرت من الأدناس، ومن تبعة بني آدم، وخرجت من الذنوب كما ولدتك امّك؟ قال: لا»(٣).

وكلتا الروايتين تنظران إلىٰ عملية الحلق علىٰ انّها رمز لخروج الإنسان ممّا درج عليه من الأخطاء والذنوب، وانّه كما خرج من هذا الشعر، فإنّه يعاهد علىٰ عدم العود إليها، وهو يفتح صفحة جديدة من العمل بوعي وتركيز أكثر.

هذا وهناك معنىٰ آخر يكمن في اعتبار هذا العمل من الجبهات في مواجهة الهوىٰ، لما يمثله الشعر من زينة ظاهرية، وجمال صوري، ويؤكد هذا كراهة الحلق عند كثير من الناس، وكيف يبدون الممانعة ثمّ يذعنون مسلمين للشارع المقدّس، واعلان الطاعة لرب العالمين، والخضوع لحكمه ومشيئته.

وهنالك معنىٰ آخر تشير إليه عملية حلق الرأس بالموسىٰ، وهو الإعلان عن الاستعداد للتضحية في سبيل المبدأ والعقيدة، كما في قصة أمير المؤمنين عليه السلام مع هؤلاء الّذين اعلنوا الاستعداد لنصرته، فأمرهم أن يأتوه

(١) م. س. ب ١٢، ح ٤.

(٢) الميرزا حسين نوري، المستدرك، ج ١٠، ص ١٧٣.

(٣) الميرزا حسين نوري، المستدرك، ج ١٠، ص ١٧١.

محلقين رؤوسهم، فلم يوافه بهذه الشروط إلّا أربعة.

وهذا المعنىٰ ربّما اعتمدته بعض الجيوش سيّما ايّام الحرب، وكأن هذا العمل يورث الشجاعة والجرأة في الإنسان، ولا يبقي عنده مجالاً للخوف عندما يواجه سيوف الأعداء المسلّطة(١).

المبيت في منىٰ:

هو الرابع من أعمال منىٰ وهو من واجبات الحجّ والمبيت في منىٰ عبادة، تجب فيه نية القربة لله تعالىٰ(٢).

والمبيت يكون ليلة الحادي عشر وليلة الثاني عشر، ويجب في صبيحتهما رجم الجمار الثلاث، وقد يجب المبيت ليلة الثالث عشر فيجب الرجم في صبيحتها.

وهنالك جملة امور يمكن أن تتحقّق من خلال هذا الاجتماع للحجيج في هذه البقعة المباركة، وذلك لأنّ الحجاج يقضون فيها أطول مدّة زمنية من أيّام الحجّ، وهم مجتمعون في هذه البقعة الضيّقة الّتي تستوعبهم جميعاً، دون أن يكون عندهم أي واجب يقومون به سوىٰ التواجد والبقاء، مع ما تشكّله منىٰ من بيان ختامي لأعمال الحجّ، سيّما مع ما سيأتي من أنّ أعمال الحرم وزيارة البيت يستحبّ الإتيان بها في نفس يوم العيد، ومن الطبيعي أنّ الإنسان إذا ما حصل علىٰ مندوحة من الوقت تجده ينظر إلىٰ من حوله، ويحاول أن يبني علاقة يستطيع من خلالها أن يكتسب معرفة، وهو المفطور علىٰ حبّ المعرفة، فتتداخل

---

(١) حسن الفالي، بيان القرآن والعترة في أسرار الحجّ والعمرة، ص ١٨٥ (بتصرّف).

(٢) راجع السيد علي الخامنئي، مناسك الحجّ، ص ١٣٩.

الاعراق والالوان البشريّة فيما بينها، وتتشابك الألسن في سمفونية قلّ نظيرها، ويقع تآلف يجذب المراقب ويستهويه، فعندها تتّضح الثمار غير العباديّة للحجّ، من الأبعاد الاجتماعيّة والسياسية والاقتصاديّة والثقافيّة، وإن كانت هذه الأمور تعود بشكل أو آخر إلىٰ البعد العبادي.

فيتعرَّف أبناء كلّ منطقة علىٰ ابناء المناطق الاُخرىٰ، فيتعرّفون عن كثب علىٰ عاداتهم ومشاكلهم الثقافيّة والسياسيّة، وكيف يبتني الاقتصاد في اوطانهم، ومدىٰ تأثير القوىٰ السياسيّة علىٰ المجتمع سلباً أو ايجاباً، وإن كان ذلك سلبيّاً في أغلب الأحيان لما تعانيه الحكومات المتسلّطة والّتي لاتستند إلىٰ قاعدة شعبيّة، وما تمارسه من تعسّف وجور، خصوصاً علىٰ الحركات الدينيّة الّتي تحاول تطبيق نظرية العدل الإلٰهي، وماهي الطرق المثلىٰ لمواجهة تلك الحكومات وبثّ الوعي في اذهان النّاس، وإرشادهم إلىٰ أنّ طريق الخلاص هو بالرجوع الواعي إلىٰ العقيدة والشريعة الإلٰهيّة السمحاء.

ما يستحب في منىٰ:

ولايخفىٰ أنّ في منىٰ يستحبّ للإنسان جملة امور.

قال الله تعالىٰ ﴿... واذكروا الله في ايّام معدودات﴾[١]. وعن تفسير الإمام العسكري عليه السلام: قال الإمام عليه السلام: «اذكروا الله في ايّام معدودات، وهي الايّام الثلاثة الّتي هي ايّام التشريق بعد يوم النحر، وهذا الذكر هو التكبير بعد الصلوات المكتوبات، يبتدأ من صلاة الظهر يوم النحر إلىٰ صلاة الظهر من آخر

(١) البقرة (٢٠٣).

ايّام التشريق[١].

وهذه التكبيرات لها كيفيّة مخصوصة:

«الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلّا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر علىٰ ما هدانا، الله أكبر علىٰ مارزقنا من بهيمة الأنعام، والحمد لله علىٰ ما ابلانا. ويستحب تكرار هذه التكبيرات عقيب الفرائض ماتيسّر»[٢].

وإذا تأمّلنا في هذا التكبير، مع الأخذ بعين الاعتبار الاجواء المرافقة له، نجد أنّه ينسجم مع جميع الأبعاد الّتي تحدّثنا عنها، فعندما يزرع الإنسان في ذاته ويرتكز في ذهنيّته «الله أكبر» فانّ كلّ ما سوىٰ ذلك سوف يكون في نظره حقيراً غير ذي بال، ولن يؤثر في ذاته، ولن يخشىٰ تخويفه وتهديده، خصوصاً بعد أن يهدم بمعول وعيه، وصفاء عقله كلّ الآلٰهة المصطنعة من الاستكبار والاموال واذنابهما.

فالمحامد كلّها لله، وهو المحمود اوّلاً وآخراً، وكلّ ماسواه فهو في قبضته، وهو الهادي إلىٰ سواء السبيل، والمنعم والمتفضل والمتكرّم، ونحن نتقلّب في ملكه، في حين انّنا عباده، ولا يحمد علىٰ مكروه سواه، لأنّ هذا اداة تمحيص للخروج من الغفلة والذنوب.

وأي نداء غير النداء الإلٰهي، يتردَّد علىٰ ألسنة الّذين ارتبطوا به من الأنبياء والأولياء يمكنه أن يجمع هذا العدد في مؤتمر سنوي ضخم تتوالىٰ فصوله عاماً بعد عام.

---

(١) علي الافتخاري، الحج والعمرة ومعرفة الحرمين الشريفين، ص١٥٦.

(٢) عبّاس القمي، مفاتيح الجنان، ص ٣٥٩.

وإذا ما خطر علىٰ ذي بال أنّ ما نذكره تبرّع وانشاء، أو نتاج احساس مرهف استوقفه شعوره عند نموذج هنا أو هناك، فراح ينسج به الخيال. نجيب بما حصل في عهد رسول الله ﷺ من خطبته في منىٰ:

«نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، وبلّغها من لم يسمعها، فكم من حامل فقه غير فقيه! وكم من حامل فقه إلىٰ من هو افقه منه! ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب عبد مسلم، اخلاص العمل لله، والنصيحة لائمّة المسلمين واللزوم لجماعتهم، فإنّ دعوتهم محيطة من ورائهم، المؤمنون أخوة تتكافأ دماؤهم، وهم يدٌ علىٰ من سواهم يسعىٰ بذمّتهم ادناهم، وهم يد علىٰ من سواهم[1].

وهل هذا إلّا نتاج هذا المؤتمر الإلٰهي، والعقل الكامل، وهل هذا إلّا إرشاد لما تحتويه تلك المناسك من ابعاد يجب أن يخرج الإنسان في ختامها إلىٰ نتائج نظرية يجب تطبيقها والعمل علىٰ نشرها، حتّىٰ تكون شريعة الله علىٰ الأرض هي الحاكمة.

وإذا دقّق الإنسان في هذه الخطبة من اوّلها يجد أنّ هذا لا يعدو إلّا أن تكون توصيات ملزمة لهذا المؤتمر الإلٰهي، لذلك سوف نتبرّك بذكر نتف منه من غير تعليق:

«ألا وكلّ مأثرة أو بدعة كانت في الجاهليّة، أو دم أو مال فهو تحت قدمي هاتين، ليس أحد اكرم من أحد إلّا بالتقوىٰ... ألا وكلّ ربا كان في الجاهلية فهو موضوع، وأوّل موضوع منه ربا العباس بن عبد المطلب. ألا وكلّ دم في الجاهلية فهو موضوع... ألا وإنّ الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه، ولكنّه

---

(١) علي الافتخاري، الحج والعمرة ومعرفة الحرمين الشريفين، ص١٥٦، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، ج١، ص١٨٠.

راض بما تحتقرون من اعمالكم، ألا وانّه إذا اطيع فقد عبد، ألا أيّها النّاس إنّ المسلم اخو المسلم حقّاً... ألا لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف علىٰ الدنيا... الأواني قد تركت فيكم أمرين إن اخذتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فإنّه قد نبّأني اللطيف الخبير انّهما لن يفترقا حتّىٰ يردا علي الحوض، ألا فمن اعتصم بهما فقد نجا...»[١].

منىٰ والبراءة من المشركين:

إنّ اهمّ ما يميز مناسك منىٰ عن غيرها من المناسك، هي حيويتها وشموليتها لمواقف حاسمة يجب علىٰ المجتمع الإسلامي أن يطبّقها بكلّ صلابة، دون أي مجال للتساهل.

عن أبي جعفر عليه السلام: خطب علي بالنّاس واخترط سيفه وقال: لا يطوفنّ بالبيت عريان، ولا يحجنّ بالبيت مشرك ولا مشركة، ومن كانت له مدّة فهو إلىٰ مدّته، ومن لم يكن له مدّة فمدّته أربعة اشهر، وكان خطب يوم النحر...»[٢].

وهل هنالك اسطع من هذا الدليل علىٰ أنّ إعلان البراءة من المشركين هو من صميم أعمال الحجّ، وهذا ما يشعر به رمي الجمار، وما نفهمه من روايات أهل البيت عليهم السلام من أنّ هذا الموقف ليس منحصراً بهذا المكان وذلك الزمان فقط، وإنّما هو رمز لترجمة عملية يجب أن ترافق الإنسان في كلّ مواطن حياته، ولا يقتصر ذلك علىٰ مجرد اللفظ، بل لابدّ من الجد في مواجهتهم، ويرشد إلىٰ ذلك إخراج أمير المؤمنين لسيفه دليلاً علىٰ جدية هذا الأمر، ولو ادىٰ إلىٰ

(١) علي بن إبراهيم، تفسير القمي، ج ١، ص ١٧٩.
(٢) الحجّ في القرآن والسنّة، ص٤١٨. (اخترط سيفه: استله واخرجه من غمده).

مواجهة عسكرية.

وهكذا ينفر النّاس من منىً وعندهم ثوابت لا تتغيّر، هم مكلّفون بنشرها، وتطبيقها في مجتمعهم، لكي تؤتي هذه العبادة ثمارها.

المبحث الرابع:

زيارة البيت آفاق وآثار

بعد أن يأتي الحاجّ باعمال منىٰ يوم العاشر، من الرجم والنحر والحلق صار بامكانه أن يتوجّه إلىٰ الحرم لأداء اعماله، بل يستحبّ له تعجيل ذلك.

عن الصادق عليه السلام في زيارة البيت يوم النحر، قال: «زره، فإن شغلت فلا يضرّك أن تزور البيت من الغد، ولا تؤخّر أن تزور من يومك، فإنّه يكره للمتمتّع ان يؤخّره...»[(١)].

وعنه عليه السلام قال: «ينبغي للمتمتّع أن يزور البيت يوم النحر أو من ليلته، ولا يؤخّر ذلك اليوم»[(٢)].

وعنه عليه السلام قال: «لا يبيت المتمتّع يوم النحر بمنىٰ حتّىٰ يزور»[(٣)].

ولعلّ تعجيل ذلك، لما يجب أن يستشعره المكلّف من الشوق إلىٰ زيارة البيت ولقاء رب البيت تعالىٰ.

---

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١٤، ص ٢٤٣، ب ١، زيارة البيت، ح ١.

(٢) م. س. ح ٣.

(٣) م. س. ح ٢.

أعمال الحرم:

يجب علىٰ المكلف خمسة أعمال في الحرم:

أولها: طواف الحجّ ويسمّىٰ (طواف الزيارة).

ثانيها: صلاة طواف الزيارة.

ثالثها: السعي بين الصفا والمروة.

رابعها: طواف النساء.

خامسها: صلاة طواف النساء.

ولا تفرق عن سابقتها في العمرة إلّا بالنيّة، وتوافقها في الشرائط والاجزاء[(١)].

معنىٰ أعمال الحرم:

لاشكّ في أنّ المظهر الخارجي للطواف واحد، لايختلف بين ما كان للعمرة أو الحجّ، إلّا انّه من حيث الواقع والباطن، ومن حيث الآثار والمداليل، يختلف عنه اختلافاً جذرياً، وهذا ما سنحاول استحضاره من خلال ماورد عن أهل البيت عليهم السلام.

ففي حوارية الإمام زين العابدين عليه السلام مع الشبلي:

قال عليه السلام: فعندما رجعت إلىٰ مكّة، وطفت طواف الإفاضة نويت انّك

---

(١) راجع السيد علي الخامنئي، مناسك الحجّ، ص ١٣٤.

افضت من رحمة الله ورجعت إلىٰ طاعته، وتمسّكت بـودّه، وأديت فـرائـضه، وقرّبت إلىٰ الله تعالىٰ؟» قال: لا. قال عليه السلام: «فما وصلت منىٰ، ولا رميت الجمار، ولا حلقت رأسك، ولا اديت نسكك، ولا صلّيت في مسجد الخيف، ولا طـفت طواف الإفاضة، ولا تقربت، إرجع فإنّك لم تحج...»(١).

وعن الصادق عليه السلام: «وادخل في امان الله وكنفه وستره وكـلاءته، مـن متابعة مرادك بدخول الحرم، ودخول البيت متحقّقاً لتـعظيم صـاحبه، ومـعرفة جلاله وسلطانه، واستلم الحجر رضىٰ بقسمته وخضوعاً لعـزّته، ودع مـاسواه بطواف الوداع، واصف روحك وسرّك للقائه يوم تلقاه بوقوفك علىٰ الصفا، وكن بمرأىٰ من الله نقيّاً عند المروة، واستقم علىٰ شرط حجّتك هذه، ووفاء عـهدك الّذي عوهدت به مع ربّك، واوجبت له إلىٰ يوم القيامة...»(٢).

فهذا الطواف، مكانه بعد الإفاضة من رحمة الله وما اسبغ علىٰ وفده من حلل التوبة والمغفرة، فجسّد هذا الطواف حول البيت بما يعنيه من كون مـدار حركة الإنسان هي في عبوديته وطاعته لبارئه وخالقه، بحيث يشكل عهداً علىٰ أداء مافرضه علىٰ الإنسان، محافضاً علىٰ استحضار نيّة القربة لله تعالىٰ، دون أي معنىٰ آخر يفسد العبادة ويشوّه صورتها.

فالعود للطواف بالبيت عود إلىٰ كنف الله، واللجوء إلىٰ ملاذه وستره، قد تحقّقت في داخله عظمة خالقه واتضحت وحدانيّته، فيتوجّه إلىٰ الحجر مبايعاً راضياً بما قسمه الله، متذلّلاً خاضعاً لارادته.

وهكذا يصير طواف الوداع، عنواناً للوصال الدائم، إذا ما استحضر العبد

---

(١) الميرزا حسين نوري، المستدرك، ج ١٠، ص ١٧٢.
(٢) الميرزا حسين نوري، المستدرك، ج ١٠، ص ١٧٣.

فيه انّه قد ترك كلّ ما سواه إلىٰ غير رجعة.

امّا السعي بين الصفا والمروة فقد تزيّن بحلية اُخرىٰ، وصار له طعم اشهىٰ، إذ إنّ الوقوف علىٰ الصفا يجب أن يرافقه سعي لتصفية الروح والباطن ليحظىٰ بلقاء الله، ويصير الوقوف علىٰ المروة شعوراً صادقاً، واحساساً ذاتياً بأنّه بعين الله، ولا يخفى علىٰ الله.

وهذه المعاني، يجب أن تدفع المرء لكي يحافظ علىٰ ماشرطه علىٰ نفسه وما عاهد عليه ربّه، حتّىٰ يلقىٰ الله عزّ وجلّ.

بين طواف العمرة وطواف الحجّ:

بعد أن عرفنا أنّ الإنسان في مسيرته بعد خروجه من الحرم وعوده إليه، قد قطع شوطاً مهمّاً في تحرره من أغلال الهوىٰ وتغلّبه علىٰ نفسه، فقضىٰ علىٰ الروح الظلمانيّة في وجوده، وتخلّىٰ عن الصفات الحيوانيّة، ونوىٰ الخلوص لربّ العالمين. وأصبح أهلاً لزيارته جلّ وعلا ونوال هذا الشرف العظيم، كان لابدّ أن نحاول المقايسة بين حال المكلّف بين أوّل أمره من طواف العمرة، وبين حاله الحالي في زيارة البيت فنقول:

أولاً: كان في الطواف الأوّل مثقلاً بالذنوب، مليئاً بالعيوب، وهو الآن في طواف الزيارة خالٍ من العيب عار عن الذنب.

ثانياً: كانت نفسه دنيئة امارة، وصارت بعد مسيرته نقيّة نظيفة لوّامة، تحاسبه علىٰ كلّ شيء.

ثالثاً: كان منشغلاً بالدنيا وزخارفها، منقاداً للهوىٰ، غافلاً عن الصلحاء، ونزل منازل الأصفياء، وتوصل إلىٰ ما وصل إليه الأولياء.

رابعاً: كان فيما مضىٰ محصوراً في عالم الدنيا، لايتعدّىٰ في تفكيره عن الدنيا وشؤونها، فخرج برحلته تاركاً للدنيا خارجاً من هم المادّة وغمّها، وصار متفكّراً بنعيم الملأ الأعلىٰ وكأنّه نور في عالم الأنوار، فانقلب إنساناً نورانيّاً وشخصاً معنويّاً.

خامساً: كان جاهلاً لمبادئ العبوديّة، ولم يؤدّها حقّها، تائهاً عن الجادة فصار بعد رحلته القدسية مدركاً لما يجب عليه أن يكون، عارفاً بحقيقة الحال، زاهداً بالدنيا راغباً في الآخرة مشتاقاً للقاء الخالق والمبدأ[١].

وهو علىٰ هذه الحال، يتهيّأ ظاهره كما تهيّأ باطناً، ويطهّر جسده كما طهرت روحه، ثمّ يأتي بيت ربّه، خاشعاً خاضعاً إذ إنّ إدراكه لهذه المواقف قد اكتمل، فيصير طوافه بعين البصيرة مع الملائكة الحافين من حول العرش.

وهكذا ينتهي طوافه ليختمه بصلاة هي الأُخرىٰ منسجمة مع هذه الحالة الّتي حصل عليها، متوجّهاً بقلبه وجوارحه إلىٰ الحقيقة الإلٰهيّة.

﴿قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين * لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أوّل المسلمين﴾[٢].

وهو يقف خلف مقام إبراهيم، التزاماً منه بانّ العبادة لله لابدّ أن تكون منطلقة علىٰ طريقة إبراهيم عليه السلام، ومواقفه وتحطيمه لرموز الشرك وأصنام الضلال.

بعد هذا يتوجّه إلىٰ السعي بعين قد اقلعت عن السعي وراء الدنيا حتّىٰ

(١) حسين الفالي، بيان القرآن والعترة في أسرار الحجّ والعمرة، ص ١٩.
(٢) الأنعام (١٦٢ ـ ١٦٣).

المباحة منها، إلىٰ هدف اسمىٰ، هو كسب الآخرة في سعي معنوي خالص لربّ العالمين.

﴿ومن اراد الآخرة وسعىٰ لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكوراً﴾(١).

فيكون سعيه مقروناً بالعزم علىٰ استئناف العمل خالصاً لله عزّ وجلّ في مابقي من عمره.

طواف النساء وصلاته:

وهنا آخر واجبات الحرم، وبه يحصل الإحلال الكامل من الإحرام.

وما ينبغي الالتفات إليه أنّ هذا الطواف ليس مانعاً للحياة الزوجيّة فقط حتّىٰ يقال انّه مختص بمن كان متزوّجاً من الرجال والنساء، بل انّه يشمل كلّ مكلّف علىٰ الإطلاق، لما له من أثر مهم في سير الحياة الاجتماعيّة، حيث إنّ من لم يأت بطواف النساء لايحقّ له أن يشهد عقد زواج، ولا أن يجريه، فيكون قد اقصىٰ نفسه عن المشاركة التامّة في المجتمع.

فالتزويج أمر ضروري لاحياء المجتمع وبقاء الإنسانيّة، ولكن في اطار الشرع والدين، وأن يكون علىٰ كتاب الله وسيرة نبيّه والائمّة عليهم السلام.

ولأجل ذلك بعد أن عزم المكلّف علىٰ أن يجعل اعماله خالصة لوجه الله تعالىٰ. فيدور في فلكه المبين ولا يخرج عن دائرة شرعه المقدّس، وجب عليه ان يطوف حول البيت سبعة اشواط بهذا العنوان (طواف النساء) ليحلّ له ماحرّم

(١) الإسراء (١٩).

عليه بالإحرام من الاستمتاعات.

وحيث إنّ لكلّ طواف صلاة، وجبت صلاة ركعتين لهذا الطـواف أيـضاً خلف مقام إبراهيم عليه السلام أيضاً لنفس ماقدمناه من المعاني.

من تمام الحجّ:

بعد أن ينتهي الحاجّ من أعمال حجّه، هنالك واجب أخلاقي مهم متعلق بذمّته لابدّ له من الوفاء به، وهو التشرف بزيارة مرقد النبي والائمة الكرام عليهم السلام.

عن الباقر عليه السلام: ابدأ بمكّة واختم بالمدينة فإنّه افضل»[(١)].

وعنه عليه السلام: ثمّ يأتوا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم»[(٢)].

وعن الرضا عليه السلام: «انّ لكلّ إمام عهداً في عنق اوليائه وشيعته، وانّ من تمام الوفاء بالعهد زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم، وتصديقاً بما رغبوا فيه، كان أئمّتهم شفعاءهم يوم القيامة»[(٣)].

عن الصادق عليه السلام: «إذا حجّ أحدكم فليختم بزيارتنا، لأنّ ذلك من تمام الحجّ»[(٤)].

وعنه عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أتىٰ مكّة حاجّاً ولم يزرني إلىٰ المدينة جفوته يوم القيامة، ومن اتاني زائراً وجبت له شفاعتي، ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنّة، ومن مات في أحد الحرمين مكّة والمدينة، لم يعرض ولم يحاسب، ومن مات مهاجراً إلىٰ الله عزّ وجلّ حشر يوم القيامة مع أصحاب بدر»[(٥)].

---

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١٤، ص ٣٢٠، ب ١، المزار، ح ٤.

(٢) م. س. ب ٢، ح ١.

(٣) محمد بن الحسن الحر العاملي، الوسائل، ج ١٤، ص ٣٢٠، ب ١، المزار، ح ٥.

(٤) م. س. ح ٧.

(٥) م. س. ب ٣، ح ٣.

وزيارة قبورهم عرفان بحقّهم عليهم السلام وتجديد العهد معهم، والبـيعة لهـم، واعلان الولاية لهم.

خلاصة الفصل الثالث:

بعد أن فرغ المكلّف من أعمال العمرة، وتعرّف عملياً علىٰ لذّة القـرب. وجب عليه أن يخرج من الحرم مجدّداً، حتىٰ يتخلّص من كلّ الشوائب العالقة بذاته عبر اخلاص النية والاستغفار والتضرع، بـحيث يـتذوق مـرارة الفـراق، فيسعىٰ جادّاً بعد أن يحرم من البيت ليتوجّه إلىٰ عرفة حيث يجتهد في الاعتراف بما جنىٰ، ويطلب المغفرة، ليحظىٰ بالتوبة من الله تعالىٰ، وبهذا يتقدّم خطوة نحو الحرم ليقف عند أبواب المزدلفة، ومافيها من الدعاء والذكر، والتقاط الحـصىٰ، ليتوجّه إلىٰ منىٰ حيث يسعىٰ إلىٰ تنظيف قلبه وظاهره، ويتهيّأ لزيارة البيت، وبه يكون قد حصَّل سنخية بينه وبين البيت، لأنّه عاد طاهراً خالصاً ليس عليه تبعة ولا ذنب، واستحقّ القرب الإلٰهي.

وهو مع كلّ ذلك قد حقّق بالإضافة للجنبة المعنوية، أموراً تـعود بـالنفع علىٰ الأُمة الإسـلامية جـمعاء، مـن خـلال تـدارس اوضـاعها ومشـاكـلها، الاقتصاديّة منها من خلال ما يبذله من الهدي، والسياسية من خلال ما يترجمه من رجم الشياطين وما ترمز إليه، والثقافية من خلال ما يتم في المـوسم مـن تلاقح فكري، وبهذا يصير الحج مؤتمراً تغييرياً علىٰ صعيد الفرد والمجتمع وفي شتّىٰ المجالات والسبل.

تذييل:

الآثار التربوية لجملة من الأماكن

وفيه:

المبحث الأول: ما يحتويه البيت من آثار

المبحث الثاني: مساجد في مكّة تعبق نوراً

المبحث الثالث: دروس بين الهجرتين

تمهيد:

عندما يتشرف الإنسان بحج بيت الله الحرام، والحلول في تـلك البـقاع المقدسة، فإنّ عبق الأريج المنبعث للوحي عبر الآفاق يحتل ذهنه واحسـاسه وشعوره وقلبه، فيحاول أن يتلمس بحواسه آثار النـبوات المـتردّدة فـي ذلك المكان ويستشعر عمق الصراع بين الحق والباطل، بين آدم وابليس، ثمّ إبراهيم وإسماعيل وهاجر، وباقي الصلحاء عبر التاريخ، وما نتج من هذا الصراع مـن انتصار للحق، وشموخ كعبة التوحيد، واندحار ابليس وجنده، وصيرورته مرمى للعقائد الصلبة للمؤمنين.

وهكذا، يقف الإنسان عند جنبات البيت ليستنطقها، ويستخرج ماتحويه من دروس وعبر، من نفس الكـعبة، إلىٰ الركـن، إلىٰ مـقام إبـراهـيم، فـحجر إسماعيل، ثمّ ماء زمزم، والمسعىٰ.

وكذلك حول البيت وما شهد من ولادة سيد الكائنات وسيدة النساء، وما جرىٰ من انصياع للثقلين (الانس والجن) في تلك الربوع، والكثير الكثير مـن الأمور الّتي لايمكن أن يدركها أو يحيط المـرء بـها، لأنّـها خـلاصة التـاريخ والجغرافيا معاً.

ثمّ يقف عند قمّة اعتلاها فارس الإنسانية، ليكون البشير النذير، من غار التوحيد الخالص، حيث بداية الطريق، وهكذا انتهاء بغار الهجرة المباركة.

انّ الإنسان المتدبّر، تستوقفه جملة من الأماكن كان لها أثر في حياة الكيان الإيماني، بحيث تصير مصدراً للاشعاع والنورانيّة وتقذف في كيانه هالة من الرهبة والخشوع لعظمة الخالق جلّ وعلا.

ولابدّ لنا استكمالاً للبحث من الوقوف بشكل مختصر عند هذه الأماكن لنستلهم منها بعض العبر والدروس لتكون نبراساً في حياتنا. لذلك سوف نتحدّث عن جملة من المساجد، والأمكنة الأُخرىٰ سائلين من المولىٰ الهداية والتوفيق.

المبحث الأوّل:

البيت، وما يحويه من آثار

قال الله تعالىٰ ﴿انّ أوّل بيت وضع للنّاس للّذي ببكّة مباركاً وهدىٰ للعالمين فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً﴾(١).

وحيث إنّ الكلام قد تقدّم عن المسجد الحرام، نشير بشكل سريع إلىٰ ماله من الأثر علىٰ المجتمع المسلم عامّة، إذ هو قبلة الوالهين، وامل المشتاقين، وهدىٰ للعالمين كما عبّر عنه ربّ العالمين.

هذا البيت الّذي دحيت الأرض من تحته، فكان نواة للبسيطة الّتي نتقلّب عليها، والّذي كان منزلاً لآدم عليه السلام، لذا تجد من الأحكام الإلٰهيّة، أن المكلّف ومن أي بقعة كان يمكنه أن يتم فيه صلاته، لأنّه موطن حقيقي لأهل التوحيد.

وهو الوحيد الّذي نسبه الله إلىٰ نفسه ﴿طهّرا بيتي...﴾(٢).

فعندما يستحضر الإنسان عظمة البيت، أو يتشرّف بزيارته، أو يتوجّه في صلاته نحوه، فإنّ مجموعة من الأفكار تغلي في ذهنه، لأنّه في هذه الحالة يشارك جموع الملائكة والمرسلين، والأنبياء والاوصياء والمؤمنين الصالحين، فيختزل كلّ الأرض بتلك البقعة، ويختزل الزمان كلّه بتلك المواقف المتميّزة من

---

(١) آل عمران (٩٦).

(٢) البقرة (١٢٥).

تاريخ البشرية، فيطوف مع آدم وحوّاء، ثمّ يكون مع إبراهيم وإسماعيل وهما يبنيان البيت، ثمّ يشاركهم طوافهم، ثمّ يسعىٰ مع هاجر بين الصفا والمروة، وبعد ذلك يقف ليصلّي مع رسول الله وأمير المؤمنين وخديجة وسط جموع الملحدين، فيكتسب درساً في الفرادة والتفرد، وانّ اولياء الله هم ثلّة مشت بمقتضىٰ ماتشع من نور لتضيء للآخرين السبيل.

أجل فالبيت بما يمثّل هو صورة للبيت المعمور وللضراح وللعرش.

ففي المسجد الحرام مجموعة من الأمكنة كلّ منها يشع بمعنىً ونكهة خاصين. ففيه:

أولاً: الحجر الأسود:

وهو يمين الله في أرضه[١] الّذي استودع مواثيق الخلائف، وهم يأتون ليجدّدوا عنده البيعة ليشهد لهم بالموافاة (اللهمّ اماناتي ادّيتها، وميثاقي تعاهدته) (اشهد يا اسعد فقد ادّيت الأمانة)[٢].

ثانياً: مقام إبراهيم:

ذلك الحجر الّذي كان موطئاً لأقدام إبراهيم عليه السلام وهو يبني البيت، ثمّ وعندما علاه لينادي في الناس بالحجّ، لم يحتمل وطئة هذا النداء فساخ تحت اقدام إبراهيم عليه السلام الشريفة، فانتزعهما انتزاعاً.

(١) محمد باقر المجلسي، البحار، ج٩٦، ص ٢٢٠.
(٢) محمد باقر المجلسي، البحار، ج ٩٩، ص ٢١٩.

ثالثاً: حِجْر إسماعيل:

حيث يحتضنه جموع الطائفين بطوافهم، فيعود من البيت، وهو محطّ رحال جمع من الأنبياء ومنهم إسماعيل وامّه.

رابعاً: الركن اليماني:

باب الولاية[1] حيث لا باب، وهو الجزء الّذي انشقّ لفاطمة بنت اسد ليكون مدخلها إلىٰ البيت دون من سواها من العالمين، ثمّ لتخرج مع وليدها الّذي اشتقّ اسمه من اسم العلي فكان علياً. وهو شاهد علىٰ العزّ الإلٰهي الّذي يأبىٰ الله إلّا أن يتمّ نوره ولو كره المشركون والمنافقون والكافرون.

وهذه مواطن تقدّم الحديث عنها في اثناء الكلام عن دخول البيت الحرام، فلا داعي للإطالة. نعم بقي موضع ارجأنا الحديث عنه، وقد حان موعده وهو:

خامساً: ماء زمزم:

وقد اقترن اسمه باسم إسماعيل عليه السلام وامّه هاجر، وهو رمز للعطاء الإلٰهي اللا محدود، يعطيه من يشاء بغير حساب بعد سعي بشري مغموس بالتوكّل، محفوف بالتسليم والرضا بقضاء الله وقدره.

عن النبي صلى الله عليه وآله: **«خير ماء علىٰ وجه الأرض، ماء زمزم»**[2].

(١) محمد باقر المجلسي، البحار، ج ٩٩، ص ٦٣.

(٢) محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٣، ص ٢٤٦، راجع جوادي آملي، صهباي حج، ص ٢٨٤.

عن الصادق عليه السلام: «ماء زمزم شفاء من كلّ داء»[(١)].

عن النبي صلى الله عليه وآله: يرحم الله امّ إسماعيل، لو تركت زمزم ولم تغرف من الماء لكانت عيناً معيناً...»[(٢)].

عن الصادق عليه السلام قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يستهدي ماء زمزم وهو بالمدينة»[(٣)].

وعن فقه الرضا عليه السلام: ماء زمزم شفاء من كلّ داء وسقم، وامان من كلّ خوف وحزن»[(٤)].

فبركة هذا الماء، وخصائصه بالإضافة لاقترانه بالبيت، فكذلك لانتسابه إلىٰ أمَةٍ سلمت أمرها لله، وتوكّلت عليه فجعل ذلك هدية لها، وعلّة لبناء مجتمع متكامل ممهّداً للنور الخاتم صلى الله عليه وآله.

وفي حوارية الإمام زين العابدين مع الشبلي:

(ثمّ) قال عليه السلام له: اشرفت علىٰ بئر زمزم، وشربت من مائها؟» قال: نعم. قال: «نويت أنّك أشرفت علىٰ الطاعة، وغضضت طرفك عن المعصية؟» قال: لا. قال عليه السلام: «فما اشرفت عليها ولا شربت من مائها»[(٥)].

وقد ادرج الإمام عليه السلام مسألة ماء زمزم في ضمن ما يتعرّض له من المناسك وفيه دلالة واضحة علىٰ أهمية هذا المعلم التاريخي الإلٰهي، ثمّ

---

(١) محمد بن يعقوب، الكافي، ج٦، ص ٣٨٧، راجع جوادي آملي، صهباي حج، ص ٢٨٤.

(٢) علي الافتخاري، الحج والعمرة ومعرفة الحرمين الشريفين، ص ٩٧.

(٣) علي الافتخاري الگلپايگاني، الحج والعمرة ومعرفة الحرمين الشريفين، ص ٦٧.

(٤) م. س.

(٥) الميرزا حسين نوري، المستدرك، ج ١٠، ص ١٦٩.

يشير عليه السلام إلىٰ سرّ من أسراره، ومعنىً من معانيه، فيجعل الأشراف علىٰ بئر زمزم إشرافاً علىٰ الطاعة، ولعلّ الإمام عليه السلام يريد بذلك أن يحملنا إلىٰ تلك الحادثة التاريخيّة الّتي أعقبها بروز هذا الماء الّذي هو مصدر الحياة، ونواة المجتمع المكي، ليعتبر أنّ ماء زمزم نتيجة طاعة مطلقة وتسليم لامحدود من هذه المرأة الصابرة الّتي رضيت بالواقع الأليم إذ لا انيس ولا جليس انقياداً لزوجها المأمور من قبل الله وتسليماً لقضاء الله جلّ وعلا.

فصار البئر رمزاً للطاعة، ولازم ذلك الابتعاد عن المعصية وهجرها، وهذا مايجب علىٰ المكلّف أن يستحضره وهو يتعامل مع هذه الهبة الإلهية حتّىٰ يصدق عليه انّه استفاد من ذلك الماء واستعمله وشربه.

سادساً: مولد رسول الله صلى الله عليه وآله:

علىٰ كتف مشرف علىٰ بيت الله الحرام، بيت يهوي إليه كلّ قلب، ويتلمّس منه نوراً إذا سئل عن علّته اجيب بانّه المكان الّذي شرف فيه سيّد الكائنات عالم الإمكان، فتزعزعت أركان الطغيان، وتباشرت ملائكة الرحمن. ولم تمض الليالي والأيام حتّىٰ صارت البشرىٰ واقعاً، فالوليد قد شبّ وها هو يبعث رحمة للعالمين.

المبحث الثاني:

مساجد في مكّة تعبق نوراً

جملة من المساجد امتدت في ربوع مكة، واحتضن كل منها أحداث وكرامات، هي:

أولاً: مسجد البيعة:

ويقال له مسجد الجن أيضاً، ويسميه المكيّون مسجد الحرس، لأنّ صاحب الحرس كان يطوف بمكّة، حتّىٰ إذا وصله انتظر بقية حرسه عنده، ولا شاهد لنا في هذه التسمية.

وهو موضع الخط الذي خطّه رسول الله ﷺ لابن مسعود ليلة استمع إلىٰ الجنّ.

وهو مسجد البيعة، لأنّ الجن بايعوا رسول الله ﷺ ويعرف اليوم بمسجد الجن، وهو قريب من المسجد الحرام، وقريب من الحجون(١).

وهذا المسجد أثر من آثار رسول الله ﷺ ودليل علىٰ حاكمية الإسلام علىٰ الجن والانس معاً، وانّ هؤلاء كانوا افقه واعقل من القرشيين الّذين آذوا الرسول ﷺ أشدّ إيذاء.

---

(١) راجع محمد رضا النعمتي، قاموس الحرمين الشريفين، ص ٢١٠.

ثانياً: مسجد الخَيف:

والخَيف غرّة بيضاء في الجبل الأسود الّذي خلف أبي قبيس، قيل: وبها سمي مسجد الخيف بمنىٰ، أو لأنّها خَيف أو ناحية من منىٰ، أو لانحداره عن الغِلَظ وارتفاعه عن المسيل كما قاله الجوهري(١).

أي مسجد منىٰ: وسمي بذلك لأنّه مرتفع عن الوادي، وما ارتفع عن الوادي سمي خيفاً.

صلّىٰ فيه سبعمائة أو الف نبي، وأن ما بين الركن والمقام منه لمشحون من قبور الأنبياء، وصلاة مائة ركعة فيه تعدل عبادة سبعين عاماً، ومن سبّح الله فيه مائة تسبيحة، كتب الله له كأجر عتق رقبة، ومن هلّل فيه مائة تهليلة عدلت اجر احياء نسمة، ومن حمد الله فيه مائة تحميدة، عدلت خراج العراقين يتصدّق به في سبيل الله (عزّ وجلّ)(٢).

وينبغي للمقيم بمنىٰ أن يوقع صلاته كلّها في مسجد الخيف، فرضها ونفلها(٣).

وفي حوارية الإمام زين العابدين عليه السلام مع الشبلي.

قال له: «وصلت منىٰ... وصليت في مسجد الخيف؟» قال: نعم. قال: «فعندما صليت في مسجد الخيف، نويت انّك لاتخاف إلّا الله عزّ وجلّ وذنبك،

---

(١) م. س. ص ٢١٤.

(٢) محمد حسن النجفي، جواهر الكلام، ج ١٤، ص ١٤٣.

(٣) محمد حسن النجفي، جواهر الكلام، ج ٢٠، ص ٤٣.

ولا ترجو إلّا رحمة الله تعالىٰ؟ قال: لا. قال له زين العابدين عليه السلام: «فما وصلت منىٰ، ... ولا صليت في مسجد الخيف...»(١).

ويعتبر التعرض لمسجد الخيف والصلاة فيه من قبل الإمام زين العابدين عليه السلام من جملة الموارد المستحبّة الّتي مرّ ذكرها في هذه الرواية الطويلة.

وما يمكن أن نستفيده من هذه الرواية، أنّ المعنىٰ المراد من هذا المسجد، وان كان لما ذكر في اللغة وجه، إلّا أنّ هذا يعتبر معنىٰ آخر للتسمية، حيث اراد الإمام ممّن يدخل مسجد الخيف أن يستحضر معنىٰ الخوف، وليس مطلق الخوف بما فيه الشق المذموم منه. وإنّما يريد المعنىٰ الإيجابي منه، الّذي يبني الإنسان، ويجعله في حالة عمل دائمة وهو خوف الله عزّ وجلّ، لا لأنّه ظالم لعباده، والعياذ بالله، بل إنّ الإنسان يخاف تقصير نفسه وقلّة زاده، وكثرة ذنوبه، فما يخافه في الحقيقة هو أن يعامله الله بعدله، وهذا الخوف لاينبغي أن يصل إلىٰ حدّه الأقصىٰ بل لابدّ أن يبقىٰ معتدلاً، عندما يقابله رجاء رحمة الله الواسعة لكلّ شيء، علّه يفوز بجنان الخلد مع ماعنده من التقصير.

ثالثاً: مسجد خديجة:

وكان منزل رسول الله صلى الله عليه وآله في زقاق العطارين الّذي يقال له: مسجد خديجة بنت خويلد.

وقد نصّ الأزرقي علىٰ أنّها مايعرف اليوم ببيت فاطمة عليها السلام في زقاق بالقشاشية، ويعرف بمولد فاطمة عليها السلام وهو اليوم مدرسة للبنات بحي القشاشية

---

(١) الميرزا حسين نوري، المستدرك، ج ١٠، ص ١٧١.

اوقف سنة ١٣٦٩هـ[١]. وهي دار خديجة الّتي كانت منزل النبي ﷺ ومولد فاطمة عليها السلام الواقعة في سوق الصاغة في مكّة، هدمتها الحكومة سنة ١٤١٣هـ[٢].

وهذا الأثر العظيم في تاريخ الاسلام، والّذي ضمّ خير البشرية علىٰ الاطلاق، وفيه نزل الوحي، وكان مسكن رسول الله ﷺ، ومدرسة علي عليه السلام الّذي ضمّه الرسول ﷺ، ومولد البتول عليها السلام، وما رافقه من توالي افواج الملائكة مهنئين ومباركين، ومنه شع نور الرسالة فملأ الخافقين، فحري به أن يصان بالذهب، ويحافظ عليه بالنفيس والمهج، ليبقىٰ شاهداً حياً، تعتبر منه الخلائق، وخصوصاً المسلمين منهم.

رابعاً: مسجد إبراهيم عليه السلام:

وهو مسجد نمرة المعروف، وفيه صلّىٰ إبراهيم الخليل عليه السلام كما صلّىٰ فيه رسول الله ﷺ[٣].

(١) محمد رضا النعمتي، قاموس الحرمين الشريفين، ص٢١٣.

(٢) محمد بن علوي المالكي، البشرىٰ في مناقب خديجة الكبرىٰ، ص٦.

(٣) راجع محمد رضا النعمتي، قاموس الحرمين الشريفين، ص ٢٠٤.

المبحث الثالث:

دروس بين الهجرتين

لن نطيل الحديث في هذا البحث، وإنّما نضع بين الأيدي، اطلالة مقتضبة لجملة من الأحداث، في بقاع تجتذب القلوب، فتترك فيها فسحة للتأمّل، وتدفعها إلىٰ أن تجعل كلّ وجودها في الميزان، لتسألها عمّا قدّمته للإسلام. وحسب التسلسل التاريخي نقف عند تلك المحطّات:

أوّلها: غار حراء:

ذلك المكان المشرف علىٰ شعاب مكّة، المطل علىٰ بعض البيت الحرام، ارتاده رجل دعاه أهل مكة بالصادق الأمين، متأمّلاً في هذا الكون متفكّراً في مسيرة الإنسان، داعياً إله إبراهيم الخلاص من سيطرة الوثنية البغيضة علىٰ العقول، حتّىٰ صارت شريكة الذات والمال والولد، وبعد تضرّع وبكاء وآهات صار هذا المكان مهبط الأمين، علىٰ قلب سيد المرسلين:

﴿اقرأ باسم ربّك الّذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربّك الاكرم ...﴾[1].

وهكذا انطلقت أنوار الإسلام، وثارت ثائرة الطواغيت، فكانت الجراح

(١) العلق (١ ـ ٣).

والآلام والمعاناة، حتّىٰ قال ﷺ: ما اوذي نبي مثل ما أُوذيت»[١].

وباءت كلّ المحاولات بالفشل، حتّىٰ اضطرّ أركان الطواغيت إلىٰ حصار الرسالة.

ثانيها: شعب أبي طالب:

ضمّ الثلّة الّتي قالت ربّنا الله، لثلاث سنوات من الحصار المر، حيث قاطعهم الجميع، وهذا المحامي إلىٰ جانب ابن اخيه لايكل ولا يمل، وكذا الزوجة البارة الّتي لم تبخل بما تملك في سبيل الله، إلىٰ أن انكسرت شوكتهم باعجاز من الله، إذ جاءت دابة الأرض لتلتهم مكرهم وحقدهم مبقية علىٰ اسم الله في جوف الكعبة، فانفك الحصار[٢].

ثالثها: مقبرة أبي طالب:

أو ما يعرف بمقبرة الحجون، وعند ترابها حصل المنعطف التاريخي، ليخسر الرسول ﷺ محاميين جليلين في عام واحد سمي عام الأحزان، وفيها رقد أبو طالب، وكذلك خديجة إلىٰ جانب ثلّة من آباء النبي، ولحق بهم جماعة من الصحابة فيما بعد، وبرحيلهما اشتدّ الضغط علىٰ الرسالة، ولم يعد بدّ من الهجرة مجدّداً.

---

(١) راجع محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٩، ص٥٦.

(٢) راجع محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٩، ص١٦.

رابعها: غار ثور:

في منطقة تسمّىٰ بـ«المسفلة»، كانت بداية الهجرة النبويّة المباركة الّـتي قطعت الطريق بالاعجاز الإلٰهي علىٰ كلّ أمل لدىٰ المشركين بالقضاء علىٰ الدين الحنيف، حيث ترك رسول الله صلى الله عليه وآله منزله مخلفاً في فراشه الفدائي الأوّل، أمير المؤمنين عليه السلام ليقوم حاملاً سيفه هازماً آمالهم وكيدهم، ويـنطلق الرسـول إلىٰ المدينة الّتي تنوّرت بقدومه، ليؤسّس الدولة الإسلاميّة الغرّاء.

بهذه السطور القليلة، يختصر الإنسان عشر سنوات أو تزيد من المـحن والبلاءات والمصائب علىٰ الدعوة ونبيها وأهلها، دون أن يغيب عن البال تلك الدماء الطاهرات الّتي سالت علىٰ أطهر أرض احـبّها الله، لتـبقىٰ تـلك الآثـار شاهدة، عاصية علىٰ الطمس علىٰ نداء الله أكبر يصدح من حنجرة بلال المعذب المقهور، وتوحيد سمية وياسر المصلوب، وتحدي علي وهو خارج في وسط النهار ومعه الفواطم ليلتحق برسول الله صلى الله عليه وآله.

والحمد لله ربّ العالمين.

مختصر البحث:

يقول الله تعالىٰ في محكم كتابه الكريم: بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿ولله علىٰ الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾

تعتبر فريضة الحج، من الأركان التي بني عليها الإسلام، ولها من الخطر العظيم علىٰ حياة المكلف المستطيع، من حيث النجاة والفوز، أو الكفر والخسران. من أجل ذلك كان من الضرورة أن يتعرف الإنسان علىٰ ابعاد هذه العبادة ككل، ثم علىٰ تفاصيلها وما تنطوي عليه من أسرار تربوية ومعان أخلاقية.

فإذا ما تأملنا في آفاق هذه العبادة، من خلال إلقاء الضوء علىٰ النصوص الشرعية، نجد أن عبادة الحج، حين ينتدب إليها مجموعة من أبناء المجتمع، لا يكون الهدف من وراء ذلك، صرف تطبيق مجموعة من المناسك، العملية، بصرف النظر عما تحتوية هذه المناسك، وإنّما الهدف الأساس استثارة الباطن، وتوطيئه علىٰ مجموعة امور تربوية، كما يتضح لنا من حوارية الإمام زين العابدين عليه السلام مع الشبلي، هذا من جهة، ومن جهة أخرىٰ تفعيل الإبعاد الحياتية للمجتمع، بما يمسُّ وجود الإنسان في هذه الدنيا، بما هى حقل للعمل من أجل الآخرة.

وهكذا فالحج مؤتمر أممي، همه توطيد علائق الأخوة بين أبناء المجتمع، والسعي بهذا المجتمع نحو الأكمل وعلىٰ جميع المستويات، من هنا كان للحج بعد اجتماعي تجلىٰ من خلال الأداء الجماعي للمنسك. وبُعد سياسي من خلال ما يلهج به الحجاج من قانون التوحيد، وما يطبقونه من طواف وبقية أعمال، وما

يترجم فيه من مواقف تتمثل برجم الشياطين، وبعد أخلاقي من خلال طـريقة التعاطى التى ارادها أهل البيت أن تتحقق بين ابناء الأمة، وبعد اقتصادي هدفه حصول المنعة والحصانة للمجتمع، والاكتفاء الذي يؤمن الرفاهية المطلوبة التي تقطع أيادي الأغبار من الطامعين والمنتهزين. وبعد معنوي، يخلص المكلف من براثن المادة، ويشعر روحه طعم العبادة، عن طريق الجسد، فيقطع الطريق عن أي حركة تائهة لا يعلم المراد منها.

وإذا اخذنا بعين الاعتبار. أن حوالي ٩٧٪ من الحجيج هم مـمن يـقطع المسافة الشرعية، تلبية للنداء الإلهي، كان لابدَّ من الوقوف علىٰ آداب السفر، وما يتركه في حياة الإنسان من أثر، بحيث يسخره باتجاه الأهـداف الواقـعية لسفر الإنسان الحقيقي نحو الحق، ليكون سفراً في محراب العـبادة لله تـعالىٰ. وبالتالي بصبح ممهداً ومهيئاً للسفر الأخروي الطويل.

أما بالنسبة للمناسك التفصيلية، فهي الأخرىٰ مدرسة تربوية شاملة، يعنى كل منها بايضاح درس من الدروس، واكساب المكلف معنىً من المعاني، حق يصل في النتيجة إلىٰ الهدف الأسمىٰ، وهو التخلص من براثن المادة، والتقلب في رحاب الملائكية، أو ما هو أسمىٰ، فيشعُر بلذه القرب بعد جهد وكدح دؤوب.

فابتداء من الميقات، يتعلم أن يأتي البيوت من أبوابها، وانه بعمله هذا صار من أهل الطاعة، ولبس ثوبي الإحرام وعقد الإحرام، تجرد من آفات البـاطن من الرياء والنفاق والدخول في الشبهات، فالغسل طهارة للباطن من الذنوب، كما هو تطهير للجسد، أما التلبية فهي قطع العلائق بغير الله تعالىٰ. وإنه لا يجوز تلبية واطاعة غير الله تعالىٰ.

وهكذا تيوجه المكلف نحو مكة المكرمة وكله امل فـي الخـلاص مـما

جنىٰ، فتتدافع في الذات نسائم الذكريات العذبة لحركة التوحيد عبر التاريخ منذ آدم عليه السلام مروراً بإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وصولاً إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ما قاساه في سبيل تخليص هذه الأمة من الجاهلية الجهلاء، لنحط الرحال عند أهل البيت وما عانوه من ظلم واضطهاد، وهكذا يحط الرحال في رحاب مكة المكرمة ملبياً لنداء التوحيد، فيتلمس بإحساساته آثار النبوات من شموخ البيت واركانه، والمقام وعظمته وركن إسماعيل ومسعىٰ هاجر وزمزمها، ليطوف حوله معلناً وحدة المحور، وكسر أغلال التبعيات المصطنعة، ثم يصلّي عند المقام معلناً أن العبادة لا بد أن تكون ابراهيمة محمدية، ثم يسعىٰ بين خوف من عدم القبول، ورجاء المغفرة والتجاوز عن الذنوب، ثم يقصر خارجاً من إحرامه، ليستعد مجدداً لإحرام الحج الذي هو بظاهره خروج من الحرم الإلهي، ولكن واقعه السعي لتحقيق القرب المعنوي الواقعي، عن طريق التخلص من كل الشوائب العالقة به من خلال مقامه في عرفة وتضرعه بين يدي خالقه. والسعي لنشر دعوة الحق في ذلك الحشر الأصغر. وعندها يتقدم خطوة نحو الحرم. يحدوه الأمل بالقبول، فيقف في المزدلفة ليكمل ما بدأه بعرفة، ثم يتوجه إلىٰ مرحلة التمني المشفوع بالعمل، فيعلن مواجهته مع الشياطين برجمه لجمرة العقبة، ثم يجهز علىٰ الهوىٰ والطمع بتقديمه لقربانه، وهكذا يحلق شعره تخلصاً من العيوب الظاهرة والباطنة، واستعداداً للتضحية والفداء. عند هذا يتوجه نحو البيت ليؤدي اعماله. ويحقق قرباً معنوياً كما اقترب ظاهريا اثناء طواف العمرة، فيستشعر السنخية بينه وبين الملائكة الطائفين حول العرش، ويبت في منى ليلتين، تتجدّد المواجهة في صبيحتهما. لنعلن انه ومع وجودنا القريب من مصدر الغواية والضلال. فإن ذلك لا يهمنا، بعد أن حصّنا معتقدنا وسلوكياتنا، بل علىٰ العكس فهو حافز لنا لكي نجدد الصراع ونبقيه متأججاً، وأن المبادرة والفعل من

قبلنا، لا أن نكون في مقام ردة الفعل.

وفي كل ذلك لابد أن نستحضر سعي آدم عليه السلام، ومواقف إبراهيم الخليل عليه السلام. وتسليم إسماعيل عليه السلام وإيمان هاجر، وكذا ماعاناه رسول الله صلى الله عليه وآله واوصياؤه من بعده في سبيل هذا الدين الحنيف.

و ليس هذا الأداء، واستحضار هذه المعاني، هو الدرس الوحيد، أو الجنبة التربوية الوحيدة، بل لكل تلك البقاع آثارها التربوية في النفس من الميقات، إلىٰ ربوع مكة، وجنبات المسجد، وأركان البيت، وماء زمزم، ومسعى هاجر.

و لا ننسىٰ، ما يصاحب أداء المناسك من امور هي الأخرىٰ، كلية تربوية من فروع تلك المدرسة، من آداب لابد من استحضارها في كل مسيرتنا نحو الخلاص، من الصبر علىٰ أذىٰ الآخرين، والمتاعب، والصبر علىٰ الطاعات. والسخاء والكرم، والصدق، ومساعدة المحتاجين الذي لا يقل عن الطواف والاهتمام بأمور الآخرين، والايثار والتواضع، وسائر القوانين الأخلاقية الحاكمة في حياة أهل البيت عليهم السلام.

وفي الختام «فالحج مدرسة تربوية ومؤتمر (أممي هدفه الإصلاح في شتى المجالات، بغية بناء مجتمع اسلامى منيع. كالبنيان المرصوص.

خلاصة البحث:

إذا اردنا، أن نبحر في عباب هذه العبادة المقدسة، وأعني بذلك فـريضة الحج، من خلال كتاب الله، وسنة أهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) مـع الاخذ بعين الاعتبار ما توصل إليه علماء هذه الأمة وصلحائها، نجد مجموعة من المطالب الهامة نستخلصها فيما يلي:

أولاً: أن الحج مؤتمر الهي انتدبت إليه الأمة. بل من استطاع منها، ليكونوا وفدالله، وهم عدد ضخم يعدُّ بالملايين سنوياً.

ثانياً: أن هذا السفر الإلهي، بشكله العام، يعتبر مدرسة تربوية يتأدب فيها الوفد، ومجموع الحجيج بما هم، لينعكس ذلك علىٰ المجتمع السلامي برمته.

ثالثاً: أن فريضة الحـج، وإن اتـخذت الجـنبة العـبادية كـاساس، إلّا أن عباديتها لا تعني الإغفال عن الأبعاد الاخرىٰ، كالبعد السياسي والاقـتصادي والاخلاقي والاجتماعي والتي يشكل كل منها، رافداً من روافد هذه العـبادة، لان المكلف لابد أن يستحضر في كل مساره الدنيوي رضـا الله تـعالىٰ. وهـو المعنى الأشمل للبعد العبادي.

رابعاً: أن ما تهدف إليه الشريعة المقدسة من هذه العبادة، هـو تـخليص الحجيج ومن ورائهم المجتمع الأكبر، أي الأمة الإسلامية، مـن كـل التـبعيات الوهمية للنفس الأمارة والهوىٰ. بما توسوسه من طـمع وحسـد وحب للـدنيا والسلطة والجاه و غيرها من الأمراض الأخلاقية. وبالتالي فهي تهدف إلىٰ بناء إنسان حر، قادر علىٰ كسر قيود التبعية لما سوىٰ الله، بحيث تصير قلوب الخلائق عروش للرحمن.

خامساً: أن تفاصيل مناسك الحج، وجزئيات هذه العبادة، تعتبر محطات تربوية. لتقوية روح الفرد، وتقريبه من المعنويات العالية، من خلال ربط كل عمل من الأعمال بما يقصد من ورائه ويستبطنه من معان إلهية وأسرار ربانية، توصل صاحبها ـ لو تفاعل معها وهذا إنّما يتم فيما لو تمكن من كسر القيود المادية ـ إلىٰ كشف الحجب ليكون ملائكياً أو أرقىٰ من ذلك.

سادساً: الربط المكاني بين هذا الوفد، وتلك البقاع المقدسة، وما تعبق به من أريج النوارنية الفواحة للنبوات، وصراعهم مع قوىٰ الباطل، في سبيل اعاده كلمة الحق بدءً من آدم عليه‌السلام مروراً بإبراهيم وإسماعيل وهاجر عليهم‌السلام، وصولاً إلىٰ الخاتم المصطفىٰ صلى‌الله‌عليه‌وآله وأوصيائه الميامين عليهم‌السلام.

سابعاً: بناء الإنسان الكامل، الذي لا يرىٰ في وجوده إلّا الله، عارفاً بنفسه وامامه ونبيه وخالقه. قد تأدب بآداب الله. ولا يخشى إلّا الله. ولا رابط له مع نفسه وعائلته ومجتمعه إلّا رضا الله، واجتناب سخطه في كل حركته في هذه الدنيا، انطلاقاً من هذه العبادة المقدسة.

خاتمة البحث:

بعد هذه الرحلة المباركة في رحاب فريضة الحجّ، عن طريق الكنوز الإلٰهيّة، والأسرار الربانية الّتي أتحفنا بها أهل البيت عليهم السلام، نجد انّه لابدّ من اعادة التأكيد علىٰ امور منها:

أولاً: شمولية هذا المؤتمر الإلٰهي لكلّ أبعاد الحياة البشرية.

ثانياً: انّه يحمل في طيّاته، أسباب الحياة الحرّة الكريمة.

ثالثاً: الهدف الأصلي منه، نجاة الإنسان، وتخليصه من آثار الأُمور السلبية الّتي وقع فيها، ليكون اهلاً للقرب الإلٰهي.

رابعاً: تحديد الهدف الحقيقي للإنسان، والاعلان الحقيقي العملي عن التخلي عن كلّ ما من شأنه تضييع الفرصة عن الوصول للهدف.

خامساً: إحياء الفطرة في النفوس، والتوكل والتسليم السليمين، وما يحتويان عليه من نبذ للآلهة المصطنعة الّتي هي في افضل احوالها لاتخرج عن دائرة الحاجة والفقر.

نعم تلك هي مناسك الحجّ، وسعة مضامينها الّتي يعجب منها أصحاب الأئمّة عليهم السلام فيوجّه أحدهم سؤله قائلاً: جعلني الله فداك! اني اسألك في الحج منذ اربعين عاماً فتفتيني! فقال (الإمام عليه السلام): يازرارة بيت يحج قبل آدم بألفي عام، تريد أن تفنىٰ مسائله في اربعين عاماً»[1]. وهو اشارة إلىٰ العمق التاريخي

(١) محمد حسن النجفي، جواهر الكلام، ج١٧، ص٢١٧، ج ٢٠، ص٤٦٨، محمد بن مكي، الشهيد الأوّل، الدروس الشرعية، ج١، ص٥٠١.

لهذه العبادة أيضاً.

فالحجّ من مختصّات الأنبياء قبل الاسلام، كما يفهم من حكاية الرسول لحجّ طائفة كبيرة منهم، وهو ما كرّمنا به الإسلام دون من سوانا من الأُمم، ممّا يدفعنا إلىٰ أن نستفيد من الآداب والدروس الّتي تقدّم ذكرها، لنكون أمواتاً منتبهين فندرك صلاحنا، ونحدّد الهدف ونجدّ السير.

وفي الختام نسأل المولىٰ القدير أن نكون قد وفقنا لأداء قليل من مضامين كثيرة لهذه الفريضة المقدسة.

والحمد لله ربّ العالمين

مهدي بو زيد

نزيل عشّ آل محمد عليهم السلام

مصادر التحقيق

المصادر العربية:

١ـ القرآن الكريم

٢ـ ابن طاووس، علي بن موسىٰ؛ الأمان من اخطار الأسفار، آل البيت، ١٤٠٩هـ (الأولىٰ)

٣ـ ابن منظور، محمد بن مكرم؛ لسان العرب، احياء التراث، بيروت، ١٤٠٥ (الأولىٰ)

٤ـ الإحساني، محمد بن علي؛ عوالي اللآلي، سيد الشهداء، قم، ١٩٨٣م (الأولىٰ)

٥ـ الإمام الصادق، جعفر بن محمّد عليه السلام؛ مصباح الشريعة، الاعلمي، بيروت، ١٤٠٠هـ (الأولىٰ)

٦ـ الإمام، علي بن أبي طالب؛ نهج البلاغة، دار المعرفة، بيروت

٧ـ بالجن، مقداد؛ جوانب التربية الإسلامية الأساسية، دار الهدىٰ، الرياض، ١٤٠٦هـ

٨ـ البحراني، السيد هاشم؛ البرهان في تفسير القرآن، الأعلمي، بيروت، ١٩٩٩ (الأولىٰ)

٩ـ البحراني، ميثم بن علي؛ شرح نهج البلاغة، دار الثقلين، بيروت، ١٩٩٩م (الأولىٰ)

١٠ـ البحوث الإسلامية؛ الحج في القرآن والسنة، مشعر، قم، ١٤١٤هـ (الأولىٰ)

١١ـ البخاري محمد بن إسماعيل؛ الصحيح، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ

١٢ـ البرقي، احمد بن محمّد؛ المحاسن، الكتب الإسلاميّة

١٣ـ الجزائري، نعمة الله؛ قصص الأنبياء، الاعلمي، بيروت، ١٤١١هـ (الأولىٰ)

١٤ـ الجوهرجي، محمّد صالح؛ ضياء الصالحين، لقاء، قم، ١٣٧٨ش (الأولىٰ)

١٥ـ الجوهري، إسماعيل بن حدّاد؛ تاج اللغة وصحاح العربية، العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ (الرابعة)

١٦ـ الحازمي خالد حامد؛ اصول التربية الإسلامية، عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٠هـ

١٧ـ حج الأنبياء والائمة، مشعر، قم، ١٤١٦هـ (الأولىٰ)

١٨ـ الحر العاملي، محمد بن الحسن؛ وسائل الشيعة، آل البيت، بيروت، ١٩٩٣م (الأولىٰ)

١٩ـ الحسني، عبد الصاحب؛ الأنبياء، الاعلمي، بيروت، ١٤٢٣هـ (الثانية)

٢٠ـ الحسيني العاملي، محسن الأمين؛ مفتاح الجنّات، الأعلمي، بيروت

٢١ـ الحسيني، سيد محمّد؛ الحجّ والزيارة وآداب الحرمين، بصائر، اصفهان، ١٣٧٧ش (الأولىٰ)

٢٢ـ الحلي، الحسن بن يوسف؛ تذكرة الفقهاء، آل البيت، قم، ١٤١٧هـ (الأولىٰ)

٢٣ـ الحويزي، عبد علي العروسي؛ تفسير نور الثقلين، اسماعيليان، قم، ١٤١٢هـ (الرابعة)

٢٤ـ الخامنئي، علي الحسيني؛ بيان للحجّاج، ١٤١٧هـ

٢٥ـ الخامنئي، علي الحسيني؛ مناسك الحجّ

٢٦ـ دويدار، د. عبد الفتاح؛ سيكولوجية النمو والارتقاء، النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٣م

٢٧ـ الريشهري، محمد؛ ميزان الحكمة، دار الحديث، قم (الأولىٰ)

٢٨ـ الزبيدي، محمّد مرتضىٰ؛ تاج العروس من جواهر الفلوس، مكتبة الحياة، بيروت

٢٩ـ الزنجاني، إبراهيم الموسوي؛ فلسفة الأخلاق الإسلامية، الاعلمي، بيروت، ١٩٨٢م (الأولىٰ)

٣٠ـ شبر، عبدالله؛ الأخلاق، المرتضىٰ، بيروت، ١٩٨٨م (الخامسة)

٣١ـ الشهيد الأول، محمد بن مكي؛ الدروس الشرعية، النشر الإسلامي، قم، ١٤١٢هـ (الأولىٰ)

٣٢ـ الشيرازي، ناصر مكارم؛ الأمثل، احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢ (بيروت)

٣٣ـ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين؛ من لا يحضره الفقيه، جامعة المدرسين، قم، ١٤٠٤هـ (الثانية)

٣٤ـ الطباطبائي، محمّد حسين؛ تفسير الميزان، الأعلمي، بيروت، ١٩٩٧ (الأولىٰ)

٣٥ـ الطبرسي، الحسن بن فضل؛ مكارم الأخلاق، الاعلمي، تـهران، ١٣٧٦ش (الثانية)

٣٦ـ طراد، حسن؛ فلسفة الحجّ، المفيد، بيروت، ١٩٩٧م (الأولىٰ)

٣٧ـ الطريحي، فخر الدين؛ مجمع البحرين، الثقافة الإسلاميّة، ١٤٠٨هـ (الثانية)

٣٨ـ الطوسي، محمّد بن الحسن؛ التهذيب (تهذيب الأحكام)، الكتب الإسلامية، تهران (الثالثة)

٣٩ـ عرقسوسي، محمد خير؛ محاضرات في الأصول الإسلامية للتربية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٩هـ

٤٠ـ العياشي، محمد بن مسعود؛ تفسير العياشي، الكتب العلمية الإسلامية

٤١ـ الغزالي، محمد؛ نظرية التربية الإسلامية؛ مركز البحوث التربوية والنفسية، للفرد والمجتمع، مكة المكرّمة ١٤٠٠هـ

٤٢ـ فاخر، د. عقل؛ علم النفس التربوي، العلم للملايين، بيروت ١٩٨٥م

٤٣ـ الفالي، السيد حسين؛ بيان القرآن والعترة في أسرار الحجّ والعمرة، الثقلين، قم، ١٤٢٠هـ (الثانية)

٤٤ـ الفراهيدي، الخليل بن احمد؛ العين، الهجرة، ١٤٠٩هـ (الثانية)

٤٥ـ فلسفي، محمد تقي؛ الأفكار والرغبات بين الشيوخ والشباب، الاعـلمي، بيروت، ١٩٩٥م (الأولىٰ)

٤٦ـ الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب؛ القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت

٤٧ـ الفيض الكاشاني، المولىٰ محسن؛ الحقائق، سازمان چاپ دانشگاه

٤٨ـ القائمي، د. علي؛ الأسرة والطفل المشاكس، دار النبلاء، بيروت، ١٩٩٦م (الأولىٰ)

٤٩ـ القرشي، باقر شريف؛ النظام التربوي، الكتاب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦م

٥٠ـ القمي المشهدي، محمد بن محمد رضا؛ كنز الدقائق، وزارة الإرشاد، طهران، (١٤١٠هـ (الأُولىٰ)

٥١ـ القمي، عباس؛ مفاتيح الجنان، الأعلمي، بيروت، ١٩٩٢م (الأولىٰ)

٥٢ـ القمي، علي بن إبراهيم؛ تفسير القمي، الأعلمي، بيروت، ١٤١٢هـ (الأُولىٰ)

٥٣ـ الكليني، محمد بن يعقوب؛ الكافي، الكتب الإسلامية، قم، ١٣٨٨ش (الثالثة)

٥٤ـ الگلبايگاني، علي الافتخاري؛ الحج والعمرة ومعرفة الحرمين الشريفين، مشعر، قم، (الأولىٰ)

٥٥ـ المالكي الحسيني، محمد بن علوي؛ البشرىٰ في مناقب، خديجة الكبرىٰ

٥٦ـ المجلسي، محمد باقر؛ بحار الأنوار، الوفاء، بيروت، ١٩٨٢م (الثانية)

٥٧ـ المعتزلي، ابن أبي الحديد؛ شرح نهج البلاغة، إحياء الكتب العربية (قم)

٥٨ـ ميقات الحجّ، (عدد ١٢)، ١٤٢٠هـ

٥٩ـ النجفي، محمّد حسن؛ جواهر الكلام، الكتب الإسلاميّة، ١٢٦٥ش (الثالثة)

٦٠ـ النراقي، محمد مهدي؛ جامع السعادات، الأعلمي، بيروت، ١٩٨٨م

٦١ـ النعمتي، محمد رضا؛ قاموس الحرمين الشريفين، مشعر، قم، ١٤١٨هـ (الأولىٰ)

٦٢ـ النوري، ميرزا حسين؛ مستدرك الوسائل، آل البيت، بيروت، ١٩٩١م (الثالثة)

٦٣ـ يونس فتحي علي وآخرون؛ التربية الدينية الإسلامية بين الاصالة والمعاصرة، عالم الكتب، القاهرة

المصادر الفارسية:

٦٤ـ آملي، عبدالله جوادي؛ صهباي حج (فارسي)، نشر إسراء، ١٣٨٢ش، الخامسة

المحتويات

الفصل الأوّل

الأبعاد التربوية لسفر الحجّ

الفصل الثاني
الأبعاد التربويّة لأعمال عمرة التمتّع

الفصل الثالث
الأبعاد التربويّة لأعمال حجّ التمتّع

تذييل
الآثار التربوية لجملة من الأماكن